الإعلام والآخر

السيادة الثقافية وتعزيز الهويات

د. عادل فهمي

الكتاب: الإعلام والآخر.. السيادة الثقافية وتعزيز الهويات

الكاتب: د. عادل فهمي

الطبعة: ٢٠٢٣



الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم –
الجيزة - جمهورية مصر العربية
هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

فهمي، عادل

الإعلام والآخر.. السيادة الثقافية وتعزيز الهويات / د. عادل فهمي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٤٦ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٠ – ٦١٧ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٢٢٢٩٩ / ٢٠٢٢

الإعلام والآخر

السيادة الثقافية وتعزيز الهويات



مقدمة:

الاتصال والتواصل أصل قديم قدم الإنسان على هذه الأرض بصفته عضوا في المجتمع الإنساني، والتواصل ضرورة طبيعية لا يستغنى عنها الإنسان، داخل الثقافة الواحدة، وبين الثقافات المختلفة.

وقد لازمت "الوظيفة الإتصالية" التجمعات البشرية من القبيلة إلى الدولة في مختلف صورها. ويلاحظ أن "الإعلام" نشأ مرتبطا بالسلطة القائمة – أيا كان شكلها– على مر التاريخ، إما لحاجة السلطة إلى وظيفة تتحدث باسمها وتساند استمرارها وتحسّن ما تتخذه من قرارات، أو لتغطية أخطائها، أو للدفاع عن وجودها، أو لمواجهة خصومها داخل حدود الدولة أو خارج حدودها.

والملاحظ أن لفتة تاريخية قصيرة نطل منها على "طريق الحرير " الذي انتقلت عبره التجارة والثقافة منذ القرن الخامس قبل الميلاد، ولمدة ألف وخمسمائة سنة بعد الميلاد، توضح لنا ذلك الأثر المتعدد الجوانب لهذا الطريق الذي ربط الشرق بالغرب، عبر شبكة طرق صيفية وشتوية، شمالية وجنوبية، ربطت حضارات الصين ومصر والهند وروما برباط تجاري وثقافي وديني.

إن عملية إرسال رسائل عابرة للثقافات والحضارات المختلفة، ليست عملية مستحدثة، بل لقد التقى الناس من حضارات شتى –قديما– وتعارفوا وتفاهموا وتعاونوا أو تصارعوا، وهذا أدى إلى مزيد من التعارف بين البشر.

والسؤال المهم: ما الذي يفعله الإعلام الدولي الآن غير هذه الوظائف الإخبارية والثقافية والتجارية والسياسية ؟ إلا أن الفارق كبير من حيث السرعة بين

حركة الجمل والسفن من ناحية.. وبين الآنية في سرعة الضوء، بين خصوصية اللقاءات وتركز الإفادة لفئات معينة في الماضي، وبين عموم وانتشار وتنوع الرسائل وتعدد الفئات المستفيدة.

لقد سمع البشر عن الإمبراطوريات التي لا تغيب عنها الشمس لكثرة ما تسيطر عليه من أراض على هذا الكوكب، ورموز هذه الإمبراطويات مثل: الاسكندر الأكبر، وجنكيز خان، وتيمورلنك، ونابليون بونابرت، والإمبراطورية الرومانية والفارسية والمملكة المتحدة، لكن هذا الوهج الإمبراطوري لم يدم طويلا، وحلت محله إمبراطوريات إعلامية مبهرة لا تغيب عن خطوط الطول ودوائر العرض، وأصبح البشر جميعا يعرفون أسماء أخرى ومؤسسات كبرى تمثل واقعا امبراطوريا عصريا مثل: امبراطورية (CNN) و(BBC) وشبكة (الجزيرة). وشبكات القنوات الرياضية مثل شبكة (Bein) وقائمة طويلة من الكيانات الإعلامية الضخمة والمؤثرة.لعل أشهرها امبراطورية "روبرت ميردوخ" التي تمثل كيانا إعلاميا دوليا وظيفيا يخدم أهدافا تجارية وسياسية في آن واحد.

هذه نماذج لنوع جديد من "الإمبراطوريات "التي لا تستخدم الجيوش المسلحة، ولا الأسلحة الثقيلة في السيطرة على العقول والقلوب، وإنما توظف جيوشا من العقول والتقنيات والمعارف المتطورة للتحكم والسيطرة على ما يفكر فيه البشر، وكيف يفكرون، وفي سلوكياتهم وردود أفعالهم.

لقد قامت "الدولة القومية" منذ نشأتها من أجل الحفاظ على نطاق سيادتها وحماية حدودها الجغرافية والسياسية والثقافية، من خلال قدراتها العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية، وقوتها الناعمة ممثلة في الثقافة والإعلام.

وقبل ظهور تقنيات التواصل الكوني – العام والعاجل والعابر– حاولت الدولة القومية منع الإعلام الخارجي من اختراق حدود سيادتها الجغرافية، بل واتخذت من

الإعلام وسيلة لغزو دول أخرى، وهدم معنوياها، وفرض الاستسلام عليها، وأصبحت فلسفة وزير الدعاية "جوبلز"، مثالا واضحا وملهماً –للأسف– لأنظمة الحكم في أماكن كثيرة من العالم، في تملك وسائل الإعلام والسيطرة عليها، وتوجيهها لتصفية الخصوم معنويا، وهزيمتهم نفسيا، ووضع الموارد الإعلامية للشعب تحت تصرف الحاكم باعتبار هذه الموارد سلاحا لمواجهة الأعداء.واستخدمت الدول الإعلام في الحرب الباردة لإسقاط خصومها، وصارت ظاهرة الإذاعات الدولية الموجهة، ظاهرة شكلت واقعا ملموسا في كل دول العالم، حتى بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق، وانهيار سور برلين، وانتهاء الحرب الباردة بشكلها التقليدي. ظلت فكرة توحيد رسائل للخارج مسلكا قائما.

لقد ارتبط دور الإعلام الدولي بالحقبة الاستعمارية التي أفرزت نمطا من العلاقات التابعة للدول المستعمِرة. إلا أن الشعوب لم تكن في حالة من الإقرار لهذا الوضع، أو تلك الحالة الاستعمارية من غير مقاومة، وبرز العامل العقدي ضمن عوامل أخرى في عناصر المقاومة للاستعمار الاستيطاني، والمطالبات بالاستقلال والتحرر.

ويقسم "توماس ماكفيل" في كتابه " الإعلام الدولي" مراحل الاستعمار العالمي إلى:

١) مرحلة الاستعمار العسكري في الفترة من قبل الميلاد –١٠٠٠ ميلادية.

٢) مرحلة الاستعمار المسيحي التي تمددت في الشرق ١٠٠٠– ١٦٠٠ ميلادية.

٣) مرحلة الاستعمار التجاري ١٦٠٠– ١٩٥٠ ميلادية.

٤) مرحلة الاستعمار الالكتروني ١٩٥٠– حتى الآن.

ويقصد بالمرحلة الأخيرة البنية الاتصالية الدولية التي تهيمن على المجال العالمي،

والمناخ العالمي، حيث يحمل الاستعمار الإلكتروني في طياته مخاطر تهديد للهويات الذاتية للدول الأقل نموا وقوة.

ومع ما قدمته الأمم المتحدة والمنظمات المعنية بصياغة مدونات الحقوق والحريات، ومنها حقوق الاتصال، وحرية التعبير والتنظيم والانتفاع بالموارد –ومنها موارد الاتصال– فقد انتهى القرن العشرين والخلل في عملية التدفق الإعلامي ظاهر للجميع، والشكوى من هيمنة الدول القوية على فضاءات الاتصال الدولي تشهد بها تقارير الملتقيات والمؤتمرات التي ما تزال تعقد حتى الآن.

ومع الفرص التي أتاحها انتشار الإنترنت؛ فلم يتغير شيء كثير في موازين التحكم في المعلومات إنتاجا واستهلاكا، في عهد الإنترنت والفضائيات، حيث بقيت الفجوة المعرفية والرقمية (Digital Divide) التي تعني: "عدم المساواة العامة والظلم الاجتماعي". والفجوة الرقمية لا تزال تشكل واحدة من القضايا الاجتماعية الهامة في عصرنا. تحتاج هذه الفجو إلى معالجة من قبل صانعي السياسات وغيرهم من الجهات المعنية، وأصحاب المصلحة في اقتصاد مجتمع المعلومات / المعرفة – وإن كان ذلك يتطلب نهجا مدروسا بعناية من خلال إصلاح الخلل بين القوى والضعيف.والتعويل على الإعلام الدولي في تحقيق المساواة المعرفية بين من يعلم ومن لا يعلم.

تتلخص أهداف هذا الكتاب فيما يلي:

الهدف الأول: تعريف الدراسين بمفهوم الإعلام الدولي والمفاهيم المرتبطة به، وكذلك تحديد أهداف وخصائص هذا النوع من الإعلام الحضاري، وتحديد العوامل التي أسهمت في تطوره.

الهدف الثاني: تسليط الضوء على الخلفيات التاريخية، والواقعية التي تقف خلف مؤسسات الإعلام الدولي وتدعم وجودها، والفلسفات

والتوجهات التي تدعم هذا المستوى من التواصل بين البشر والأغراض الحقيقية الكامنة وراء ذلك.

الهدف الثالث: مناقشة القضايا الرئيسة التي تتعلق بالإعلام الدولي من حيث التوازن بين الدول الكبرى والصغرى، ومن حيث قدرة الدول على فرض نماذج ثقافية عبر هذا النوع من الإعلام، أو قدرتها على معالجة آثاره بشكل إيجابي يزيد من قوة الثقافات الوطنية وإسهاماتها في حضارة كونية متعددة الأصوات.

الهدف الثالث: بيان طبيعة العلاقات بين السياسة والاقتصاد والإعلام الدولي إنتاجا وتوزيعا، وبيان الخلل والفجوة بين الدول والكيانات القوية، والدول والكيانات الضعيفة في الإنتاج والتوزيع والمشاركة والانتفاع، في ضوء المواثيق الدولية التي تنص على العدالة والتشارك في موارد الاتصال.

الهدف الرابع: تحديد دور الإعلام الدولي في دعم ظواهر وقضايا تخص السيادة الوطنية والثقافية، مع الإبقاء على خيط التفاعل الحضاري بين الثقافات في إطار معادلة (الانفتاح على الآخر في دائرة الخصوصية الثقافية) وذلك بعرض مسألة الحوار الحضاري وقضية العولمة وقضية الإرهاب الدولي وكيفية تعامل الإعلام الدولي معها.

الهدف الخامس: إكساب الدراسين مهارة الربط بين المنطلقات الفكرية والنظرية وبين التطبيقات الواقعية للإعلام الدولي من أجل فهم أوضح، ورؤية أعمق للعلاقات المعقدة بين النظم السياسية والأنشطة الاقتصادية والتقنية، وبين الوظائف التي يؤديها الإعلام الدولي.

د. عادل فهمي
الأستاذ بكلية الإعلام – جامعة القاهرة

الفصل الأول

الإعلام الدولي
المفهوم والوظائف والأدوات

المبحث الأول:الإعلام الدولي من الماضي إلى الحاضر

أولا – الإعلام الدولي : الماضي والحاضر :

إن تاريخ الإنسان على الأرض هو تاريخ للتنقل والاكتشاف والبحث عن المأوى والمأكل والأمن، واستقاء المعلومات لتقليل عدم اليقين (Uncertainity) الناشيء عن الغموض والجهل بالبيئة المحيطة.وقد اعتمد الإنسان على وسائل تقليدية للتواصل مع الآخرين، مثل الرموز والدخان حتى عصر الكتابة والطباعة، ثم تطورت الوسائل من الإذاعة والصحافة والسينما والتليفزيون حتى عصر الأقمار الصناعية والتواصل الكوني وشبكات الانترنت.

ويلاحظ في العصر الحالي أن معظم الدول تضع الإعلام الدولي في مقدمة اهتماماتها سواء من حيث إنشاء وإدارة شبكات وقنوات إعلامية على نطاق دولي، والإنفاق عليها بسخاء باعتبارها أذرعا ثقافية وعائقة لسياستها الداخلية والخارجية. أو في اتخاذ تدابير مواجهة الإعلام الدولي الوافد إلى مجتمعاتها عابرا للحدود والثقافات.

وقد ألغت بعض الدول في عالمنا العربي وزارة الإعلام، وأنشأت بدلا منها

منظومة إعلامية لحمل خطابها للخارج. ويكاد يصل اهتمام الدول بالإعلام الدولي إلى مرتبة الدبلوماسية أو يزيد، وأحيانا يحقق الإعلام الدولي العصري المحترف للدولة ما لاتحققه الجيوش النظامية بأحدث أنواع الأسلحة، ولا القنوات الدبلوماسية وبخاصة حين يتعلق الأمر بنشر ثقافة معينة أو قيم أو تحرك عسكري أو ترويج لفكرة، أو دعم توجهات سياسية وثقافية معينة.

لقد تطورت طرق البث والتوزيع الإعلامي بشكل غير مسبوق، وتكاملت قنوات البث التقليدية مع قنوات مستحدثة. وأصبحنا في مرحلة "البث الإعلامي الشامل" عبر النت والقنوات الفضائية والإذاعية.وكل هذا يعمل ضمن استراتيجية وطنية وثقافية شاملة للدول لتحقق به مصالحها في نهاية المطاف. لقد تغيرت صورة الإعلام الدولي المعتمد على "إذاعة سرية" تبث من هنا أو هناك، إلى صورة علنية مخططة ومبرمجة بشكل معقد إداريا وتقنيا وثقافيا. إننا في عصر انهيار الحواجز وإن كان التدفق الحر للإعلام ما يزال بيد الأقوى مع محاولات الطرف الأضعف أن يجد لنفسه موقعا على خريطة القرية الإليكترونية.

وقد شكلت الطفرة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدام الحواسيب الآلية والإنترنت على وجه الخصوص، ودخولها في إدارة معظم الأنشطة الحياتية ملامح العصر الحالي. وأتاح التطور المذهل في تقنية الاتصال والمعلومات الذي شهدته السنوات الأخيرة من نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة من نمو متسارع في حركة الاتصالات وشيوع تطبيقات شبكة الإنترنت كوسيلة اتصال جماهيري، متسمات عصرنا الحالي وبرز الإعلام الجديد، والذي لم يكتف بإضافة أبعاد أخرى للاتصال وإنما تخطاه إلى إحداث حالة من التغيير على المستويين الثقافي والاجتماعي. وقد بدا هذا التأثير في كل مفردات

الواقع على مستويات داخلية للثقافة الواحدة وعلى مستويات عالمية بين الثقافات المتباينة.

إننا نمر بمرحلة تتشكل فيها ملامح مرحلة ما بعد "التفاعلية" في عالم التواصل الكوني. وقد سمح ذلك للمستخدمين بالتشارك في إنتاج وتقديم وتوزيع المحتوى الإعلامي، عبر شبكات الإعلام الدولي وشبكات الـ (Social Media). وتتسم وسائل الإعلام الجديد بخصائص منها: مرونة الاستخدام، وتغير وسائله وقنواته بسرعة كبيرة، والتنوع واندماج الوسائل الاتصالية معا، وتجاوز الإعلام الجديد لنموذج الاتصال التقليدي (مرسل /متلقي) إلى ما يسميه ألفين توفلر " المنتهلك" (أي المستهلك والمنتج في وقت واحد) وتعددية الوسائل والفردية والتخصصية، وبروز المحمول كوسيط اتصالي متكامل، والتشارك والتفاعلية وعدم الخضوع للمؤسسات المحلية والسلطات الرسمية بشكل كبير

وفي هذا المبحث يتم التعريف بمفهوم الإعلام الدولي، نشأته، والعوامل التي أسهمت في تطوره، مع توضيح إيجابيات الإعلام الدولي وسلبياته،و أدوات الإعلام الدولي القديمة مثل السياحة والحروب والتجارة والعلاقات الدبلوماسية، والقنوات العصرية مثل وكالات الأنباء الدولية والإذاعات الموجهة والقنوات الفضائية، والنشاط الفني والإنتاج الثقافي، المؤسسات الكبرى التي تمتلك وتدير الصحف الدولية وخدمات الإنترنت.

١- متى بدأ الإعلام الدولي ؟

يعد سؤال "متى" ؟ البداية المنطقية في فهم الأحداث التاريخية وتوصيفها بشكل سليم.

إن بدايات الإعلام الدولي تمتد إلى فترات سحيقة من التاريخ حين سعى

الإنسان إلى التعرف على هذا الكوكب، فهاجر من موطنه إلى مواطن أخرى، وصارع غيره من أجل البقاء، وتحالف مع غيره من أجل الحصول على المأكل والأمان.

لقد شكَّل النظام السياسي للإسكندر المقدوني (والذي بدأ في مقدونيا وسيطر في بادئ الأمر سيطرة تامة على الحوض الأفريقي ومن ثم الحوض المصري وحوض بلاد ما بين النهرين وحزام الوصل الإيراني عبر منطقة التفاعل الأناضولية وكان يرتبط بشكل مباشر مع الحوض الهندي)،شكَّل أول منطقة تفاعل كبرى لها تأثيرات باقية حتى الآن. وفي هذا الخصوص هيأت إمبراطورية الإسكندر التي كان لها تأثير شمولي على مستوى أصغر، السبيل لنقل الأبعاد الفلسفية والثقافية والسياسية والاقتصادية بين الأحواض الحضارية الأساسية في جميع أنحاء القارة الأفريقية والقارة الأورآسية. فلقد أصبحت الإسكندرية وهي المدينة الرمزية لإمبراطورية الإسكندر "مدينة متعددة الثقافات" بها مكتبة ذات تواصل حضاري، مدينة تنقل تراكمات الحضارات القديمة حتى بعد موت الإسكندر الأكبر. ولقد تحولت عدة مدن أخرى سميت باسم الإسكندر في المنطقة الممتدة من الأناضول إلى الهند إلى محطات لنقل المواد والأشكال الثقافية.([1])

وحين نقترب أكثر من حركة التاريخ سنجد أن الاحتكاك بين الحضارات الكبرى بدأ مبكرا بين حضارتي الفرس والروم، وحين ظهر الإسلام شكل كيانا حضاريا ثالثا، وحدث التلاقي بينه وبين الفرس والروم على أرض التعريف

---

١) أحمد دافو أوغلو، التعددية الثقافية في الحضارات العالمية – الإطار التاريخي والنظري في ندوة الحج، مكة المكرمة، ٢٠٠٤ م

بالدين الجديد، وعلى أرض المعارك أيضا، ومن كل هذه التدافعات حدث التعرف كل على الآخر. وقد تروح تاريخ الحضارات بين الصدام والتعارف والتعاون، لكن المؤرخين يؤكدون على أنه لم تستطع حضارة فرض هيمنتها بالكامل على حضارة أخرى ولم تمتزج ثقافتان لتشكلا ثقافة واحدة.

وحين ننظر إلى مراحل الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارتين الكبريين (حضارة الشرق وحضارة الغرب) سنجد أن الصراع انحصر في أغلب الفترات التاريخية بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الغربية في أروبا.

بينما لم تشكل حلقات الصراع مع الحضارات الشرقية في الهند والصين عقبة في سبيل التعارف والتعاون. ولذلك لم تحمل الحضارة الشرقية من الماضي ميراثا من العداء للعرب الفاتحين، وذلك يرجع لعدة أسباب منها:

- أن بلاد الشرق هي أول بلاد فتحها العرب المسلمون.
- أن بلاد الشرق (إيران حتى حدود الصين) أسبق للاندماج في الحضارة الإسلامية والتأثر بها، وتقبلوها وأنتجوا باللغة العربية كثيرا من المؤلفات في شتى التخصصات. ويلاحظ أن أغلب علماء الحضارة الإسلامية كانوا من بلاد الشرق.
- أن الحضارات الشرقية ذات رؤية ذاتية متمركزة حول ذاتها، وليست ذات نظرة توسعية فلم تنافس الفاتحين على النفوذ. وهذه النظرة إلى الذات وإلى الآخر خففت من الصدام مع الحضارة العربية، وإلى الآن يعد التعاون الاقتصادي والتفاعل الثقافي هما أبرز مظهرين للعلاقة بين الحضارات الشرقية والحضارة العربية الإسلامية.

٢- جذور الصراع الدولي على المنطقة العربية:

حين نعود لتفسير دواقع الصراع على المنطقة العربية يمتد بنا التحليل إلى جانبين هما: البعد التاريخي، والتوجهات الفكرية للمفكرين الغربيين حول إمكانية الحوار مع الأنصار الحضارات الأخرى.

أ) البعد التاريخي للصراع:

يؤكد المؤرخون أن حلقات الصراع بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الغربية لا تشكل من وجهة النظر العربية –الإسلامية في أغلبها صراعا مع "المسيحية"، بل العكس، فإن تخلى هذه الحضارة الغربية عن القيم الدينية بشكل عام، هو الذي دفعها إلي طريق الصدام مع الحضارة الإسلامية.

وإذا كانت مسيرة الصراع التاريخية بين الحضارتين قد أخذت بعدا دينيا بين المسيحية والإسلام إبان الحروب الصليبية وبعدها، فإن أصحاب المصالح السياسية والاقتصادية في أوربا هم الذين دفعوا الشعوب الغربية إلي هذا الصراع لتحقيق هذه المصالح، مستغلين "الشعور الديني" الذي لا يحمل في حقيقته طبيعة الصراع، وإنما شوهوا مجموعة المبادئ والقيم في كلا الديانتين حتى يجدوا مبررا لإحداث هذا الصراع، فشكّل البعد الديني قناعا زيفوه بقصد تحقيق مصالحهم.

ومما يؤكد هذا الأمر ما اتسمت به الديانة المسيحية من تسامح ومحبة، كما أن أسس الإيمان في الإسلام تقوم على الإيمان بالله وكتبه ورسله وعدم التفريق بين أحد من الرسل.

ويؤكد العلماء على أن الدين يشكل محورا مهما في أي حضارة من الحضارات البشرية قاطبة، وهو أمر يفتح دوما الباب لتقبل كل هذه الحضارات

التي قسمها أرنولد توينبي إلي:

- الحضارة الغربية المسيحية { في أوربا وأفريقيا }.
- الحضارة الشرقية الأرثوذكسية {مركزها روسيا }.
- الحضارة الهندية {هندوسية وبوذية وهيمايانا}.
- حضارة الشرق الأقصى {بوذية –ما هايانا}.
- الحضارة العربية الإسلامية.

وبالنظر إلى الحضارة العربية: نجد أنها تحتل منطقة جغرافية من أغزر الحضارات الإنسانية عمقاً؛ لامتزاج الحضارات في فترة ما بعد الإسكندر الأكبر فيها، فهي أهم مراكز الحضارة لموقعها بين حضارة المتوسط والحضارة الهندية والأسيوية والأفريقية والأوربية.

٣- دوافع الاهتمام الدولي بالمنطقة العربية:

يعتقد البعض من الباحثين في مجال الإعلام الدولي أن الظاهرة حديثة وأنها ظهرت فقط مع الحروب العالمية، الأولى والثانية. لكن المؤرخين يتجهون إلي اعتبار فتح القسطنطينية سنة **٨٥٧**هـ الموافق سنة **١٤٥٣** ميلادية، بداية مرحلة جديدة في التاريخ الأوربي والعالمي، ليس على الصعيد السياسي فقط ولكن على كافة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، والتي تشكل في مجملها العوامل التي قامت على أساسها الحضارة الأوربية الحديثة المعاصرة.

ففي الوقت الذي كانت فيه أوربا تفيق من صراعاتها، كان العرب على أبوابها يحاولون الدخول بدينهم الجديد..مما كوّن ردة فعل غاضبة ومحورية في النظر للعرب القادمين من الجزيرة العربية، ومن يومها بدأ تشكيل مفهوم الصراع الأوربي مع الإسلام على النفوذ والتوسع.

وإذا كانت الأزمات تنطوي على فرص، فقد أدى دخول العرب إلى أوربا، وما تلاه من توسع الإمبراطورية العثمانية في شرق أوربا، إلى حدوث هجرات اجتماعية إلي وسط وغرب أوربا، أسهمت بدورها في إيجاد مشكلات اقتصادية واجتماعية، شكلت دافعا للمفكرين للبحث عن كيفية حلها.

وعلى الصعيد الديني والفكري، كانت هجرة مجموعة من رجال الدين "الأرثوذكسي" واضطرارهم إلي التلاقي مع أعدائهم التقليديين من "الكاثوليك" عاملا من عوامل التخلي عن الكثير من القيم الدينية التقليدية التي كانت تثير العداء بينهما، والتحول عنها إلى جوانب فكرية بعيدة عن الجانب الديني.

وقد انقسمت الاتجاهات الأوربية الرئيسية في تفسير ما حدث بين الغرب والعرب إلى ثلاثة تيارات رئيسية: ([1])

التيار الأول:يرد هذا التراجع المسيحي أمام العرب المسلمين إلي البعد عن التعاليم الكنسية الصحيحة، وهذا فتح الباب لظهور تيار"الإصلاح الديني" الذي كان في حد ذاته تمردا على هذه التعاليم المسيحية.

التيار الثاني:أرجع الأمر إلى تفوق التعاليم الإسلامية، وأنها ليست شيطانية كما رآها التيار الأول، فأقبل الكثير منهم على اعتناق الإسلام فيما يسميهم المفكرون الأوربيون " بحركة الزندقة".

التيار الثالث:اتجه كلية إلي الابتعاد عن التعاليم الدينية برمتها، والعودة إلي الفكر القديم وجذوره اليونانية والرومانية؛ ونتج عن هذا التيار وجود المذاهب الفكرية كالوجودية والواقعية والتجريبية وغيرها.

---

١) زكريا سليمان، بحث الإسلام والغرب بين التقبل والإقصاء، ٢٠٠٤، مؤتمر رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة

هذه التيارات في مجملها قد ربطت بين نجاح أهدافها، وبين ضرورة السعي لتقليص دور "السلطة الدينية" آنذاك، التي ارتبطت في هذه الفترة بالنظام الإقطاعي وأصبحت جزءا منه ؛ وبالتالي شكلت حلقة من حلقات الظلم الاجتماعي في أوربا.وكونت رأيا عاما أخذ بتنامي طوال العصور الوسطى ومطلع العصور الحديثة يدير ظهره للتعاليم الدينية، بل ويعلن العداء لها. وقد شارك فيها حتى تيار الإصلاح الديني بكافة توجهاته ومذاهبه،وأصبح الإعلان عن التمسك بأي من تعاليم الدين دربا من دروب التخلف ينبغي التصدي له. وأصبح هذا الاتجاه سائدا في أغلب الأقطار الأوربية في التاريخ المعاصر، ويشكل المحور الأساسي في الثقافة المكونة للعقل الأوربي، وبخاصة بعد التحول المادي المتسارع الذي صاحب النمو الحضاري المعاصر.

ولهذا يرى د.سليمان أن هذا التيار الحضاري الأوربي من الصعب أن يقيم حوارا مع الحضارة الإسلامية سواء لهذا التكوين الفكري، أم للموروث الثقافي في أوربا المعادى للإسلام على خلفية حلقات الصدام التاريخي في الأندلس أو مع الإمبراطوية العثمانية.و الذي أصبح يتم بثه عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية بما يسهم في تكوين صور نمطية للعرب والمسلمين (Stereotypes).

ولعل هذا الكم الهائل من "الموروث الثقافي الأوربي" لم يعد يسمح بعودتهم للنظر في مبادئ الديانة المسيحية التي تدعو إلى التسامح والمحبة. وبالطبع لا تسمح في الغالب باطلاع الأوربيين على تعاليم الإسلام التي يمكن أن تسهم في تخفيف حدة نظرتهم العدائية للآخر.

والطفرة العقلانية تؤكد على أن إعادة التوازن للعلاقات الحضارية بين الإسلام والغرب مرهون بمدى نجاح الطرفين في تجاوز ميراث العداء إلى ساحات التلاقي على قضايا مشتركة، ويصبح استخدام وسائل العصر من أدوات

الإعلام العام والعابر والعاجل للتعريف بحضارتهم ومواقفهم ومبادئهم أمرا حيويا ومعيارا للرقي العقلي للطرفين. كما يعد وجود الأقليات داخل دول أوربا وأمريكا جسرا للتعرف التدريجي على الإسلام ومنهجه بشكل يسمح بنجاح نسبى لفكرة حوار الحضارات. مرتكزين على البعد الروحي والثقافي القيمى للحضارة الإسلامية، والمباديء الروحية الإنسانية العامة.

٤ - الاتجاهات الفكرية الغربية في الصراع الدولي:

١/٤) اتجاه يؤمن بالمخاوف من النزعة المادية والخواء الروحي:

من أنصار هذا الاتجاه النقدي الفيلسوف "نيتشه" الذي يرى الحضارة الغربية المادية " تضطرب كلها منذ زمان في عذاب من توتر يزداد سنة بعد أخرى، فهي قلقة عنيفة متدفقة كمثل السيل المندفع نحو الهاوية وتخافهذه الحضارة أن تراجع نفسها.

ويرى "شبنجلر" أن الحضارة الأوربية لم تكن طوال وجودها ولا زالت بعيدة من حيث المضمون عن المسيحية كل البعد، وإن كان لا يوجد فيها أي نظام للحياة الدينية سواء أكان ذلك سياسيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا، وتوقع شبنجلر الفناء للحضارة الغربية.

وأشار "شبنجلر" إلى صعوبة فهم أفراد تابعين لحضارة ما كافة جوانب الحضارة الأخرى. ومع تشاؤمه بمصير الحضارة الغربية، فقد شارك غيره في إعجابه بالحضارة الإسلامية مثل توينبى أرنولد، وأقر بأن الإسلام بديل حتمي.

واتجهت باحثة ألمانية أخرى هي "آرا مارى شمل " إلى القول بأن المرء إذا حاول الرجوع إلى جذور الحضارة التي يجهلها، يتكشف له الكثير ويصبح قريبا إلى الفهم، حينئذ يتبين للغرب أن مصطلح " الحرب المقدسة " الذي استهلك

باستخدام وسائل الإعلام، هو مصطلح لا علاقة له بالإسلام، ولا يمت من قريب أو بعيد بمصطلح الجهاد وإنما هو مصطلح من مخلفات الحروب الصليبية.

هذه الرؤى مضافا إليها مواقف عقلاء كثيرين في الغرب يرون ضرورة التواصل والحوار بين الغرب والحضارات الأخرى، لمواجهة مخاطر كبيرة تواجه الجميع، وهذا جانب مهم لكنه ليس التيار العام المسيطر على الإعلام الدولي الموجه من الغرب للمنطقة العربية.

٢/٤) اتجاه مؤمن بالمصالح المادية للغرب في المنطقة العربية :

على الرغم من وجود طابع ديني مسيحي للحضارة الغربية، إلا أنه دوما يتضاءل أمام التوجه العقلي والمادي الذي يتنامى فيها، وإذا كانت فترة العصور الوسطى قد شهدت دورا ر للبعد الديني في دفع عجلة الصراع مع الشرق الإسلامي من قبل أصحاب المصالح، فإن التاريخ المعاصر يتجه في الاتجاه نفسه بقاعدة أقوى لتضاؤل الجانب الديني وغلبة البعد المادي تماما، ولهذا تتجه الحضارة الغربية إلى تحقيق مصالح إستراتيجية مادية،حتى ولو كان قناعها حوار الحضارات كما ذهب بعض الكتاب في مجال الحديث عن الصراع الاستراتيجي على مصادر الطاقة".

٣/٤) اتجاه يؤمن بحتمية الصدام بين الحضارات :

عقب تفكك الاتحاد السوفيتي السابق عام ١٩٨٩ م مهد مقال الكاتب الأمريكي "فرانسيس فوكاياما" في مجلة national interestلهذا التوجه حيث قال: إن الديموقراطية الليبرالية أفضل نظام للحكم وأن الأنظمة الأخرى قد شابها العيوب وسقطت، وذهب فوكاياما إلى أن الديموقراطية هي نهاية التطور الفكري للإنسان، وأنها تشكل التصور النهائي لنظام الحكم البشري، وبذلك حاول

فوكاياما أن ينقض ما قال به هيجل وماركس من أن تطور المجتمع البشري لا نهائي ". (1)

كما بالغ فوكاياما في قدرة النظام الديموقراطي الغربي على حل المعضلات الخاصة بكل ثقافة على حده، وتغافل عن عيوب النظام الديموقراطي الليبرالي ذاته، التي تتمثل في تسلط النخب على الشعوب بآلية التمثيل النيابي التي تتخللها ممارسات الصراع والاستخدام المكثف للدعاية الانتخابية.

ويعد مقال وكتاب "صمويل هنتنغتون" (١٩٩٣-١٩٩٦) رؤية لما بعد الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩ م تبشيرا بعودة نظرية القوة وحتمية فرض النموذج الغربي عالميا، فيما عرف بنظرية "صدام الحضارات" حيث قال بأن هناك حضارات جمعية وتوقع قيام حضارات جديدة صينية وهندية وإسلامية لترث الحضارة الغربية.

لكن النقاد لم يتركوا نظرية حتمية الصراع لهنتنتجتون، بل قالوا إنها خارطة جيدة ثقافية للحرب السياسية الباردة. وأن الحضارات تتشابك وتتداخل، وأن الصراعات الأكثر دموية تحدث داخل الحضارة الواحدة. وأن حتمية الصدام بين الصين وأمريكا من مقولاته مع أن هذا الصدام لا يبدو حتميا.و أن الصدامات الكبرى تحصل في المقام الأول داخل الحضارات لا بينها. (2)

ولاشك أن مثل هذا التفاعل الثقافي القائم والمنتظر بين الحضارات يؤكد من البعد التاريخي والبعد المعاصر والبعد المنتظر مايراه البعض من أنه " تداخل ثقافات وإسهامات حضارية متبادلة،وليست كيانات حضارية جامدة كل يقف

---

١) سامي الشريف وثريا البدوي، مرجع سابق، ص ص ٢٤٥-٢٤٦

٢) بيتر جي كاتزنشتاين، الحضارات في السياسة الدولية: وجهات نظر جمعية وتعددية، ترجمة: فاضل جتكر، عالم المرعفة، عدد٣٨٥ فبراير ٢٠١٢ ص ٢٠ - ٢٣

أمام الآخر. وهو ما يشير إلى خطأ تصور هننتنجتون صاحب نظرية الصدام، وكذلك برنارد لويس المستشرق الأمريكي في حتمية الصدام الحضاري، وأن فرض حتمية الحرب بين هذه القوى ليس ذات موضوع، ولن يحل ذلك التشابك الحضاري القائم،والمنتظر نموه من خلال الحوار لا الصدام.

٤/٤) اتجاه يؤمن بالحوار بدلا من الصدام:

على الرغم من أن فكرة صدام الحضارات، وحتمية الصدام بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية ومن ورائها حضارا الشرق الأقصى، فقد ساد على السطح بعد أحداث أمريكا في ١١سبتمبر ٢٠٠١م وهو ماتجلى بوضوح في منتدى صدام الحضارات الذي عقد في مصر في ١٠ نوفمبر ٢٠٠١م مستندين على مقولة الرئيس الأمريكي بوش عن بدء قيام " حرب صليبية جديدة " ومقولة رئيس وزراء إيطاليا " بيرلوسكوني "،وإعادة التذكير بمقولة سابقة لرئيسة وزراء بريطانيا "مارجريت تاتشر" بعد انتهاء الشيوعية من أن " الإسلام هو العدو الأكبر القادم الواجب التصدي له ".

ومع منطقية وواقعية فكرة الحوار الحضاري، إلا أن الأحداث والأهداف المعلنة للغرب تدعونا للحذر في التفاؤل لأن الصوت الأعلى مع ضرورة الصدام الذي يسير فيه السياسيون الغربيون والذي يتمثل في إشعال الحروب في المنطقة التي تشهد صحوة ذاتية، ويسعى الغرب لمحاصرة منابع الوعي الديني فيها. وقد تجلى هذا في أحداث الربيع العربي حيث تصدعت بعض الدول ونشبت بها الحروب الأهلية وغلب التفتت على الدولة الواحدة.

إلا أن البعض الآخر يرى أن الصدام بين الحضارة الغربية وبين قوى بازغة كالصين والهند وغيرها، هو القضية الأكبر، وأن ضعف المسلمين لا يشكل ندية حضارية للغرب وهذا يقلل من فكرة الصدام الحتمي مع الحضارة الإسلامية،

وأن الأهداف الحالية تكمن في سيادة فكرة العولمة والبحث عن مصالح اقتصادية لدعم الهيمنة من هذه الناحية.

ودعما لتوجه الحوار الحضاري، فقد أسهم بعض الساسة الغربيين في هذا التوجه. فقد كتب البروفيسور د. رومان هيرتسوج رئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية سابقا مقالاً أشار فيه إلى أن: " كل حضارة هي نتيجة لتاريخ طويل. وكل شخص ينتمي إلى هذه الحضارة متأثر بالغ التأثير وبشكل يمس عواطفه بتطورات وتحولات موروثة تعود إلى عدة قرون من الزمن، وتتحكم في تصوراته وتجاربه في الحياة. وعلاوة على ذلك فإن الحضارات المختلفة كانت دائماً خلال عمليات التماثل فيما بينها تميل إلى الابتعاد عن بعضها، والتأكيد على العوامل التي تفرق بينها أكثر من تأكيدها على العوامل المشتركة ".

وعندما نطالب بالحوار بين الحضارات فلا يستطيع أحد أن يتوقع أن هذه الحضارات ستدخل في عهد يطبعه الحوار بمجرد إصدار أمر بذلك. إن التفهم للسير البطيء للتحولات الحضارية، والتحلي بالصبر، علاوة على قدر كبير من الواقعية كلها عوامل يمكن اعتبارها خصالاً طيبة لكل من يدلج في مثل هذا الحوار. وباعتبار أن هذا المشروع يعد مشروعاً بعيد المدى فينبغي الدخول في هذا الحوار في أقرب وقت، خاصة وأن الاتصالات بين الحضارات تعرف يوماً بعد يوم نمواً متزايداً بشكل أو بآخر. وقد أنتهت العزلة التي كانت سائدة لعدة قرون بسبب ماحدث من عمليات تكامل بين دول العالم عن طريق الاتصالات الدولية والهجرة ووسائل الاتصال والعلاقات الاقتصادية المتبادلة.

في أول وهلة يبرز لكل طرف ماهو خافٍ عنه لدى الطرف الآخر مما يبعث على شعوره بالخوف ويدفعه إلى اتخاذ مواقف دفاعية. وهناك من يتحدث في هذا الصدد عن وجود خطر داهم بحدوث صدام عسكري بين الحضارات

كما لو كان هذا الأمر حدثاً بديهياً من أحداث التاريخ الحتمية، لكن ذلك لاينبغي أن يؤخرنا عن اتخاذ اجراء بديل هو الحوار الحضاري.

ومن جانب آخر فإن مسعى اليهود من خلال السعي لسيادة الديمقراطية الرأسمالية التي يراها البعض في شكل ديكتاتورية رأس المال وسيلة من وسائل السيطرة الاقتصادية على الشعوب، ويصاحب ذلك السعي لإذابة العوائق الدينية والقومية التي تحققها العولمة وما يساعدها في هذا المضمار من مؤسسات وجمعيات كحقوق الإنسان وغيرها، كلها تدور في إطار تحقيق هدف السيادة والهيمنة العالمية التي وإن بدت غربية، إلا أن الهيمنة الاقتصادية والاعلامية تصب في خدمة الحفاظ على الكيان الإسرائيلي.

ومما يدعم هذا الاتجاه في أن اليهود هم الذين يدفعون الغرب إلى صدام الحضارات أن صموئيل هنتنغتون صاحب نظرية صدام الحضارات لم يكن في حد ذاته واحداً من المفكرين أو المثقفين المعروفين على ساحة الفكر الغربي، أو له رصيد فكري يسمح بأن يكون من المنظرين بنظرية الصدام عام **١٩٩٣**م وهو ما نشرته إحدى الصحف الأمريكية المتخصصة فى الشؤون الخارجية والتي تخضع لتأثير عناصر يهودية.

كما نشر هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي السابق واليهودي المتعصب ليهوديته كتاباً أشار فيه إلى أن " الإسلام أو الخطر الإسلامي هو تحد للحضارة الغربية يفوق حد التحدي الشيوعي السابق،وهو أمر يؤكد أن التوجه اليهودي بشكل عام يحاول التأثير الذي يمتلك أدواته . على الغرب عموماً لتبنى وفرض فكرة الصدام الحضاري وليس التحاور مع العالم الإسلامى.

إن قراءة في خريطة الإمبراطوريات الإعلامية الكبرى في العالم تبين أن التحكم فيها للمال اليهودي مثل مجموعة "روبريت ميردوخ الإعلامية" التي

تشمل: كبريات الصحف مثل:التايمز والصن والصنداي تايمز في بريطانيا، وتشمل ١٥٠ مطبوعة في استراليا موطن ميرودوخ، وتضم قمرا صناعيا (BskyB) و(Fox news of X)، و(National geographic channel)، وتضم شركات) Fox Movies)القرن العشرين، و(Fox Searchlight Picture)، و(Blue Sky Studios)، وإنتاج فني آخر من ألعاب الفيديو والإنترنت التي يوليها ميردوخ عناية خاصة ويستثمر في الإعلام الجديد بشكل واضح ويقيم شراكات مع رؤوس اموال عربية أيضا، وله سيطرة في سوق الإعلانات والتسويق والكتب والإذاعات.

هذا النموذج الإعلامي "امبراطورية ميردوخ" هو خير مثال لتزاوج "المال والسياسة والإعلام "لخدمة مصالح قوى معينة، وأن الحديث عن توازن التدفق الإعلامي مجرد خيال، وأن الاستقلال في مجال الإعلام مجرد حلم يسير خلفه الرومانسيون، وما يفيد دراستنا لموضوع الإعلام الدولي، هو تحقيق أهداف سياسية واستراتيجية يخدم فيها الإعلام السياسة ويحقق الأهداف السياسية والاقتصادية والثقافية على مستوى عالمي.

ومع أن أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١م في ضرب مركز التجارة العالمي في نيويورك ووزارة الدفاع في واشنطن قد راكمت أثراً بالغاً في نفوس الأمريكيين وحملتهم على تقبل التوجه الإعلامي اليهودي وغيره المعادي للحضارة الإسلامية، إلا أن قدراً كبيراً من الرأي العام الأمريكي بدأ يعيد النظر في علاقته مع الحضارة الإسلامية بنفس حجم التوجه الغالب في أوربا، وأن قسماً كبيراً من هذا التوجه أصبح يميل إلى فكرة حوار الحضارات لا إلى صدامها كما يروج لها اليهود وشركات إنتاج السلاح وغيرهم من أصحاب النظرة الحضارية المتعصبة.

٥/٤) اتجاه يسعى إلى إزالة المخاوف حول العولمة وحوار الحضارات:

هذا الاتجاه أنصاره من " الجبهة الفرنكفونية" التي تقودها فرنسا، ودوره في هذا الإطار الإجابة على سؤال" كيفية الحفاظ على "التعددية الثقافية" في مواجهة أحادية العولمة، التي ترمي إلى تذويب هذه الخصوصيات بل وسحقها؟

لكن هل تستطيع الفرنكفونية التي تضم خمسة وخمسون دولة، أن تتولى هذا الدور أو جزء منه ؟ وهل يمكن أن تقوم بدورها ضد الدعوة لصراع الحضارات؟

إن أهداف الفرنكفونية الدولية تتلخص في اقتراح قراءة جديدة للعلاقات الدولية تقوم على احترام كرامة الشعوب والأمم، وعلى تطوير أو تقدم كوكبنا في شكل أكثر توازناً وتناغماً.

وإذا كانت هيئة الأمم المتحدة قد أطلقت فكرة الحوار الحضاري. وأن الفرنكفونية قد سايرت هذا التوجه، فإن الأمر لم يقف عند حد المنظمات الدولية، بل تعدتها إلى دول أو مجموعات من الدول تطرح وتؤيد هذه الفكرة، ووصلت هذه المبادرات إلى أكثر عشرين مبادرة.

ومن أهم هذه المبادرات مبادرة "إيران" الخاصة بحوار بين حضارات العالم القديم (مصر وإيران واليونان وإيطاليا) فعّلتها عبر حوارات برلمانية من خلال حوار ثقافي يشير إلى دور هذه الحضارات فى الحضارة الإنسانية، حيث مرّ كل منها بمراحل وأطوار حضارية متعاقبة ومتداخلة دون إحساس بالتناقص أو فقدان الهوية.

وهناك المبادرة الألمانية الخاصة بالحوار بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية ضمت فى عضويتها العديد من الدول الممثلة للحضارتين.

وترتكز جهود هذه المبادرات على فكرة الحوار الحضارى بقصد التصدى لمروجى فكرة الصدام ولعل بعض مؤيدى هذا التوجه قد دفعتهم أغراض سياسية للحفاظ على تحالف الغرب بدلا من تنافس دوله اقتصاديا وسياسيا،كما هدف البعض إلى محاولة تذويب الأحقاد الدفينة من قبل الحضارة الغربية لحضارات الشرق عموما والإسلامية على وجه الخصوص.

ومع ذلك، وبشكل عام، يمثل هذا الاتجاه الداعى إلى الحوار –لا الصدام – اتجاها متوازنا ومتعقلا ويعتمد على معرفة أكثر عمقا لأتباع هذه الحضارات كل بالأخر، ويسعى إلى التخلص من الصور النمطية السلبية التى توظفها بعض الجهات المغرضة مستخدمة فيها وسائل الإعلام المتعددة على نطاق واسع. وتعكس رغبة متبادلة فى التعايش والتفاهم والتعاون لحل مشكلات كثيرة تواجه العالم من أبرزها ما يمكن أن يحدث من حروب عرقية وقومية ودينية، قد تؤدي إلى دمار البشرية، وأن الحوار يمكن أن يسهم فى إيجاد بيئة دولية سليمة ومستقرة تقوم على أساس الاحترام المتبادل، والمساواة بين الثقافات والحضارات المختلفة، وعدم ازدراء الآخر والحط من شأنه، والاعتراف بوجود تباينات واختلافات بين الحضارات والثقافات وهو ما يعكس حقيقة خصوصية ظروف وتطور كل حضارة.

وفى مطلع الألفية الثالثة انعقد مؤتمر لمنظمة المؤتمر الإسلامي فى الدوحة ليعلن أن " مبادرة الحوار الحضارى تشكل إطارا جديدا ورؤية عالمية لنظام دولى متكافىء يقوم على الشمول والمشاركة والتفاهم المتبادل، والتسامح بين الشعوب والأمم وأنه فى هذا الإطار يتعهد المؤتمرون بمواصلة بذل الجهد من أجل نشر الصورة الحقيقية للإسلام وأهميته كمصدر أساس للحضارة الإنسانية فى الوقت الذى تتوالى فيه الأحداث لتشويه هذه الصورة بأساليب شتى. وتعقد العزم على

تحقيق وحدة الأمة الإسلامية عن طريق التمسك بقيم الدين وإذكاء روح التضامن والتسامح والإخاء التى ينادى بها الإسلام لكل مايجمع بين الناس من قيم ومصالح مشتركة.

ومن يراقب الخريطة الإعلامية الدولية الآن يجد تنوعا كبيرا في القنوات والوسائل من كل الحضارات تتصارع على كسب عقول وقلوب البشر بطرق شتى، وتتنافس على طرح رؤية كل حضارة للعالم.

٥- اتجاه يؤمن بالتحرك الاستباقي الاستراتيجي لمنع قيام قوى دولية كبرى:

يرى بعض منظري الغرب أن الماركسية نتيجة من نتائج النمو الرأسمالي ولهذا فهي وليدة الحضارة الغربية، ولم تكن تحمل جذورا ثقافية تجعل لها مقومات الصمود والتصدي للحضارة الغربية وأن سقوطها عام ١٩٨٩،لم يقلل من المخاوف من قيام كيانات كبرى تعارض الغرب وتتحدى مصالحه.

ولذلك يرون أن الإسلام الذي يسيطر على المنطقة العربية وما حولها يحمل خاصية عالمية وثقافية وعقدية، ترشحه لمرتبة التدافع مع الحضارة الغربية على المستوى الكوني بشكل يتجاوز الحدود الإقليمية والقومية،ويستطيع الوقوف أمام النظرية الرأسمالية الديمقراطية في شكلها الأوربي والأمريكي.وبخاصة حين تتصل الصين مع روسيا مع العالم الإسلامي بحيث تشكل قوى جغرافية من ناحية أخرى قد تتحدى الغرب في القرن الحالي.

وبناء على هذه الفرضية وأن الولايات المتحدة الأمريكية ومن خلفها أوربا تدفع القوى الداخلية في الشرق الأوسط للصراع حتى لا تشكل قوة تضاف إلى قوى الصراع أو التنازع حول الموارد. وترى أمريكا أن هذا هو السبيل – أو

أحد السبل – في تحقيق أهدافها ومنع أو تأخير قيام تحالفات جديدة مضادة للغرب.

ويمكن إجمال العوامل والأسباب التي دفعت الغرب والحضارات الشرقية أيضا إلى الاهتمام بتوجيه إعلام باللغة العربية لمخاطبة شعوب المنطقة العربية فيما يلي:

- ادارا له القوى العظمى لأهمية مئات الملايين من البشر الذين يتكلمون باللغة العربية، إما لكونهم مستهلكين، أو لكونهم كتلة بشرية مؤثرة في القرار السياسي الداخلى والخارجي.
- أهمية المنطقة العربية بالنسبة لمصالح الدولة الكبرى؛ نظراً لأهميتها الإستراتيجية البالغة للأمن والسلام الدوليين. وإشرافها على الممرات المائية من مضيق هرمز إلى باب المندب وقناة السويس.
- أهمية العلاقة الخاصة التي تربط بين دول المنطقة العربية والدول الاستعمارية الكبرى منذ زمن بعيد، وكانت هذه الدول من أوائل الدول التي اهتمت ببث إذاعات موجهة باللغة العربية، فقد سبقت كل من إيطاليا وبريطانيا وفرنسا غيرها من الدول في هذا الميدان، وحرصت على المحافظة على مكانتها ومصالحها في المنطقة العربية بمختلف السبل من الإذاعات الموجهة والقنوات الفضائية والصحف الدولية وغيرها من أشكال الإعلام والتواصل الحديثة.
- استمرار وجود الأزمات السياسية والعسكرية التي تشهدها المنطقة العربية، ولاسيما بعد قيام دولة إسرائيل، فضلاً عن الخلافات والصراعات السياسية التي تقع من وقت لآخر بين الدول العربية بعضها

وبعض. والتي وصلت إلى حد المواجهة العسكرية في كثير من الأحيان مما أضفى على هذه المنطقة صفة (السخونة) وجعلها محل اهتمام العالم كله.

- أهمية المنطقة العربية كقوة شرائية ضخمة، وكسوق مستهلك لمنتجات وبضائع الدول الصناعية الكبرى. لذلك يتم توجيه إذاعات باللغة العربية لأغراض اقتصادية وتجارية لتحقيق هذه الأهداف.
- رغبة العديد من الدول العربية في توجيه إعلام باللغة العربية لتوثيق الصلات مع شعوب المنطقة العربية والمسلمين في العالم، ولتوصيل صوتها إلى الشعوب الغربية والشرقية لدواعي دينية أو سياحية تجارية.
- التواجد المسيحي في المنطقة العربية والثقل الذي يمثله المسيحيون في بعض دول المنطقة، مما كان سبباً في توجيه إذاعات باللغة العربية لأغراض دينية للتبشير بديانة السيد المسيح؛ ولذلك كانت المنطقة العربية هدفاً للعديد من الإذاعات الدينية المسيحية.

و هكذا تتعدد الأسباب والدوافع لاستهداف المنطقة العربية بإعلام موجه ومخطط، وقد انتبهت الدول العربية فبدأت في إنشاء وإدارة ادوات الإعلام الدولي للدفاع عن مصالحها.

المبحث الثاني:الإعلام الدولي:وظائفه وأدواته

١- تعريف الإعلام الدولي:

"الإعلام الدولي"،"الاتصال الحضاري" أو" التواصل الثقافي" أو (Cultural Communication)، "الاتصال الثقافي": هو أحد مستويات عملية الاتصال التي تبدأ بالاتصال الذاتي بين الفرد ونفسه، ثم الاتصال الجمعي والاتصال الجماهيري، ثم الاتصال الحضاري بين الشعوب والأمم المختلفة. لكن أشهر هذه التسميات إلى الآن:"الإعلام الدولي"، وإن كانت الأوضاع والتطورات تجعلنا نوسع المفهوم ليكون: "التعارف الثقافي "؛ ذلك لأن الثقافات مختلفة وتتسم بالخصوصية، والتعارف هو النتيجة النهائية لكل عملية اتصال، وتفيد معنى التفاعل الذي لا يسمح لطرف بأن يتحكم ويسيطر كليا على العملية الاتصالية على المستوى الدولي.

كما أن نسبة الإعلام للدول تضيق المفهوم حيث هناك جماعات وقوى وتوجهات عابرة للدولة تبث رسائل على المستوى الدولي.

تعريف "الإعلام الدولي": "هو نشاط اتصالي تمارسه دول –أو مؤسسات ومنظمات وأفراد– على المستوى الدولي، لأغراض سياسية وتجارية وثقافية ودينية، بقصد التأثير على المتلقين خارج حدود الدولة، أو خارج نطاق الثقافة، للتعبير عن قضاياها ورؤيتها وصورتها ومصالحها لدى الغير".

وأهم خصائص هذا التعريف ما يلي:

- أن الإعلام الدولي عملية " تواصل بين أفراد أو جماعات من دولتين، أو ثقافتين أو حضارتين.

- قد يتخذ الإعلام الدولي قنوات مباشرة أو غير مباشرة.([1]).

- إنه مفهوم شامل لم يعد يقتصر على ما تسمح به الحكومة أو لا تسمح، فإذا كانت وسائل الإعلام ووظائفه تعبير عن بقية أوجه الحياة المعاصرة السياسية والاقتصادية والثقافية، فإن مفهوم الإعلام الدولي يتسع ليشمل الوظائف التقليدية والمستحدثة.

- التعريف يضم كافة أوجه النشاط الاتصالي والإعلامي والفني الذي يحمل قيم ومعلومات ومعارف ومشاعر ومضامين تنتقل عبر الثقافات.

- ويصبح مدلول كلمة "دولي" ضيقا لأنه يتسع لأكثر من ذلك وبخاصة المحتوى الثقافي؛ ذلك أنه لم يعد يرتبط أو يتوقف على علاقات الحكومات بصفتها شخصية اعتبارية للقانون الدولي بل تجاوزها إلى مخاطبة الشعوب، بل مخاطبة شرائح من الشعوب رغما عن حكوماتها.

وهكذا يتطور مفهوم "الإعلام الدولي" من وظيفة الإعلام إلى عملية تواصل وتفاعل. تطور من نشاط تقوم به الدول إلى نشاط يمارسه لاعبون جدد على الساحة الدولية من تنظيمات وشركات وكيانات تستخدم الإعلام لتحقيق أغراضها. أرى أن المفهوم يتسع ويتعمق من الأحادية إلى الجماعية والتفاعل، ومن مجرد الدعاية والحرب النفسية إلى التعارف الثقافي بين الشعوب والأمم.وهذا التعارف قد يفضي لمزيد من التعاون لتحقيق مصالح مشتركة ومنافع متبادلة مما يعزز السلم والأمن الدوليين.

٢- قنوات الإعلام الدولي:

- **الانشطة المباشرة** : مثل العلاقات الدبلوماسية، والسياحة والحروب

---

1)Larry A.Samovare & Richard E.Porter: Intercultural Communication, a Reader, tenth Edition, Thoson, Australia, 2003

والوفود والبعثات التعليمية والسياحية، والمعارض الثقافية، وأنشطة تتعلق بنشر مباديء فكرية أو دينية.

• **الأنشطة غير المباشرة:** مثل الأفلام والكتب والصحف ووكالات الأنباء، والقنوات الفضائية، وشبكة الإنترنت تعد من قنوات الإعلام الدولى العامة والعابرة والعاجلة.و كافة صور الإنتاج الإعلامي والفني في ثقافة معينة، حين يتم بثه وتصديره لأنصار ثقافة أخرى، هذه هي قنوات للإعلام الدولي.

إن قنوات الإعلام الدولي تتسع لتشمل كل أداة أو قناة او وسيلة تنقل المعرفة والمشاعر والقيم والمعتقدات والأفكار يستوى في ذلك أغنية لمطرب مع زي معين وصيحة من صيحات الموضة، مع برنامج مؤثر ولعبة فيديو أو ألعاب الانتنرت وفيلم كارتون وكتاب بعدة لغات أو مجموعة عادات وتقاليد وطقوس تشير إلى أنصار ثقافة معينة.(نماذج الشركات المنتجة للأفلام والأغاني والدراما والكارتون والألعاب)

٣- أهداف الإعلام الدولي:

تتعدد أهداف الإعلام الدولي، بين سياسية وتجارية ودينية وثقافية وذلك على النحو التالي: ([1])

- التعريف بالدولة أو المؤسسة أو المنظمة التي تقوم بالبث.
- توطيد العلاقات بين الشعوب المختلفة، ومخاطبة الأصدقاء والمعارضين والمحايدين.
- محاولة التأثير على الأفراد والجماعات والمؤسسات الفاعلة في صنع القرار داخل الدول المستهدفة، بما يحقق مصالح الدولة صاحبة البث.

---

١) فؤادة عبد المنعم البكري، الإعلام الدولي، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠١١) ص ٨٦-٨٧

- دعم جهود السياسة الخارجية للدولة صاحبة البث، وتسهيل مهمة الدبلوماسيين.
- الترويج للسلع والخدمات والأفكار.
- دعم السيادة الوطنية والثقافية للدولة وتوسيع نطاقها على مستوى دولي.
- الإسهام في إدارة الصراع؛ بالتمهيد له وتبرير وتفسير وجهة نظر الدولة في صراعها مع خصومها.
- تهيئة العقول والقلوب لتقبل السياسات والقرارات الدولية سواء لصالح دول بعينها، أو تكتلات معينة.

٤-خصائص الإعلام الدولي: ([1])

يختلف الإعلام داخل الدولة أو الثقافة عن الإعلام الموجه للغير وللآخر المختلف، ويضع فورتنر " تقسيما لخصائص الإعلام الدولي على النحو التالي:

أ) العمدية أو القصدية (Purpusevness)

كل وسيلة إعلامية تنشأ لتحقيق مصالح مالكيها، وتلبية لحاجات الجمهور المستهدف، ويكون الإعلام الدولي بالدرجة الأولى مقصودا من حيث النشأة والتوجيه، أما من حيث تأثيره فقد يكون مقصودا، وقد يحدث تأثيرات غير مقصودة لدى المستهدفين، كان يحدث تأثيرا إيجابيا أكثر مما خطط له، او يحدث ردة فعل عكسية رافضة للمحتوى الذي يبثه.

١) المرجع السابق، ص ٨٨

ب) الرسمية: (Formality)

يكون الإعلام الدولي رسميا حين تتولى إنشاءه وإدارته فرد أو شركة (دولة) ويكون غير رسمي حين يتولى إنشاءه وإدارته فرد أو شركةأو منظمة.

ج) طريقة التوزيع: (Distrbution Technology)

كان الإعلام الدولي قديما يتم عبر وسائل تقليدية بطيئة ومكلفة، مثل التوزيع بطرق النقل التقليدية وكوابل سلكية أو عبر وسائط لاسلكية، والآن تطور النظام وأصبح من خلال الأقمار الصناعية. التي سهلت ووسعت من حجم الإرسال والاستقبال على المستوى العالمي.

د) المحتوى: (Content)

تتعدد المحتويات في الإعلام الدولي من الإخبار والتسلية إلى الترويج للسلع والخدمات، ونشر الأفكار والقيم الثقافية، وبناء الصور الذهنية، وتوجيه الرأي العام العالمي وجهة معينة. وقد يتحول إلى أداة لإدارة الصراع الدولي بين الدول، وقد يحمل تبشيرا بالسلام أو تهديدا للهويات الذاتية للشعوب، وقد يتحول إلى حرب نفسية أو حرب أفكار، وقد يكون أداة لتوسيع نطاق سيادة الدولة أو النفوذ الثقافي لأمة ما.

هـ) النتائج الثقافية: (Cultural Efficts)

تؤكد التقارير الدولية أن الدول الكبرى تكاد تحتكر القدرات والأدوات الفاعلة في نطاق الإعلام الدولي، وقد نشب صراع طويل بين الدول الكبرى والدول الفقيرة حول التدفق الحر والمتوازن للمعلومات، والعدالة في توزيع القدرات الاتصالية بين الدول، وقدمت منظمة "اليونسكو" والمؤسسات الدولية الأخرى، جهودا كبيرة لبلورة مجموعة توصيات وقرارات لتعديل هذه الأوضاع

غير المنصفة، التي تكاد تفرض الهيمنة لثقافات الدول القوية على الثقافات الوطنية. ولا يزال الخلل قائما.ولا تزال مقاومة هذا الخلل مستمرة أيضا.

و) الطابع السياسي: (Political Orientation)

يمكن وضع نشاطات الإعلام الدولي –إجمالا– ضمن إطار سياسي،حيث يعكس الإعلام الدولي طبيعة النظام السياسي القائم أو الذي يمول هذا النوع من الإعلام، ورؤيته ويعبر عنه وعن مصالحه، حتى تلك الأنشطة الهادفة إلى تحقيق أرباح تجارية، وتلك التي تتم لأغراض دينية تحقق في النهاية سيادة لأيدلوجية معينة وقد يكون الطابع السياسي مباشرا وظاهرا أو ضمنيا في أنشطة الإعلام الدولي.

٥-إشكاليات الإعلام الدولي:

واجهت الإعلام الدولي في الماضي عقبات كثيرة لعل أهمها الحواجز الجغرافية واللغوية، وطبيعة الحدود، والأوضاع التقنية المرتبطة بقدرة الدولة على نقل بثها عبر موجات صوتية أو مرئية إلى خارج حدودها، والآن وبعد تطور تقنية البث عبر الأقمار الاصطناعية، زالت كثير من العوائق المادية والتقنية وإن بقيت بعض العوائق الثقافية والسياسية. لكنها لا تمنع وصول الرسائل والصور المراد بثها لجماهير معينة.من هذه الإشكاليات:

- **إشكالية سياسية:** ممثلة في تأثير الإعلام الدولي على العلاقات بين الدول، وما يمس السيادة الوطنية للدول، ولا تكف الشكوى من مختلف الحكومات ضد شبكات الإعلام الدولي، إلى حد اعتراف الولايات المتحدة بتأثيرات قناة الجزيرة على المواطن الأمريكي بخصوص الحرب في العراق وأفغانستان ومواقف أمريكا من قضايا الشرق الأوسط.

- **إشكالية اقتصادية:** الدول القوية الغنية تستحوذ على أكثر أدوات الاتصال الدولي تأثيرا: انتاجا وتوزيعا، وإن مراكز الثقل الإنتاجي الفني والثقافي والإعلامي تقع في الدول الكبرى وتمثل مصدرا للدخل القومي يفوق بعض مصادر الدخل التقليدية. بينما يمكن أن يكون الإعلام الدولي عبئا ماليا على بعض الدول.

- **إشكاليات إعلامية:** وهي تتعلق بالمهنية والقيم الإعلامية من الحياد والموضوعية والدقة في تناول قضايا بعينها تخص الدول الاقل تقدما، وازدواج معايير التغطية الإعلامية، واستخدام أساليب وأنماط من التحيز لصالح قضايا معينة.

- **إشكالية الاحتكار:** وتعني تركز موجات الطيف الترددي والموجات الأنقى والإنتاج الأكبر في يد الدول والقوى ذات النفوذ الدولي.

- **إشكالية الأمن القومي**: ما يتعلق بمفاهيم الأمن والتهديد والخطر، الذي يهدد بعض الدول من جراء إثارة الشعوب على حكامها أو مخاطبة الشعوب رغما عن حكوماتها، ومحاولات فرض نموذج سياسي معين على الأنظمة.

- **إشكالية النظرة الإطلاقية:** وادعاء امتلاك الحقيقية والمعيارية حيث يرى أنصار كل ثقافة انهم مركز الكون ومنشأ الحضارة الإنسانية. وينظرون " للآخر" على أنه هامش أو تابع لهم.

ولفهم مسألة النظرة الإطلاقية للآخر فإن هناك مجموعة من المداخل المعرفية على النحو التالي:

- مدخل المركزية الأوربية التقليدي: وهو مدخل ينظر إلى التطور التاريخي لأوربا على أنها مركز الحضارة. ويصف هذا المنظور طريقة التفكير

والسلوك التي تضع الرجل الأبيض كمركز للحضارة وحتى بعض العرقيات الأخرى التي تعيش في أوربا وأمريكا يصنفهم كهوامش مثل اليهود أو السود والهنود في أمريكا. لأنه عندما تنشأ حضارة وتحقق العالمية، يغشى بصر شعبها ما يطلق عليه أرنولد توينبي "سراب الخلود" ويصبح مقتنعا بان ما لديه من نظم هو نهاية الشكل الإنساني، كما فعل فرنسيس فوكياما حين صور الحياة والديموقراطية الغربية بأنها نهاية التاريخ.

- المدخل الثاني: الاستيعاب والانصهار في بوتقة واحدة (Melting pot) Assimilation يختلف هذا المنظور عن سابقه في أن انصهار واستيعاب مختلف الثقافات من أوربا وغيرها في المجتمع الواحد– مثل المجتمع الامريكي– يشكل مساواة حقيقية وتفاعلا متواصلا وقد تسود ثقافة ما على أخرى، لكن في لحظة معينة يلتقون معا ليشكلو خليطا كبيرا غير متجانس. كثير من العرقيات تنصهر طوعا وبحماس كبير في المجتمع الواحد مما يعطى تنوعا وخصوصية للمجتمع الأمريكي على سبيل المثال.

- المدخل الثالث: مدخل التعددية يصف طريقة التفكير المتعدد لثقافات مختلفة مع التأكيد على احتفاظ كل ثقافة بمارساتها ومعتقداتها الثقافية التقليدية ويفترض هذا المدخل أن كل مجموعة عرقية بغض النظر عن الأصول، لابد أن تحافظ على شخصيتها المتفردة وعاداتها ولغتها وطريقتها في المعرفة بدون ذوبان وتعتبر المرجعية العرقية هي المصدر الأساسي للشخص والهوية الجمعية.

- مدخل العولمة: يقدم هذا المدخل منظورا جمعيا متعددا يفترض أن التقدم الاقتصادي والبيئي والتفاعل السياسي للحياة المعاصرة، يتطلب الوصول

لإجماع حول السلوك الأيديولوجي العالمي الذي سوف يشكل الأساس لكل الثقافات العالمية، فضلا عن التفكير فيما يجعل كل مجتمع متماسك. هذه "الرؤية السينمائية" تقوم على انصهار كل سكان الكوكب في نقاش مشترك لخبرة كل الثقافات العرقية بما في ذلك الديانات الكبرى (Fersh , 1989) وسوف نناقش في فصل مستقل ظاهرة العولمة.

- المدخل الخامس: هو نموذج جمعي مغلق محافظ ومصلحي يتركز في الجماعية الثقافية والتعددية ويحافظ على مجتمع متعدد الثقافات والهويات، ولكنه يمتثل لنظام وطني متماسك وتقاليد مركزية صارمة يحترمها الجميع في كل مجتمع.(١)

- **إشكالية الرغبة في الهيمنة:** تقوم طبيعة العلاقة بين الدول على المصالح والمنافع ويحاول كل طرف قمع الآخر للانصياع لمصالحه ولا يقبل بالشراكة بل يفرض قانون القوة أي الانقياد للأقوى.

- **إشكالية تراكم مواريث العداء من الماضي** بين الشعوب نتيجة الحقب الاستعمارية وما خلفته من تخريب شامل مما أوجد الصور النمطية المتبادلة بين الشعوب عن بعضها وهي صور سلبية صاغها المستفيدون من إبقاء مناخ الصراع قائما بين الشعوب. وترسخت في الوجدان وأصبح من الصعب إزالتها أو إضعاف أثرها.

- **إشكالية تعزيز الأفكار الكبرى التي تؤسس للمخاوف** من الصراع وحتمية الصدام بين الأمم المختلفة كما رأى "صمويل هنتنجتون" مع قلة ترى أن

---

9) Lariy – A.Samovar & Richard – E.Porter , Intercultural communication , 8 ed. Small ,Canada Thomson , 2003

العلاقات يجب ان تبنى على التعارف والسلام والتعاون بين الأمم.

- **إشكالية الصراعات الداخلية:** يرى"دييتر سنغاس" أن الصراع يحدث داخل الثقافة الواحدة أكثر مما يحدث بين الثقافات المختلفة، وأن الإعلام الدولي الآن يستخدم كأداة للصراع بين دول ضمن الحضارة الواحدة، كما يوجد صراع ظاهر بين حضارات معينة، ولا يوجد بين حضارات أخرى. وفي كل الأحوال يطالب الإعلام الدولي بدور فاعل في بناء تصورات صحيحة عن الآخر المختلف.والفهم مقدمة للتعارف، والتعارف مفضي للتعاون الذي يمنع أو يقلل من مخاطر الصراع بين الثقافات.([1])

٦- عوامل تطور الإعلام الدولي:

الإعلام الدولي هو انعكاس لحالة السلم أو الحرب بين الدول، وقد أسهمت عدة عوامل في تطور الإعلام الدولي شكلا ومضمونا من هذه العوامل:

- استمرار الصراع التاريخي بين الشعوب والثقافات والحضارات وتجدد أشكاله وأدواته،وحدوث حروب كبرى دفعت العقل الإنساني إلى الإبداع والتطوير في عالم الوسائل من أجل التحكم والسيطرة في البيئة المحيطة وإقرار الأمن والسلم على مستوى العالم. ويتعرض العالم أجمع اليوم لأزمات ومخاطر كثيرة منها:

- المخاوف الصحية (فساد الأدوية/ تلوث المياه والغذاء/ انتشار فيروسات قاتلة..)
- أضرار البيئة.

---

١) دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات: التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، ط١، ترجمة: شوقي جلال (أبوظبي، دار كلمة، ٢٠٠٨)

- الفساد المالي والإداري.
- اختراق الحاسبات الآلية وشبكات المعلومات.
- العنف والإرهاب
- نقص الموارد والطاقة.
- تهديد أمن وسلامة الدول من قبل تنظيمات أو دول أخرى.
- الطائفية والعرقية والعصبية.
- توتر العلاقة بين الحكومات والشعوب.
- كشف الأسرار الوطنية.
- انهيار البورصات والأسواق والبنوك.

كل هذه الأزمات دعت لتوجيه رسائل عابرة وعاجلة وعامة لعموم البشر على هذا الكوكب من أجل تلافي هذه الأزمات أو التقليل من أضرارها.

- **التطور العلمي والمعرفي والتقني**، واكتشاف سبل جديدة، وطرق أقل تكلفة في التواصل على مستوى عالمي.
- **وجود توجهات عقدية** لأنصار بعض الأديان للتبشير برؤيتهم للعالم ومبادئهم الدينية.
- **السعي لتعظيم المصالح الاقتصادية**، وزيادة الطلب على الموارد؛ مما جعل الدول الصغرى والأقل قوة عرضة للاحتلال من قبل الدول القوية، وهذه الدول طورت من وسائل الإقناع والتهيئة لوجودها عبر الإعلام والثقافة. كما تحاول الدول الأضعف بيان مواقفها والتعبير عن مصالحها عبر وسائل الإعلام الدولي، ولذلك نجد دول مثل كوريا الشمالية ومصر

تهتم كثيرا بتوجيه إذاعات موجهة للخارج.

- ظهور لاعبين دوليين جدد من غير الدول، مثل التنظيمات التي تمارس "الجريمة المنظمة" والإرهاب الدولي، والشركات فوق القومية "متعددة الجنسيات"، ومنظمات دولية هادفة للسلام والتنمية تحتاج للتعريف بمشروعاتها.
- **تطور الفكر والقيم** مما أوجد حاجة لدى الشعوب للتعارف واكتشاف أوجه الاختلاف والتشابه مع الآخرين، في ظل مباديء التبادلية والتفاعلية والتساند والتشارك من أجل دفع مفاسد وجلب منافع مشتركة.
- **تجدد مفهوم المخاطر والأزمات** الدولية التي تتطلب وعيا أكثر وتعريف أوسع لجلب تعاطف الجماهير والحكومات مع إيجاد الحلول لهذه الأزمات.
- **الرغبة المتزايدة في اكتشاف وفتح أسواق جديدة**، وكثافة استخدام الإعلان الدولي للترويج للسلع والخدمات على نطاق عالمي.

٧ – تحليل أبعاد التوازن في الإعلام الدولي:

ظلت قضايا " التدفق الحر غير المتوازن للمعلومات من الشمال إلى الجنوب " وقضية " التبعية الإعلامية والثقافية بعد التبعية السياسية "، وموضوع بناء الصور النمطية السلبية عن دول وشعوب الجنوب الأقل نموا وتطورا، ظلت هذه القضايا تشغل بال الباحثين في مجال الإعلام الدولي وكذلك المنظمات الإقليمية والدولية مثل جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي ومنظمة اليونسكو.

و كانت الأطر النظرية المواكبة لهذه الدراسات والملتقيات والإتفاقيات

تفسر أنشطة الإعلام الدولي على أنها جزء من الاستعمار التقليدي والحرب الباردة بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي وتطورت الأطر النظرية وتم توسيع مفهوم الإعلام الدولي ليشمل أنشطة أخرى مثل قنوات الموسيقى والإعلان وشركات الإنتاج الإعلامي العملاقة وشبكات الإعلام الجديد لتعيد تشكيل خارطة الإعلام الدولي بشكل أكثر تعقيدا وتأثيرا تحقيقا لأهدافه.

و بناء على ذلك فإن النظريات التي تفسر أنشطة الإعلام الدولي امتدت إلى التاريخ والثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع والتقنية في شرح نماذج الاتصال وآثرها على الدول.

إن طموح الدول الأقل نموا في امتلاك التقنية الحديثة وما صاحبها من فنيين وقيم وجدت معارضة من القيم الذاتية للثقافات المحلية وظهرت جماعات تدافع عن الهوية الذاتية في مواجهة هذه الأساليب التقنية التي ينظر إليها على أنها " استعمار إلكتروني ".

أما نظرية النظام العالمي التي يعد(Immanuel Wallerstein) من روادها والذي يقسم العالم إلى دول مركزية مثل:(كندا – الاتحاد الأوروبي – أمريكا – إسرائيل – اليابان – أستراليا) ودول شبه مركزية (النمسا – البرازيل – الصين – الدانمارك) ودول هامشية ويرى أن هذه الدول تتفاوت في درجات التفاعل الاقتصادي والسياسي والثقافي والإعلامي والتقني والرأسمالي والاجتماعي من خلال آلية قوى السوق التي تحدد من الرابح ومن الخاسر أفرادا وشركات ودول. فالدول المركزية تسيطر على الأطر الاقتصادية والتكنولوجية، أما الدول شبه المركزية والهامشية فتؤدي دور التابع المستهلك.

و تتركز شركات الإعلام متعددة الجنسيات، ووكالات الإعلان الدولية، ووكالات الأنباء في الدول المركزية وتعمل ضمن استراتيجية وأولويات تستمد

مرجعيتها من النظام الرأسمالي. أما الدول الهامشية فهي مجرد سوق مستهلكة وتعد في وضع أسوأ نظرا لقوة الإعلام الدولي الإليكتروني وتدهور بنيتها الأساسية في التعليم والصحة والتكنولوجيا. ([1])

١/٧) الطموحات: ماذا نريد من الإعلام الدولي ؟

كان الحلم الذي راود "مارشال ماكلوهان" فيالوصول إلى "قرية كونية متجانسة ومتناغمة ومتعاونة سلميا". وما يزال هذا الحلم الإنسان على الأرض الذي يتطلع إلى "**عالم بلا حواجز** " يتواصل ويتفاعل وبتعارف لكي يتعاون من أجل السلام والأمن والمصالح المشتركة والمنافع المتبادلة.

هذا الحلم تعمل له منظمات ومراكز أبحاث ومتخصصون ينادون بمطالب عادلة:

- حرية التدفقات الإعلامية والانسياب الحر للمعلومات بين مختلف الحضارات.
- تكافؤ الفرص للجميع في الامتلاك والإنتاج والتوزيع الإعلامي.
- التمكن من بلوغ الجميع مصادر المعلومات.
- التمكين من التعلم عن بعد والإفادة من إيجابيات كل حضارة.
- توسيع سبل التواصل والحوار الثقافي المتوازن والمثمر للجميع.
- تبادل الصور الذهنية الصحيحة في الاتجاهات المختلفة.

لكن هذه الطموحات الكبرى، لم تجد طريقها للتحقق حتى الآن.

٢/٧) الواقع الراهن للإعلام الدولي:

---

١) عبدالله الكندي، الإعلام الدولي بين النظام العالمي الجديد والاستعمار الإليكتروني، مواد تثقيفية، رابطة الإعلام المرئي الهادف، ٢٠١٣، ص ١١١ – ص ١٢٩

تشير البحوث حول واقع الإعلام الدولي إلى:

- تلاشي الحلم مع انتهاء الحرب الباردة وبعدها ومع حرب الخليج الأولى، وبعد انهيار القطب السوفيتي/ وانهيار سور برلين وبعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١ م
- لم يعد هناك كلام عن التوازن بين الشمال والجنوب.
- القنوات والمحطات لن تقدم إلا ما ترضى عنه أو لا تمانع فيه أمريكا.
- البريد ومواقع النت: والمحادثات التليفوتية والمؤسسات الصحفية وغيرها لم تعد مستقلة تماما بل موضع مراقبة من جهات استخبارية.
- إحياء الحرب الإعلامية وحرب المفاهيم والصياغة بعد ما كنا انتهينا منها في الحرب الباردة...(العمل يكون مقاومة وإرهاب وعنف وعمل غير مقصود في آن واحد).
- عدم التوازن في بنية النظام/ عدم وجود هيكل متوازن..(التدفق الرأسي)
- عدم الانصاف، زيادة وتيرة التعتيم، تكريس الصور النمطية عن الآخر.
- احتكار التكنولوجيا ومعارفها مما ينتج هوة رقمية بين الدول القوية والدول الضعيفة.

٣/٧) مخاوف الدول النامية من اختلال التوازن في الإعلام الدولي:

يعد دستور منظمة اليونسكو عام ١٩٤٥ م أول وثيقة دولية تشير إلى ضرورة "التوازن" بين الدول المتقدمة والدول النامية في مجال التدفق الإخباري والمعلوماتي. ففي المادة (١) ينص الدستور على ضرورة التوصل إلى اتفاق دولي حول زيادة التدفق الحر للأفكار بالكلمة والصورة ".

- قادت حركة عدم الانحياز جهدا دؤوبا لوضع قضية عدم التوازن

الإعلامي بين الشمال والجنوب على أجندة الرأي العام العالمي منذ مطلع السبعينيات، وأدركت هذه المجموعة الفاعلة من الدول علاقة الاقتصاد بالإعلام والسياسة، فدعت إلى نظام اقتصادي عالمي جديد وأيضا طالبت بنظام إعلامي عالمي جديد، وكانت البداية من مؤتمر دول عدم الانحياز ١٩٧٣ م ووافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على هذه المطالبات عام ١٩٧٤م.

- في عام ١٩٧٥ م تبنت دول عدم الانحياز قرارا يقضي بضرورة التعاون بين دول المنظمة في مجال الإعلام، كخطوة أولى في إقرار هذا الحق مع الدول المتقدمة.
- وفي الندوة التي عقدت بتونس عام ١٩٧٦ م طالبت دول عدم الانحياز بإعادة تنظيم وسائل الاتصال الدولي، وإزالة صور الاستعمار الإعلامي، وإقامة نظام إعلامي عالمي جديد أكثر عدلا وتوازنا.
- وقد تبنت دول عدم الانحياز بيان نيودلهي الذي قدم تشخيصا للمشكلة يتمثل في:

أ) أن تدفق الأنباء في العالم يتسم بالخلل، وذلك لتمركز وسائل الاتصال ومؤسساته الكبرى في عدد قليل من الدول المتقدمة، بينما الأغلبية العظمى من دول العالم مجرد متلقين سلبيين.

ب) أن تدفق الأنباء تتحكم فيه عدد قليل من الوكالات الكبرى (رويترز/ أشوستيد برس/ وكالة الصحافة الفرنسية) وهذه موجودة في الدول الكبرى وبقية دول العالم ترى نفسها من خلال جهود هذه الوكالات.

ت) طالما أن قلة من الدول تحتكر تدفق الأنباء والمعلومات؛ فإن حرية

التدفق الإعلامي تعنى حرية هذه القلة من الدول في نشر الأنباء والمعلومات بالطريقة التي تحقق مصالحها وتهمل حق بقية دول العالم في أن يعلَموا وأن يعلِموا الآخر عنهم.

- في المؤتمر الخامس عام ١٩٧٦ لدول عدم الانحياز في "كولمبو " تم تبنى الدعوة لإقامة نظام إعلامي عالمي جديد ليكون مع النظام الاقتصادي العالمي الجديد مؤشر لكفاح دول الجنوب من أجل " الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي لأغلبية دول العالم.
- في عام ١٩٧٦ م تبنت منظمة اليونسكو مناقشة كبرى حول هذا النظام الإعلامي العالمي الجديد، وتحولت اليونسكو بعد ذلك إلى ساحة صراع ومنافسة ومفاوضات بين قلة من الدول التي تملك وتوجه الإعلام الدولي وبين أغلبية الدول التي لا تملك القدرات ولا تستطيع التحكم في تدفق الأنباء والمعلومات من الشمال إلى الجنوب. (١)
- تتركز الشركات الكبرى للإعلام الجديد في الغرب وتحديدا في أمريكا، ولذلك فإن التحكم والسطرة في يد الشركات الغربية وإن كانت الصين تحاول الإفلات من هذه الشكبة متعددة الجنسيات.

٤/٧) الجهود الدولية بشأن التوازن في الإعلام الدولي:

تبنت "منظمة اليونسكو" منطق يقول: إن الدول الصناعية المتقدمة تسيطر بشكل شبه تام على القدرات الاتصالية الدولية، وهذا يُحدث خللا في التدفق الحر للمعلومات بين الدول. (٢)

---

١) سليمان صالح، الإعلام الدولي، الكويت، مكتبة الفلاح، ٢٠٠٣م ص ٣٠-٣٤

٢) رفيق شكري، دراسة في الرأي العام والإعلام والدعاية، (لبنان: جروس برس، ١٩٩١) ص ٢٦٣

ومن خلال مؤتمر "هلسنكي" في يونيو ١٩٧٢م قدمت توصيات لدراسة السياسات الاتصالية في أوربا،كما اهتمت دول العالم الثالث بالموضوع فعقدت مؤتمرات في الجزائر وفي أمريكا الاتينية.

وفي عام ١٩٧٧ صدرت توصية المؤتمر العام بتكوين لجنة تضم ١٦ شخصية تمثل مختلف المناطق لكي تضع تقريرا حول الاتصال والإعلام سميت لجنة "ماكبرايد" ([١]) التي أوصت بأهمية التدفق الحر والمتوازن للاعلام، وعلى ضرورة بذل مزيد من الجهود، بهدف وضع حد للخلل وعدم التوازن بين الدول المتقدمة والدول النامية، بمساعدة الدول القوية، لبناء بنيات أساسية وأساليب للاتصال والاعلام، بشكل يساعدها على جهودها التنموية، ولاسيما في مجالات التربية والعلوم والتكنولوجيا والثقافة وفي قدرتها على المشاركة الكاملة في البث الدولي للإعلام".

وخلص التقرير إلى ضرورة قيام نظام إعلامي دولي جديد يلبي طموحات تهدف لبناء نظام اقتصادي دولي جديد.

وأكد التقرير على:

- إن الاتصال عنصر أساسي للإستقلال الثقافي المرتبط بالإستقلال السياسي.
- إن الهوة التي تزداد اتساعا والتي تفصل بين البلدان القادرة على نشر رسالتها بحرية وبين تلك التي لا تتمتع بهذه الإمكانية، تطرح مشاكل تؤثر في العالم كله، وتنتج عنها أثار مدمرة للبلدان النامية والمتقدمة.
- تزداد تبعية البلدان النامية للبلدان المتقدمة في هذا الحقل، كما في غيره، الأمر الذي يبرر ويسهل تقديم العون للبلدان الراغبة في تقوية قدراتها في

١) ماك برايد، سياسي وصحفي ايرلندي حائز على جائزتي نوبل ولينين للسلام)

ميدان الإتصال.

- يجب استبدال الإتصال من جانب واحد بتبادل شامل للرسائل.
- يجب أن يساعد تبادل الأفكار والمعلومات والأثار الأدبية على الحد من الخلل القائم، وذلك ضمن احترام استقلالية الشعوب كافة والمحافظة على كرامتها دون المس بهويتها الثقافية.

٥/٧) المواقف العربية من مسألة التوازن في أنشطة الإعلام الدولي:

بشكل متمايز بين دول عدم الانحياز، ظهرت أصوات عربية كثيرة تنادي بضرورة التوازن وعلاج الخلل في الإعلام الدولي، بينما علت أصوات تحذر من البث الوافد وتأثيره على الهوية الثقافية للشعوب العربية.

وقد بدأت المخاوف العربية مبكرا حول سلبيات "الغزو الإعلامي " منذ ظهور التليفزيون وانتقال إشارات بثه خارج حدود الدولة الواحدة. فقد عكست الندوات والمؤتمرات والدراسات حجم المخاوف من هذا الغزو المفروض. وقامت مراكز بحث وشخصيات عامة سياسية وفكرية ودينية بالتحذير من جراء "أمركة" وسائل الإعلام، وتأثيراتها على الثقافات المحلية، واستهداف العقل العربي من قبل" مخطط غربي " من أجل هدم المضمون الحضاري للثقافات الفرعية.

كما ظهرت توجهات عربية تنادي بضوروة تكوين "مناعة إعلامية عربية" لاقتحام مجال الإعلام الدولي والتأثير في الآخرين، لكن محاولات العرب أخذت من الوقت الكثير لكي تبدأ أولى محاولاتهم في مشروع "مؤسسة عربسات" في الثمانينيات، لكن ذلك لم يمنع البث المباشر الذي يسيطر على عقول وأفكار

الأشخاص عبر التدفق الدولي قليل التكلفة.

إن أبعاد الغزو الإعلامي كثيرة: سياسية وثقافية واقتصادية ودينية وإنسانية، ونفسية وهذا يتطلب العمل على كل هذه المسارات، وطالب البعض بمراجعة شاملة لمناهج التعليم في الوطن العربي لتحصين الشباب ضد الغزو الإعلامي والثقافي المباشر، لكن ذلك كان في وقت تنتقل فيه إشارات البث من نقطة إلى نقطة عبر محطات أرضية ليعاد البث مرة أخرى. أما الآن فلم تعد هذه النداءات تلقى آذانا مصغية.

وحذر البعض من القنوات الدولية المفتوحة وآثارها على اللغة والثقافة والفكر وحدد الإيجابيات والسلبيات في استخدام الهوائيات وتأثيرها على المدى البعيد على حياة الفرد والمجتمع باعتبار تلقي المواطن العربي للبرامج الأجنبية "تلوث تيلفزيوني" يصيب الأطفال والشباب ويقلل فرص الإتصال واحداث فراغ فكري واستعداد للتغريب.

وطالب البعض بضرورة تدخل الأسرة فيما يشاهده الطفل ودعم الإبداع والتطوير ورفض العادات السيئة المستوردة. كما أن للمثقفين دورا في التوعية بأضرار البرامج المستوردة مثل الجهل والفراغ الفكري والثقافة الهشه المزيفة، كما لابد من التنمية الثقافية للتغلب على هذه الأفكار، وتنمية الإنتاج الفكري والأدبي وإحياء التراث الحضاري للشعوب العربية.

وقد وصف وزير إعلام سعودي ([1]) بث التلفزيون العالمي بأنه يؤدي إلى نمو الجريمة في العالم العربي والإسلامي، ودعا إلى ضرورة الحفاظ على الشخصية الثقافية وتميزها في ظل القرية الكونية الواحدة. وتفعيل اجراءات الرقابة والحذر

١) هو الدكتور محمد عبده يماني، وزير الإعلام السعودي في نهاية الثمانينات من القرن الماضي.

إلا أن هذه الدعوى ذهبت دون جدوى أمام تأثير التليفزيون على تكوين شخصية الأطفال وتعدد التأثير عليها وترسيخ قيم مختلفة من برامج العنف والجريمة.

وحول تقنية الإتصالات الفضائية وأثارها الثقافية يرى محسن خدر أن الصورة التلفزيونية أصبحت الأساس في تشكيل الإتجاهات والسلوكيات والقيم، وأن دبلوماسية التليفزيون تحتاج لقوانين ضابطة. لأن عدم قدرة الدول على التحكم في المعلومات الواردة إلى مواطينها في ظل حق الفرد في المعرفة إلى درجة أن أوربا نفسها تخشى من الغزو الأمريكي الثقافي. ولابد من الحذر من أخطار ثورة الاتصال التي أصبحت تجارة تتسبب في فقدان الهوية الثقافية (الاغتراب).

وناقش عبد الرحمن عسيري فكرة "النظام الإعلامي الدولي الجديد" ورأى أنه يوجد نظامان إعلاميان: نظام ليبرالي ونظام اشتراكي، ولابد من إحداث تغيير جوهري في النظم السياسية والإجتماعية، لكي يحدث تغيير في النظام الإعلامي للدول النامية، بحيث نستحدث نظاما ثالثا بعيدا عن التبعية الإعلامية ولا يلغي النظامين بل يضيف إليهما.

والبديل الإعلامي الثالث هدفه إحداث التنمية لا من أجل الإخبار والحقائق فقط. وعلى الرغم من اختلاف الأنظمة السياسية في العالم الثالث، إلا أن بينها تشابها سياسيا واجتماعيا وثقافيا.و لإقامة هذا النظام الثالث لابد من التساوي في التدفق الإعلامي وعدالة توزيع وكالات الأنباء لكسر الاحتكار. لأن النظام الكوني الجديد سطّح الحضارة وهز ثقة الشباب في حاضره وقوض أسس إيمانه بأمجاده الماضية، وجعل المستقبل ضبابا كثيفا والغريب أن هذا امتد للدول المتقدمة ذاتها.

وقد حاولت بعض الدول مواجهة هذا الوضع الاتصالي باستمالة جمهورها

لفترة ولكنها لم تنجح، ولابد من مواجهة هذا الغزو بالتنسيق لاستخدام شبكات الإعلام العربي، والتدريب الجيد للإعلاميين، والفنيين وامتلاك التقنية الحديثة لاتصالات الفضاء.

ورأى عاكف صوفان أن التحدي الثقافي الذي يشكله الإعلام العابر للثقافات يهدد اللغة والأدب والفن وهي أهم عناصر الثقافة. وكل الأمم تحمي ثقافتها وهويتها، والحضارة الإسلامية هي راعية الثقافة العربية، والفرق بين الإنسان العربي والغربي ليس فقط اختلاف ديني بل هو اختلاف حضاري وثقافي. وأن هناك عوامل معاصرة تؤثر في الثقافة العربية منها الجمود الذي أحدثه الاحتلال واختلال مواقف المثقفين وتبعية بعضهم للثقافة المضادة مع استمرار عمليات النقد والتقليد وإهمال الأصالة والإبداع.ويلاحظ أيضا احتلال الوسائل الثقافية المسموعة والمرئية مساحة كبيرة مقارنة بالمقروءة لارتفاع الأمية في الوطن العربي.

إن الهجوم الغربي على الشعوب العربية واتهامها بالتخلف وبناء صور ذهنية جامدة ونمطية للعرب، تتسم بالهمجية والخشونة والغرائزية، كل ذلك مما يزيد من بناء أسوار العداء بين الثقافات. ولابد أن تعي الحكومات العربية دورها في صد حملات التشويه، بل والعمل على القيام بفعل إعلامي دولي للتأثير في الشعوب الأخرى وتصحيح المفاهيم والصور المغلوطة. وقد تجاوز الإعلام الدولي كل هذه المخاوف والدعوات وأصبح أمرا واقعا وتحديا مفروضا على الجميع.

وقد رصد هؤلاء وغيرهم مظاهر الخلل في العلاقة بين الحضارات على مستوى الاتصال في الآتي:

- يوجد خلل في امتلاك الدول لأدوات الإنتاج والتوزيع الإعلامي (شمال/ جنوب).

- و مع أن المشكلة ليست في امتلاك تقنيات البث ولكنها مشكلة حضارية سياسية واقتصادية واجتماعية بالدرجة الأولى. فالعرب يرونها مسألة غزو ثقافي وهيمنة امبريالية، بينما الغرب يرى هذه المواقف جهودا لتمدين وتحديث الشعوب العربية وتطوير قدراتها.
- الغرب يرى الإعلام الدولي تفاعلا حضاريا من أجل حضارة عالمية وتفاعل وإفادة ضمن وحدة ثقافية حضارية عالمية، والعرب يرونها محاولة لتذويب هوية الثقافات الضعيفة ضمن ثقافة عالمية واحدة.
- هناك جهود تبذل عبر منظمات إقليمية ودولية لتقريب وجهات النظر وبناء تفاهم لكنه محكوم دائما بأطر سياسية ومصالح الدول الكبرى.
- أن محور الخطر يكمن في القابلية للتأثر والانبهار بالجديد الوافد من الآخر ؛ ولذلك على الشعوب الضعيفة أن تقوى مناعتها الذاتية أولا.

٦/٧) مساعي العرب لإصلاح الخلل في الإعلام الدولي:

ظل الواقع العربي الإعلامي يعاني أزمات حادة بسبب غياب التخطيط للإعلام الدولي، وبذلت جهودا كبيرة لكن الوضع ظل مخيبا للآمال. وحول الإصلاح الإعلامي الداخلي قدم سعد لبيب مجموعة من الملاحظات على هذا الوضع منها ([1])

١- أن التخطيط للإعلام على المدى الطويل يحتكره المخططون في المجال الإقتصادي وأن جهدهم ينصب على المشاكل اليومية ويتجاهلون تخطيط المجالات الإجتماعية والثقافية الأخرى

٢- إن التخطيط الثقافي والإعلامي إذا وجد فهو معني بالأحداث السياسية

---

١) رفيق بكري، مرجع سابث ص ٢٧١

اليومية وليس المجال الإتصالي.

٣- سوء فهم دور وسائل الإعلام الجماهيرية في دعم التنمية الشاملة

٤- الإفتقار إلى روح التعاون بين الأجهزة الحكومية العاملة في مجال التنمية الإجتماعية والثقافية والإعلامية.

هذا على مستوى السياسات الداخلية للدول العربية فما بالنا للتخطيط للإعلام على مستوى الدولي ؟

وبعد قيام تجربة "عربسات" التي جمعت العرب في مشروع اتصالي عربي واحد ليتعامل مع الإعلام على المستوى الدولي ورغم ما شابه من مشكلات وتعثرات فقد أدى دورا مهما في ربط الثقافة العربية وتعاون الدول في تقديم خدمات اتصال إقليمية ودولية مهمة. ([1])

وقد سعت مصر لتجربة خاصة وهي تجربة نيلسات التي خطت بالإعلام الدولي خطوة كبيرة وانشات منطقة حرة للإعلام الدولي وخصصت ميزانية كبيرة لإنشاء تجهيزات مدينة الإنتاج الإعلامي، وأنشأت مناطق للتصوير والإنتاج بشكل غير مسبوق في المنطقة العربية فجلبت الكثير من الجهود الإعلامية على المستوى الدولي.وسوف نتناول هذه الجهود بشيء من التفصيل لاحقا.

واقع البث الفضائي العربي:

منذ التسعينات من القرن الماضي برزت تجارب البث الفضائي العربي، ومنذ ذلك الوقت والتطورات تتلاحق في هذا الميدان. وقد أدت التطورات السياسية والاقتصادية إلى الدخول بقوة إلى مجال امتلاك وتشغيل القنوات

---

١) سامي الشريف وثريا البدوي، قضايا في الإعلام الدولي، جامعة القاهرة: مركز التعليم المفتوح، ٢٠٠٧م) ص ص ٤٢-٤٦

الفضائية لأغراض سياسية وتجارية ودينية، وقد ضاعفت الأحداث التي أطلق عليها ثورات الربيع العربي من أهمية هذه المنابر ذات القوة التعبيرية على مستوى العالم.

وتتميز التجربة العربية في البث الفضائي بكثير من الخصائص على النحو التالي:([1])

١- البعد الكمي للبث الفضائي العربي:

عدد الهيئات العربية التي تبث قنوات فضائية عربية:

من حيث الملكية	العدد	النسبة
هيئات عامة	٢٩	٣.٨
هيئات خاصة	٧٢٩	٩٦.٢
مجموع	٧٥٨	١٠٠

يلاحظ تفوق القطاع الخاص على الحكومات في ملكية قنوات البث الفضائي.ولكي يكون للعرب خطاب عالمي موحد ومؤثر، لابد من التكامل بين هذه القطاعات.

١)اتحاد إذاعات الدول العربي،البث الفضائي العربي،التقرير السنوي ٢٠١٤م ص ١٤

٢- البعد الموضوعي (المحتوى):

أصناف القنوات	القطاع العام	القطاع الخاص	المجموع
قنوات متنوعة عامة	٦٧	٢٥٦	٣٢٣
القنوات الغنائية	١	١٢٣	١٢٤
قنوات الدراما (أفلام/ مسلسلات)	١١	١٤١	١٥٢
القنوات الرياضية	٤١	١٢٩	١٧٠
القنوات الدينية	٩	٨٦	٩٥
القنوات الإخبارية	٤	٦٤	٦٨
قنوات الأطفال	٤	٢٢	٢٦
القنوات الثقافية	٥	٤	٩
القنوات الوثائقية	٣	١٣	١٦
القنوات التعليمية	١٥	٢	١٧
قنوات الأسرة	١	١٥	١٦
قنوات السياحة	٠	٤	٤
قنوات اقتصادية	٣	١٦	١٩
قنوات ترويجية وتسويقية	٠	٢٤٨	٢٤٨
اختصاصات غير واضحة	١	٦	٧
المجموع	١٦٥		١٢٩٤

- **هذه الإحصائيات قديمة والتطور الآن يتغير كل يوم تقريبا.**

من هذه القنوات(١٠٢٦) قناة مفتوحة للعامة و(٢٦٨) قناة مشفرة، وتغطى هذه القنوات مساحة جغرافية كبيرة وتبث على ١٧ قمرا صناعيا،

إضافة إلى عربسات ونايل سات ونورسات.

وتغطي مؤسسة عربسات التي تأسست عام ١٩٧٥ م ١٠٠ بلد في الشرق الأوسط وإفريقيا وأوربا عبر منظومة أقمار اصطناعية هي:(بدر ٤ / وبدر ٥/ وبدر٦/ وعربسات A٥/ وعربسات C٥)

أما شركة نايل سات التي تأسست عام ١٩٩٦ م وتغطي أقمارها الثلاثة مساحة كبيرة في الشرق الأوسط وإفريقيا وتبث عليها أكثر من ٧٠٠ قناة. وأما شركة "نورسات" فيبث عليها أكثر من ٢٥٠ قناة. لكن تظل الإشكالية في بحث قضايا مهمة تتعلق بهذه القنوات وطريقة إدارتها لصالح الدول والشعوب العربية.

- فهل تعمل هذه القنوات ضمن استراتيجية عربية موحدة وأهداف استراتيجية واضحة للتعبير عن الواقع العربي بمشكلاته وطموحاته؟
- هل استطاعت هذه القنوات جذب الجماهير العربية بما تقدمه من مضامين تنبع من حاجات هذه الجماهير ومصالح الدول العربية ؟
- إلى أي مدى ترتبط الجماهير العربية بالقنوات الأجنبية الموجهة للمنطقة العربية مقارنة بالقنوات العربية؟

هذه الأسئلة بحاجة إلى بحوث ودراسات تقويمية شاملة ومتعمقة لمعرفة عائدات المال والجهد والوقت الذي ينفق على هذه القنوات.

٣- التجارب العربية في البث الفضائي:

– ظل الإرسال التليفزيوني يقوم على مبدأ الانتقال من مركز بث ومحطة تقوية لمركز بث أرضي آخر ومحطة تقوية ثانية أو ما أطلق عليه Point to Point Transmission كما في الاتصال التليفوني. كما أن التقدم السريع في مجال

تكنولوجيا أقمار الاتصالات كان كبيراً من خلال العقدين الأخيرين حيث تطورت خلالها أكثر من ستة أجيال من الأقمار الصناعية، وتحولت قدرة الجيل الأول القادر على حمل ٢٤٠ مكالمة هاتفية فقط وقناة تليفزيونية واحدة إلى جيل من الأقمار يستطيع حمل أكثر من ١٠ آلاف مكالمة إضافة إلى مئات المحطات التليفزيونية والإذاعية.

وقد جاء اهتمام الدول العربية بفكرة الأقمار الصناعية وتوظيفها لخدمة أغراض البث الإذاعي والتليفزيوني منذ وقت مبكر، وقبل كثير من دول الجنوب، وذلك في عام ١٩٦٧ عندما أوصى مؤتمر وزراء العرب في تونس بضرورة استخدام التكنولوجيا الحديثة التي توفرها نظم الأقمار الصناعية في تطوير وسائل الإعلام العربية.

- ومنذ ذلك الحين توالت الاجتماعات والتوصيات إلى أن أطلق القمر الصناعي العربي عربسات ١٩٨٥ معلناً دخول العرب في نادي الأقمار الصناعية ومبشراً باستخدام يعود بالإفادة والتطوير على جميع الدول العربية ومواطنيها.
- بدأ عربسات ١ في تفعيل آليات التبادل الإخباري والبرامجي بين الدول العربية وزيادة التعاون فيما بينها على نحو يماثل التعاون الإعلامي الأوروبي الذي يحققه النظام الإخباري لشبكة اليورفيزيون الأوروبية، إضافة إلى كونه يعكس تواجداً عربياً على الساحة الفضائية بشكل أو بآخر.

تجربة عربسات (القمر الصناعي العربي):

أهمية وضرورة إطلاق الأمة العربية للقمر الصناعي (عربسات) والنتائج التي ترتبت على ذلك:

يتيح البث الفضائي العربي التواصل بين شعوب المنطقة العربية ويحقق الانسجام والتفاعل الأمثل بين أبنائها بما يخدم العمل العربي المشترك.

- ويرتبط بما سبق اتساع جغرافية الوطن العربي وتنوع تضاريسها ووجود الحواجز الطبيعية بين كثير من المدن والقرى العربية بما يؤكد ضرورة استغلال أية فرصة للتغلب على ضعف إمكانيات البث الأرضي وتكلفته المرتفعة سواء داخل البلد الواحد أو بين الأقطار العربية وبعضها البعض.
- يتيح البث الفضائي تجاوز الحدود والرقابة.
- يساعد البث الفضائي العربي في تقوية الخدمة التليفزيونية التي تعتبر من أهم الوسائل الإعلامية والمعرفية
- يمكن استخدام النظام الفضائي لمواجهة ارتفاع تكلفة إنشاء قنوات تليفزيونية متخصصة يكون هدفها محاربة الأمية، وتفعيل دور الإعلام التربوي التعليمي، إضافة لدعم خطط التنمية العربية في المجالات المتعددة: الصحية والبيئية والسكانية.
- يسهم البث الفضائي العربي في نقل الصورة الصحيحة للشعوب العربية إلى العالم الخارجي والذي تحاول بعض الدوائر المعادية (الصهيونية تحديداً) تشويهها.
- يفيد البث العربي في تحقيق قدر من التفاعل بين حضارة الأمة العربية التي أسهمت في بناء الحضارات الأخرى وتلاقيها الخلاق مع الحضارات الإنسانية كلها.
- يفيد البث الفضائي العربي في تحقيق التواصل بين الدول العربية مع أبناء المهجرين والاستفادة من ذلك لاستمرار ربطهم بأوطانهم ولغتهم وتقاليدها وموروثها الثقافي.

- يفيد انتشار الفضائيات العربية في توفير مادة يمكن أن تكون بديلة لما يتلقاه المواطن العربي من مصادر خارجية خاصة تلك التي تتوجه إلى قطاعات مهمة مثل الشباب والأطفال. ([1])

بعض الصعوبات التي واجهت انطلاق مشروع العربسات:

- الظروف السياسية التي رافقت التحضير للمشروع، حيث دخل العالم العربي مع بداية الثمانينيات صراعات متعددة مثل الاجتياح الإسرائيلي لبيروت ١٩٨٢ واستمرار الحرب العراقية الإيرانية ولكن الشرخ الأكبر حدث مع غزو العراق للكويت.
- المشكلات الروتينية التي تحكمها آلية العمل العربي المشترك؛ وهو ما أخر انطلاق المشروع عدة مرات، ولكن أخطر هذه المشكلات عدم اقتناع الكثير من الجهات المختصة بجدوى المشروع وفائدته "التأجيل".
- الصراعات العربية الداخلية، والعربية – العربية، وكان للصراع العربي الإسرائيلي دوره في تعطيل مشروع العربسات، إذ تأخر انطلاق القمر الصناعي العربي الأول ستة أشهر بسبب محاولة إسرائيل عرقلة المشروع من خلال الضغط على شركة فورد الأمريكية المرخص لها ببيع قطع الغيار إلى أقمار العربسات بحجة أنها ستستخدم لأغراض عسكرية من قبل أعداء إسرائيل، وبعد التعطيل تم منح الرخصة تحت قائمة طويلة من الشروط ومن أهمها:
- أن قطع الغيار ذات قيمة عسكرية قليلة ولا خطر منها من الناحية الإستراتيجية.

---

١) ١) سامي الشريف وثريا البدوي، مرجع السابق، ص ص ٥٨– ٦٤

- أن بيع قطع الغيار لن يأتي بالضرر على إسرائيل.
- أن بيع قطع الغيار سوف يؤمن فرص عمل عديدة للشعب الأمريكي ويفيد شركاته الاقتصادية.
- أن إعطاء قطع الغيار لا يعني الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية أو تحسين العلاقات مع ليبيا.
- أن معظم الدول العربية خصوصاً المالكة للعربسات تربطها علاقات صداقة قوية مع أمريكا.
- لم تتم الاستفادة الكاملة من القدرات التكنولوجية الهائلة للقمر الصناعي العربي في مجال البث المباشر إلا في عام ١٩٩٠، عندما استأجرت مصر القناة غزيرة الإشعاع من القمر الصناعي العربي تمهيداً لبث القناة الفضائية المصرية التي بدأت بثها في ١٢ ديسمبر ١٩٩٠.
- ضعف الاستفادة من خدمات القمر الصناعي بجيله الأول للخلافات السياسية بين الدول:.
- عانى القمر الصناعي عربسات ١ من الأعطال الفنية كثيراً، كما خرج عن مداره الثابت فوق خط الاستواء؛ الأمر الذي جعله خارج الرقعة العربية المخصص لها بالأساس.
- زيادة تكلفة المحطات الأرضية وعجز بعض الدول عن بناء مثيل لها، وذلك قبل الانتقال إلى تقنية البث المباشر، مما زاد من تعقد الاستفادة الفورية من هذا المشروع.
- إن الحاجة لأجهزة استقبال ضخمة وزيادة تكلفتها لاستقبال بث قنوات العربسات.

- لم يقتصر البث الفضائي المباشر للفضائيات العربية على انطلاق فضائية حكومية إذ شهدت أقمار الجيل من العربسات ظهور القنوات العربية والتي كان أولها MBC، ART، والأوربيت إلى جانب انطلاق القنوات الفضائية الحكومية: المغربية، التونسية والإماراتية والسودانية... الخ.
- شهد هذا الجيل ظهور الحزم الفضائية ذات الاشتراك الخاص والمشفرة مثل باقة الأوربيت.
- شكلت الفضائيات العربية التي استخدمت أجيال القمر الصناعي الأول بداية للدور الإعلامي العربي في مواجهة الفضائيات الغربية، وإن عابه في البداية عدم القدرة على المنافسة وخاصة في المجال المعلوماتي.
- قامت الفضائية المصرية بدور هام ومؤثر في حرب الخليج الأول لتحرير الكويت ١٩٩١، وذلك بتوفيرها معالجات وموضوعات ومعلومات توازي ما قدمته الـ CNN للجمهور العربي.
- شهد هذا الجيل من الأقمار الصناعية العربية تأجير البث لقنوات أجنبية بهدف الوصول إلى الجمهور العربي مثل BBC وTV5 وEuronews والدويتش فيلي DW TV الألمانية.

الفرص المتاحة أمام العرب:

مع كل هذه العقبات لا تزال الفرص متاحة أمام العرب من ذلك:

- كثرة الكوادر الإعلامية العربية داخل وخارج المنطقة.
- انفتاح الإنترنت على مختلف الثقافات
- الثورات الشبابية والمطالبات المستمرة بالحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية.

- ضعف أنظمة الحكم، وتراخي قبضتها على الأمور الإعلامية في كثير من الدول.
- ضغف الإقبال على الإعلام العمومي، والانصراف للإعلام الخاص والتفاعلي عبر التواصل الاجتماعي (Socil.Media)
- وجود كيانات قائمة يمكن تفعيل الإعلام منها (المنظمات الاتصالية والإعلامية العربية والإسلامية).

القدرات المتوافرة للإعلام العربي:

- وجود رأس المال والتمويل اللازم.
- يوجد خريجون وممارسون للإعلام بأعداد كبيرة.
- يوجد توطين للتقنية في شبكات عمومية وخاصة في كل دولة على حدة.
- يوجد حماس لدى الكثيرين للاستقلال عن النموذج الغربي والانفكاك من أسره.

يوجد حرية نسبية الآن وبخاصة عبر النت.

مواطن الضعف:

- لا يوجد نظام إعلامي عربي أو إسلامي جماعي موحد الرؤية والأهداف والوسائل، ولكنها جهود دول وشركات وأفراد تابعين لدول.
- لا توجد هوية أو مرجعية واضحة لهذه الأنظمة القُطرية.(أكثر من عشرين نظام وعشرين خطاب وعشرين طريقة ليست مستقلة تماما، بل تدخل ضمن مفهوم التبعية بشكل ما.
- فهو إعلام تابع للنظم السياسية، وتابع لرأس المال، وتابع للأيديولوجيا،

وأطر الالتزام هذه كلها لا تتيح الاستقلالية المنشودة للإعلام العربي الموجه للجمهور الداخلي ولا للإعلام الموجه للخارج.

وقبل أن ينتهى هذا الفصل، لا مفر من تقرير واقع يشير إلى أن التقنية الاتصالية التي كانت محتكرة كليا للدول المتقدمة، قد أتاحت لغير الدول المتقدمة فرصا كثيرة لاستثمارها، وأصبحت التطورات تسند الأنشطة الاتصالية الأفقية بين البشر وبين الدول مما يتيح للدول الأقل نموا توظيف هذه القدرات.

وأصبح الأمر مرهونا – إلى حد ما– بإرادة هذه الدول في تعديل موازين القوى في المجال الإعلامي والمعلوماتي، وبخاصة شبكة الإنترنت، وتقنية الأقمار الصناعية، وقد برزت مؤسسات إعلامية كبرى تنتمى لدول ولرؤوس أموال عربية، (مجموعات من الشركات الإعلامية مثل الجزيرة والـ Mbc وروتانا وسكاي نيوز وغيرها) كما حدثت شراكات واندماجات بين التمويل العربي ومؤسسات دولية كبرى في مجالات الإعلام والإعلان والإنتاج والتوزيع. مع الاعتراف بدور الشركات العابرة للحدود المستمر في محاولة تنميط الأسواق وتوحيدها من أجل توجهاتها الربحية. ([1])

- مستقبل العمل الإعلامي والثقافي العربي:

أصبح الأخذ بوسائل العصر من ضرورة وجود وسائل إعلام متعدد ومتطور من مستلزمات الحاضر والمستقبل. فوسائل الإعلام المعاصرة من إذاعات وصحف ونشرات ودوريات وقنوات فضائية ألزم لكل جوانب النهضة العربية، سواء لمحاولة تصحيح مفاهيم غيرنا من اتباع الحضارات الأخرى وبخاصة الحضارة الغربية والسعي لتحويل الرأي العام المستنير فيها، أم لشحذ الرأي العام العربي

---

1) Yaple.P &Karzmy F, Electronic Mass Media effects In:asante M.K & Gudykurst, W.P.309

حول المعطيات الثقافية وغيرها،وفتح الطريق للتعارف الثقافي بين الشعوب.

لقد بات من الضرورة إعادة النظر في إدارة وتنسيق عمل شبكات الاتصال العربية والإسلامية والسعي لكسر الطوق المحيط بالمنطقة العربية . استعداداً لمرحلة الحوار الثقافي ونحن مؤهلين له إعلاميا بنفس صلابة مقوماتنا الحضارية.

وهناك ضرورة ملحة في استخدام وسائل الاتصال والإعلام العصرية النافذة باعتبارها وسائل هامة لتحقيق غايات الأمة في توضيح ذاتهاالحضارية، وتوضيح ثوابتها في قبول الحوار الثقافي ونديتها له برغم مظاهر الضعف التي تحيط بها مرحلياً،وتوضيح جوانب رسالتها الإسلامية والوصول إلى قدر من فهم العالم الى مدى حاجته لمبادئها للحد من الغلو المادي الذي يعتبره البعض طريقاً للانحدار الحضاري.

الأولويات الاستراتيجية للإعلام العربي الدولي:

- تنمية الحوار مع الذات أولا بين الدول والشعوب العربية وتجسيد مقومات الوحدة القومية واستثارة الشعور المشترك في مواد وبرامج تستثمر تقنية التواصل المتطورة.
- تصحيح نظرة الغرب عن العرب والمسلمين بإبطال الأحكام المسبقة، والادعاءات المرسلة، والإشاعات المغرضة التي تؤذى أهله، والعمل على تكوين رأي عام غربي لصالح القضايا العربية والإسلامية، وإبراز عطاء حضارتنا بالنسبة للحضارة الإنسانية عموماً، وقدرته على استئناف هذا العطاء والإسهام في تقويم المسار الذي أخذ يسلكه النظام العالمي الجديد وبخاصة البعد الأخلاقي الذي يحكم حياة الإنسان، أو بالتقويم الأخلاقي

للأحداث العالمية، وكذلك إعادة الصياغة الأخلاقية للمجالات والمشكلات التي كان الغرب قد قطعها عن الاعتبارات الأخلاقية أو كان لايرى صلتها بهذه الاعتبارات.

- إعادة إذكاء الشعور الأخلاقي عند الجمهور الغربي وتقوية القيم الإنسانية في نفسه بما يمهد لقيام نظام عالمي متكافيء تُصان فيه حقوق الشعوب على اختلاف ثقافاتها ومقوماتها الحضارية.

الفصل الثاني

مؤسسات الإعلام الدولي وأدواته

الإعلام الدولي لا يعمل في فراغ، ولا ينفصل عن السياسات الدولية، وهو تعبير ظاهر عن حالة القوة والضعف للدول والقوى الدولية. وإذا كنا نؤكد على سيطرة الدولة القطرية على موارد الإعلام وتوجيهها وفق سياسات النظم الحاكمة داخليا، فإن سيطرة الدول على الإعلام الدولي وتوجيهه أكثر بروزا لكل باحث أو متأمل في منظومة الإعلام والاتصال على المستوى الدولي.

وسنعرض هنا للمؤسسات التي يقوم عليها الإعلام الدولي نشأة وإدارة وتنسيقا وضوابط:

أولا: البنية التحتية للإعلام الدولي:

يقوم الإعلام الدولي على ركائز وبنى تحتية تنظيمية وتقنية محددة تتمثل في الكيانات الدولية المسؤولة عن تنظيم هذا النشاط من هذه المنظمات:

١- **الاتحاد الدولي للاتصالات** (international Telecounication Uonion) التابع للأمم المتحدة، ومقره سويسرا، كما تضم مؤسسات مثل (Intelsat) المنظمة الدولية لاتصالات الأقمار الصناعية، و(Comsat) التي تقدم خدماتها لوسائل الإعلام داخل وخارج الولايات المتحدة.

أنشطة الاتحاد الدولي للاتصالات:

- المؤتمرات الدولية التي تناقش أوضاع الاتصالات على مستوى دولي.
- وضع جداول تخصيص الترددات الإذاعية، وحصص كل دولة وكيفية الاستخدام.
- تنسيق الاستخدام الدولي لأنظمة الاتصالات في العالم.

نشاة الاتحاد الدولي للاتصالات:

في عام ١٨٦٥ م نشأ الاتحاد الدولي للتلغراف ثم ورثه الاتحاد الدولي للاتصالات، وفي عام ١٩٤٧ عقد مؤتمر في انطلانطا تم تقسيم العالم إلى ثلاثة أقاليم كبرى هي:

أوربا وأفريقيا/ الأمريكتين/ آسيا وجنوب المحيط الهادي.

وهذا الاتحاد شانه شان منظمات دولية عديدة يسوده الصراع بين الدول الغنية والمتقدمة من جهة وبين الدول النامية والهامشية من جهة أخرى. ([1])

يضم الاتحاد أكثر من (١٨٨) دولة بصفة أعضاء، ويتعامل مع مئات الشركات التي تعمل في إطاره تقنيا وفنيا وإداريا وتسويقيا.

٢- منظمة انتلسات: Intelsat

هي المنظمة الدولية لاتصالات الأقمار الصناعية نشات عام ١٩٦٥ م وتضم (١٤٤) دولة، وتقدم خدمات الأقمار الصناعية لأعضائها من خلال ممثليها في العالم. وتدير هذه المنظمة نظاما معقدا يتكون من محطات فضائية،

١) توماس ماكفيل، الغعلام الدولي: النظريات، الاتجاهات، الملكية، ترجمة: حسني نصر وعبد الله الكندي، ط ١ العين، دار الكتاب الجامعي، ٢٠١١م ص ٤١٦-٤١٩

ومحطات أرضية، وتخدم آلاف الإذاعات ومحطات التليفزيون، وشركات الملاحة، والبنوك والاتصالات الهاتفية وغيرها.

أما مؤسسة (Comsat) التي تأسست عام ١٩٦٣ م فهي شركة أمريكية الجهة التنفيذية التي تقدم الخدمات الخاصة بالأقمار الصناعية داخل وخارج الولايات المتحدة فيما يخص الإذاعات والقنوات والصحف ووكالات الأنباء.

٣- منظَّمَة التِّجَارة العَالميَّة:

مع تنامى قطاع الاتصالات الدولية، وظهور مشكلات تتعلق بالملكية الفكرية فقد أولت منظمة التجارة العالمية هذا المجال عناية خاصة لحل النزاعات الناجمة عن تفاعل أطراف العملية الاتصالية على نطاق دولي، من أجل حماية الحقوق المادية والأدبية لمجالات الإبداع والفنون والآداب.

- جولة أورجواي:كانت جولة أورجواي (١٩٨٦- ١٩٩٣ م) نهاية عهد – عهد الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة- وبداية عهد منظمة التجارة العالمية ولقد عقد المؤتمر الوزاري للجات اجتماعه الأول بعد جولة طوكيو ١٩٨٢م بناء على دعوة الولايات المتحدة التي كانت تواجه منافسة شديدة من قبل السلع اليابانية، وكذلك من السلع الواردة من الدول الصاعدة في النمو والتي عرفت فيما بعد بـ "النمور الآسيوية" وكذلك كانت الولايات المتحدة تعاني من الدعم الذي يقدمه الاتحاد الأوربي تجاه السلع الزراعية مما يهدد منتجاتها الزراعية، كل هذا دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى الدعوة إلى فتح أسواق جديدة ولأصناف لم يسبق لاتفاقية الجات التعامل فيها أو المفاوضة بشأنها مثل: إدراج تجارة الخدمات في السياحة والبنوك والتأمين والنقل، وكذلك إدراج عمليات الاستثمار ونقل التكنولوجيا وعمليات بيع حقوق الاختراع

والعلامات التجارية، ضمن الموضوعات التي يتعين التفاوض بشأنها والتوصل إلى اتفاق قانوني يلزم الدول الأطراف بقواعد ملزمة للتعامل مع تلك النواحي التجارية الجديدة.

غير أن الدول النامية رفضت في البداية إدراج تجارة الخدمات وغيرها من النواحي التجارية الجديدة، إلا أنها وافقت في النهاية عندما دعت الولايات المتحدة بعد أربع سنوات إلى جولة أورجواي حيث عقد اجتماع وزاري في الفترة من ٥–٢٠ سبتمبر ١٩٨٦م شاركت فيه جميع الأطرف البالغ عددهم في ذلك الوقت ١٢٩ دولة حيث تم الإعلان عن بدء المفاوضات التجارية وقد اعتبر هذا الإعلان الإطار الذي تجري المفاوضات حوله بالإضافة إلى أنه أكد على مجموعة المبادئ والأهداف التي تقوم عليها اتفاقية الجات والتي أهمها الحث على وقف وتجميد الممارسات الحمائية وإلغاء القيود التعريفية وغير التعريفية هذا وقد تضمن الإعلان الموضوعات التي سوف تكون محل التفاوض وأهمها:

- تجارة السلع التي تعتمد على الموارد الطبيعية والمنسوجات والملابس والسلع الزراعية.
- والأوجه التجارية لحقوق الملكية الفكرية.
- وإجراءات الاستثمار وضوابط إجراءات الوقاية ومكافحة الدعم.
- واتفاقية مكافحة الإغراق وتسوية المنازعات.

تعريف بالاتفاقية المتعلقة بالأوجه التجارية لحماية حقوق الملكية الفكرية:

تتمثل حقوق الملكية الفكرية في عوائد الإبداع الفكري والعلمي والفني والأدبي سواء كان ذلك في مجال الاختراع أو الابتكار أو في مجال التأليف أو مجال الأغاني والموسيقى بما في ذلك من براءات الاختراع والعلامات التجارية

وتشمل اتفاقية حقوق الملكية الفكرية، كما تشمل اتفاقية الملكية الفكرية أيضا حقوق الطباعة والنشر والتصميمات الصناعية،

ولقد كان للأضرار التي لحقت بالدول الصناعية المتقدمة من جراء تقليد براءات الاختراع والعلامات التجارية الدافع الرئيس لإدراج مسألة الأوجه التجارية لحماية حقوق الملكية الفكرية ضمن مناقشات جولة أورجواي، فقد دأبت بعض الشركات على سرقة الأعمال الفنية والعلمية والتصميمات المتعلقة بالدوائر الكاملة والأسرار الصناعية تلك السرقات التي اشتهرت بها كثير من الشركات في جنوب شرق آسيا إذ تخصصت الشركات في مسألة نسخ الماركات العالمية وتقليد العلامات التجارية مما كبد أصحابها خسائر ضخمة.

ومن ثم فإنه بمقتضى هذه الاتفاقية يقع على عاتق الدول الأطراف التزامات معينة بشأن تطبيقها منها: وضع القوانين واللوائح وإصدار القرارات التي تتفق وأحكام هذه الاتفاقية من حيث حماية تلك الحقوق، مع وضع العقوبات الرادعة ضد كل من تسول له نفسه خرق أحكام الاتفاقية والتعدي على الحقوق الفكرية للآخرين. ([1])

ثانيا: نماذج من المؤسسات الإعلامية على المستوى الدولي:

١- امبراطورية روبريت ميردوخ الإعلامية:

إن قراءة في خريطة الإمبراطوريات الإعلامية الكبرى في العالم تبين أن التحكم فيها للمال اليهودي مثل مجموعة "روبريت ميردوخ الإعلامية" المولود

في استراليا ١٩٣١ م والتي تشمل: كبريات الصحف مثل:التايمز والصن والصنداي تايمز في بريطانيا، وتشمل ١٥٠ مطبوعة في استراليا موطن ميرودوخ، وتضم قمرا صناعيا (بي سكاي بي) وفوكس نيوز أف أكس، وناشيونال جيوجرافيك تشانل، وتضم شركات سينما فوكس القرن العشرين، وفوكس سيرتشلايت بكتشر، وبلو سكاي ستديوز، وإنتاج فني آخر من ألعاب الفيديو والإنترنت التي يوليها ميروخ عناية خاصة ويستثمر في الإعلام الجديد بشكل واضح ويقيم شراكات مع رؤوس اموال عربية أيضا، وله سيطرة في سوق الإعلانات والتسويق والكتب والإذاعات.

هذا النموذج الإعلامي "امبراطورية ميردوخ" هو خير مثال لتزاوج "المال والسياسة والإعلام " لخدمة مصالح قوى معينة، وأن الحديث عن توازن التدفق الإعلامي مجرد خيال، وأن الاستقلال في مجال الإعلام مجرد حلم يسير خلفه الرومانسيون، وما يفيد دراستنا لموضوع الإعلام الدولي، هو تحقيق أهداف سياسية واستراتيجية يخدم فيها الإعلام الدولي السياسة والأهداف السياسية والاقتصادية والثقافية على مستوى عالمي.(نشاة وتطور هذه الامبراطورية مجال بحوث ومناقشات عديدة بين الدراسين).

٢- شبكة الـ BBC البريطانية:

تعد المملكة المتحدة ضمن عدد محدود من الدول التي لا يوجد بها دستور مكتوب إذ تعتمد على عدد من الأعراف والوثائق والاتفاقيات القانونية وأهمها على الإطلاق " قانون الحقوق" الصادر عام ١٦٨٩ الذي ينظم العلاقة بين البرلمان والنظام الملكي، وفي العام ١٩٩٨ صدر قانون حقوق الإنسان (human rights act)كامتداد طبيعي وتطبيق عملي لمعظم ما نادت به الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان (European convention of human rights) ويستند

النظام الإعلامي في المملكة المتحدة إلى المادة العاشرة من هذه الاتفاقية والتي تضمن حرية التعبير.

والأهم من ذلك ما تقضي به المادة ١٢ من قانون حقوق الانسان، والتي تلزم القضاة بإيلاء أهمية خاصة للمادة العاشرة من الاتفاقية الأوربية لحقوق الانسان حال النظر في القضايا ذات الصلة بحرية الإعلام، وهي المادة نفسها التي تنص على أنه في الحالات التي تتعارض فيها التشريعات الداخلية للمملكة المتحدة مع نص وروح المادة العاشرة من الاتفاقية الأوربية، يتوجب على القاضي أن يعلن عن هذا التعارض بين التشريع المحلي والإتفاقية الأوربية، يعقب هذا الإعلان مباشرة قيام الحكومة بإجراء التعديل في التشريع المحلي ليتوافق مع ما تقضي به الاتفاقية الاوربية في شأن حرية الإعلام، وبعيدا عن الإجراءات البرلمانية فإن السلطة العامة لا يمكنها أن تصدر قرارا يتعارض مع حرية الإعلام كما نصت عليها الاتفاقية الأوربية.

- وتنظم الصحافة في المملكة المتحدة ذاتيا(Self-regulating) ولا يوجد بالمملكة سوى لجنة الشكاوى الصحفية (Press complaints Commission PCC) والتي أنشئت في العام ١٩٩١ لتحل محل مجلس الصحافة الذي ولد في عام ١٩٥٣، والعضوية في لجنة الشكاوى الصحفية تطوعية، وتتكون اللجنة من خمسة لجان فرعية تعنى بقضايا الصحافة المختلفة، وتضم اللجنة ١٧ عضوا منها ٨ أعضاء من كبار الصحفيين و٨ أعضاء من الشخصيات العامة، تختارهم لجنة التعيينات وهي احدى لجان– لجنة الشكاوى الصحفية– هذا بالإضافة إلى الرئيس الذي يشترط ألا يكون مرتبطا بمهنة الصحافة أو بصناعة النشر مثله في ذلك مثل الشخصيات العامة باللجنة، أما الأعضاء الصحفيون بالمجلس

فتختارهم لجنة التعيينات بعد ترشيحهم من قبل المؤسسات الصحفية في ضوء الإعلان الذي يحدد شروط وضوابط العضوية.

المهمة الرئيسية للجنة الشكاوى الصحفية PCCهي وضع المعايير المهنية للإرتقاء بجودة الأداء الصحفي، ونشر هذه المعايير بين الصحفيين، وتدريبهم عليها، والتصدى لمحاولات انتهاكها، وتلقي الشكاوى من المتضررين من إساءة استخدامها وتطبيقها والتحقيق فيها، وباختصار تكمن المهمة الرئيسية في وضع ميثاق الشرف الصحفي واتخاذ التدابير اللازمة لتفعيله ولا شأن للجنة بتسجيل الصحف، وإلى جانب ذلك يوجد بالمملكة هيئة معايير الإعلان(Advertising Standards Authority (ASA) كهيئة تعنى بالأداء الإعلاني وتضمن عدم وقوع الضرر من إساءة استخدام الإعلان.

أما الإذاعة والتلفزيون فنظرا لتعاملها مع مورد عام محدود هو الترددات الإذاعية فضلا عن طبيعة الرسالة الإذاعية التي تصل إلى جمهور أوسع من جمهور الرسالة المطبوعة فتنظمها هيئة قانونية تسمى مكتب الاتصالات (Office of Communications) وعلى الرغم أن مكتب الاتصالات لا يتمتع بالاستقلال القانوني عن الحكومة، مثله في ذلك مثل هيئة الإذاعة البريطانية إلا أنهما نجحا معا في العمل بشكل مستقل عن الحكومة، وتكاد تنحصر المهمة في الترخيص لطالبي الرخصة وضمان إتاحة الخدمة لتغطية أرجاء المملكة وأيضا المحافظة على التنوع الإعلامي ومتابعة الأداء وتطبيق العقوبة على مخالفي ميثاق الشرف والتي تتراوح بين الغرامة وإغلاق الخدمة الإذاعية أو التلفزيونية التي تنتهك الميثاق.

وهيئة الإذاعة البرطانية مستقلة من الناحية الفعلية إلا أنها تتبع رئيس الوزراء مباشرة الذي يرأس مجلس المحافظين المعينين بالهيئة، وعلى الرغم أن

مضمون هيئة الإذاعة البريطانية كان إلى وقت قريب خارج نطاق عمل مكتب الاتصالات إلا أن التعديل الذي أدخل على قانون الاتصالات عام ٢٠٠٣ أعطى ولاية لمكتب الاتصالات على هيئة الإذاعة البريطانية.

ولا يزال قانون التشهير الصادر عام ١٨٤٣ والذي يقضي بالسجن لمدة عامين أو بالغرامة لمن يرتكب التشهير بحق الآخرين أو يهدد السلم والأمن قائما حتى يومنا هذا إلا أن مجلس اللوردات أقر استخدام قانون التشهير في أضيق الحدود خاصة إذا كان رافع الدعوى جهة منتخبة مؤكدا على الحق في النقد باعتباره أساس الحكم الديمقراطي، كما يجرم القانون المادة الإعلامية التي تدعو إلى الكراهية hate speech أو التي تقوم على البذاءة والابتذال Obscenity وازدراء الأديان Blasphemy واختراق الخصوصية Privacy أو التعليق على أحكام القضاء أثناء المحاكمات.

وقد أعطي قانون الحق في الوصول للمعلومات الصادر في المملكة عام ٢٠٠٠ والذي دخل حيز التنفيذ عام ٢٠٠٥ للأفراد المواطنين أو غير المواطنين الحق في الحصول على المعلومات من الهيئات والسلطات العامة في الدولة، ومع ذلك يؤثم قانون سرية المعلومات الافصاح عن المعلومات المتعلقة بالمخابرات والأمن القومي والدفاع وعدد آخر من المجالات ذات الصلة بالشئون الخارجية وأسرار الدولة وتصل عقوبة نشر وسائل الإعلام لهذه الأسرار إلى السجن لمدة سنتين أو الغرامة كما تحددها المحكمة.

٣- تجارب إسرائيل في الإعلام الدولي:

ما تزال إسرائيل تشعر بمرارة الفشل في توجيه قنوات إعلام موجهة للمواطن العربي، ورغم الجهد التخطيطي والتنفيذي فإنها أقرت بالفشل ولكنها تضع الخطط باستمرار لاختراق المحيط السكاني الكبير حولها، وبعد انتهاء

الحرب مع مصر، وتوقيع اتفاقيات سلام مع مصر والأردن، تحاول الاعتماد على القوة الناعمة لإتمام عملية التطبيع السياسي والاقتصادي والثقافي مع الدول العربية. وقد وضعت خطة لإنشاء قناة فضائية باسم "مكس" عام ٢٠٠٢م على القمر الصناعي المصري نايل سات على تردد (١٠٨٩٢) ورغم كل المحاولات لإخفاء هوية هذه القناة فقد فشلت في تحقيق جماهيرية لها، وأطلقت قناة باللغة العربية حكومية وهي نسخة من القناة العاشرة الإسرائيلية[١]

ولكن إسرائيل لا تكف عن تحقيق أهدافها ولذلك فهي تستخدم التطبيع الإلكتروني عبر مواقع رسمية وغير رسمية وبخاصة بعد عام ٢٠١١م حيث أنشات وزارة الخارجية مواقع مثل:إسرائيل تتكلم العربية، وقرآن.نت، إسرائيل بدون رقابة، عربيل:صوت إسرائيل. [٢]

وتعتمد الدعاية الإسرائيلية على نمط اتصال لامركزي في تحقيق الأهداف داخليا وخارجيا، ظاهرا أو خفيا، وذلك لتحقيق أكبر قدر من الإقناع للرأي العام الدولي بمواقفها ومواجهة خصومها وتشويه قضاياهم رغم عدالتها.

و النظام الاتصالي الدولي لإسرائيل قد تمت دراسته من قبل الباحثين المصريين والعرب وذلك لأسباب تعلق بالحروب الإعلامية التي تدور رحاها بين إسرائيل وخصومها في المنطقة العربية.لكن تظل الممارسة الإعلامية العربية على المستوى الدولي تحتاج لكثير من التطوير لكي تعرض القضايا العربية للرأي العام العالمي بشكل يدعوه للتجاوب مع الحقوق العربية في فلسطين وغيرها.

---

١) سالي أحمد محمّد جاد، أساليب الدعاية السياسية في القناة الفضائية الإسرائيلية الموجهة باللغة العربية:دراسة مسحية،رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، ٢٠١٠م)

٢) منة الله موسى دياب، علاقة الشباب المصري بالمواقع الإلكترونية الإسرائيلية الناطقة باللغة العربية على الإنترنت، رسالة ماجستير،(القاهرة: كلية الإعلام جامعة القاهرة، ٢٠١٤م ص ١٣٠

٤- النماذج العربية في الإعلام الدولي:

٤/١:قناة الجزيرة وسياستها على المستوى الدولي

النشأة والتطور(١)

لا يمكن عزل نشأة شبكة الجزيرة الإعلامية عن الأوضاع السياسية التي مرت بها دولة قطر، فقد جاء إنشاء قناة الجزيرة في سياق حالة من الانفتاح الإعلامي التي أطلقها أمير قطر بعد تسلمه مقاليد الحكم في انقلاب سلمي عام ١٩٩٥ وكرسها لاحقا بعدة خطوات كإلغاء وزارة الإعلام في العام ١٩٩٧ التي كانت تمارس سلطة الإشراف على أجهزة الإعلام الوطنية، وخصخصة الصحف التي كانت مملوكة للدولة.

وانطلقت قناة الجزيرة في الرابعة من عصر الأول من أكتوبر عام ١٩٩٦، وكان قرار تأسيسها قد صدر في بداية العام نفسه في فترة تزامنت تقريبا مع إغلاق قناة ال BBC العربية التلفزيونية الأولى مما مكن القناة الجديدة أن تستقطب أعضاء بارزين في فريق الBBC ولاسيما المذيعين وأن تستفيد من سياقها التقني رغم حرص مسئوليها على التأكيد في ذلك الوقت على أن عدد كوادر ال BBC عند الانطلاق لم يزد على ٢٠ فقط من بين ١٤٠ موظفا بدأت بهم القناة.

وقد اتبعت الجزيرة مسارا مرحليا في خروجها إلى الفضاء فبدأت بعدد ساعات بث لا يتجاوز ٦ ساعات في اليوم ثم ارتفع هذا العدد إلى ١٢ ساعة ثم وصل إلى ١٨ ساعة عام ١٩٩٨، وابتداء من فبراير عام ١٩٩٩ أكملت

---

١) في عرض سياسة قناة الجزيرة تم الاعتماد بشكل أساسي على بحث الدكتور ياسر أبو النصر لدرجة الدكتوراة بكلية الإعلام–جامعة القاهرة.

الجزيرة بثها المتواصل على مدار الساعة.[1] وهي تبث برامجها حاليا عبر ١٢ قمرا صناعيا تغطي العالم كله تقريبا باستثناء المناطق غير المأهولة مثل سيبيريا وشرق كندا.

وقد قفز عدد موظفي قناة الجزيرة الناطقة بالعربية في هذه الأثناء إلى أكثر من ١٤٠٠ حاليا. ويعمل نحو ثلثي هذا العدد في المقر الرئيسي في الدوحة ويتوزع الباقي على المكاتب الخارجية. وينتمي موظفو الجزيرة إلى ٥٠ جنسية على الأقل وتشكل نسبة القطريين منهم (١٤%) [٢].

وينص نظام الجزيرة أنها تتمتع بشخصية معنوية مستقلة وفق القانون القطري الذي قضى بإنشائها والصادر في ٨ نوفمبر ١٩٩٦. وقد صدر مرسوم أميري في ٢٠١١/٥/١٨ غير من وضعها القانوني لتصبح مؤسسة خاصة ذات نفع عام بعنوان "شبكة الجزيرة الإعلامية" بدلا من "شبكة الجزيرة الفضائية" وهي صيغة تكفل لها استمرار تلقي تمويلا من الحكومة القطرية كالسابق ولكن تتيح لها تحررا أكبر من الارتباط بمؤسسات الدولة القطرية كخضوع موازنتها لمراقبة ديوان المحاسبة كما تعفيها من جميع أنواع الضرائب والرسوم.

وقد عرفها ميثاق الشرف الذي تمت المصادقة عليه في ١٢ يوليه ٢٠٠٤ بأنها خدمة إعلامية عربية الانتماء عالمية التوجه شعارها " الرأي والرأي الآخر".[٣]

ويشرف على تسيير الجزيرة مجلس إدارة يتكون عادة من سبعة أعضاء يعاد اختيارهم كل عام، ولكن يبقى دائما على رأسه حمد بن ثامر آل ثاني عضو

---

(1) Ehab Yasser Bessaiso. Aljazeera after September 11. MA Submitted to the University of Wales. Cardiff. Department of Journalism.Media and Cultural Studies. 2002. P. 10-18

(٢) محمد بابا ولد أشفغ. الجزيرة وأسرارها. سلا– المغرب: بني ازناسن، ٢٠٠٦. ص٥٤

(١) ميثاق شرف الجزيرة.

الأسرة الحاكمة في قطر الذي شغل منصب وكيل وزارة الإعلام قبل إلغائها كما يرأس في نفس الوقت الهيئة القطرية العامة للإذاعة والتلفزيون منذ تأسيسها في مايو ١٩٩٧ بعد إلغاء وزارة الإعلام.

مكونات الشبكة:

إضافة إلى الإدارات والهياكل الموجودة بالدوحة تتوفر الجزيرة على ممثلين في ٤٦ بلدا يعمل بها نحو ٨٠ مراسلا وابتداء من ٢٣ مارس ٢٠٠٦ صدر قرار بتحويل الجزيرة إلى شبكة تضم عددا من الخدمات الإعلامية والهيئات تحت مظلتها في خطوة وصفها صانعو القرار في الجزيرة بأنها تهدف إلى تعزيز بنية المؤسسة وتضم الشبكة حاليا:

- قناة الجزيرة الناطقة بالعربية
- قناة الجزيرة الدولية الناطقة بالإنجليزية
- قناة الجزيرة مباشر
- قناة الجزيرة مباشر– مصر (توقفت قبل نهاية ديسمبر ٢٠١٤م)
- قناة الجزيرة بلقان
- قناة الجزيرة الرياضية
- قناة الجزيرة الوثائقية
- خدمة الجزيرة موبيل
- مركز الجزيرة للدراسات
- مركز الجزيرة للتدريب والتطوير
- وحدة تقييم الأداء

- وحدة الصحافة الاستقصائية
- قطاع ضبط الجودة والسياسات التحريرية

التمويل:

اعتمدت الجزيرة في تمويلها منذ التأسيس وحتى اليوم على دولة قطر بشكل شبه كامل حيث رصدت لها حكومة الدوحة عند الإنشاء ١٣٠ مليون دولار لتمويل أنشطة القناة خلال السنوات الخمس الأولى على افتراض أن القناة ستتمكن خلال هذه المدة من استقطاب ما يكفي من الموارد الذاتية وعلى رأسها الإعلان. لكن هذه الفترة انقضت دون أن تفلح القناة في تحقيق حجم الإعلانات المتوقع في الوقت الذي انفتحت أبواب جديدة للإنفاق بفعل التوسع المستمر الذي أملاه انتشار القناة إلى حد أن عام ٢٠٠٤ وحده على سبيل المثال أنفق فيه ١٣٤ مليون دولار وهو مايفوق ما أنفق خلال السنوات الخمس الأولى وقدمت الحكومة القطرية منها ١٢٣ مليون بنسبة ٩٢% بينما غطى الدخل الذاتي للجزيرة ١١ مليون دولار بنسبة ٨% فقط.[١] وبسبب احتدام المنافسة في مجال القنوات الإخبارية خلال السنوات الخمس الماضية أصبحت الجزيرة تحجم رسميا عن الإفصاح عن ميزانيتها السنوية على نحو دقيق إلا أن الدارج لدي العديد من قياداتها أن ميزانية القناة العربية السنوية خلال السنوات الأخيرة يدور في فلك ٢٥٠ مليون دولار تزيد أو تنقص عن ذلك قليلا.

وتتوزع مصادر الدخل الخاص بالجزيرة ما بين بيع اللقطات والصور الخاصة بالجزيرة لمن يطلبها من المحطات وتأجير معدات وخدمات في مجال البث والإنتاج في بعض المكاتب الخارجية، ويشكل التشفير واحدا من أهم مصادر

(١) محمد بابا ولد أشفغ. مرجع سابق. ص ١٦٦ نقلا عن مقابلة للمؤلف مع صالح مبارك المهندي المدير المساعد للإدارة المالية في مارس ٢٠٠٤.

دخل الجزيرة حيث يصل بثها عبر باقات تجارية مشفرة إلى مشاهدي أوروبا والولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلندا وعدد من الدول الآسيوية.

ويقر مسئولو قناة الجزيرة بأن قطر أصبحت بفضل القناة معروفة عربيا وعالميا على نحو غير مسبوق وهو ما يوازي بل يفوق في أهميته ما ينفق من أموال. فقد وضعت قناة الجزيرة دولة قطر على خارطة العالم وزادت من تأثيرها السياسي والإعلامي على الأصعدة الخليجية والإقليمية والعربية رغم ما جلبته لها من مشاكل جراء شكاوي الحكومات المستاءة منها[١]، ولكن تظل شبهة افتقاد الاستقلال المالي وتأثيره على قيم التجرد والموضوعية والشفافية قائمة من وجهة نظر كثير من المعنيين بالمشهد الإعلامي المعاصر.[٢]

السياق والمتغيرات الإعلامية والسياسية:

نشأت قناة الجزيرة ضمن منظومة إعلام عربي ظل لعقود موجهّا، يحكمه منظور شبه أوحد للشأن الوطني والدولي، وبمقاربة لا تسمح بالتّنوّع والاختلاف لذلك فإن قراءة الظروف المحيطة بهذه النشأة تساعدنا ليس فقط على فهم ظاهرة الجزيرة بل تحليل استراتيجيات التغيير في الخطاب الإعلامي العربي كذلك من حيث حدوده وآفاقه، خاصة إذا اعتبرنا أن منظومة عمل هذه القناة ليست منفصلة عن السياق الزمني لنشأتها أو شروط انتمائها لفضاء جيوسياسي[٣].

المتغيرات السياسية: لعل الملمح الأبرز الذي واكب ظهور الجزيرة في التسعينيات هو تكرس عصر القطب الواحد الذي انفردت فيه الولايات

---

(١) مفيد الزيدي. قناة الجزيرة. كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي. بيروت: دار الطليعة. ٢٠٠٣. ص٤١.

(٢) سليم الحص. الجزيرة فضائية وقضية. مقال منشور في كتاب روح الجزيرة. الدوحة. ٢٠٠٦. ص١٢٥.

(١) منجي مبروكي. محددات إنتاج الخطاب الإعلامي لقناة الجزيرة بين التجديد التكنولوجي والتوظيف الإعلامي. رسالة دكتوراة غير منشورة. معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس، ٢٠١١..

المتحدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق بوصفها القوة المهيمنة على العالم. ولأسباب سياسية واقتصادية وأيديولوجية تحولت منطقة الشرق الأوسط التي تضم قطر المحتضنة لقناة الجزيرة إلى أهم مفصل في آلة الهيمنة الأميركية العالمية.(١) وقد جاء ظهور الجزيرة استجابة لظرف سياسي ملح بدا فيه العرب والمسلمون مفتقدين لمنبر يوفر فرصة قراءة أحداث مفصلية تشكل منعطفات على غرار توقيع اتفاقات أوسلو وما أحدثته من تصدع في مسيرة النضال الفلسطيني تواكب مع تصعيد للعمليات الفدائية في الداخل الإسرائيلي ومجئ نتنياهو الأول ردا على ما وصف بعسكرة الانتفاضة ثم شن إسرائيل غاراتها على لبنان في العام ١٩٩٦. كما بدأت في نفس الفترة أولى العلميات الموجهة ضد أهداف أميركية في المنطقة بانفجارات الخبر في السعودية وما أعقب ذلك من تفاوت أصداء التوتر الذي توزع على أقطار عربية وإسلامية عدة من العراق والجزائر وصولا إلى أفغانستان والشيشان.(٢)

في هذه الأجواء التي أعقبت أحداث ١١ سبتمبر كحربي أفغانستان والعراق تحولت الولايات المتحدة في أذهان نسبة لا يستهان بها من العرب والمسلمين إلى قوة إستعمارية.(٣) خاصة بعد أن تبين عدم امتلاك العراق أسلحة دمار شامل وهو المبرر الأساسي الذي استندت إليه الولايات المتحدة في سيطرتها العسكرية على العراق. وبعد ان تحول العالمان العربي والإسلامي إلى ساحات صراع بين الولايات المتحدة من جهة ومن يحاولون مواجهة نفوذها في السيطرة والتوسع خرجت الجزيرة من طور القناة الإقليمية واكتسبت تغطياتها

---

(٢) ولد أشفغ. مرجع سابق. ص ٢٣،٢٢.

(٣) فهمي هويدي. الجزيرة تعيد ترتيب الأولوليات. مقال منشور في كتاب روح الجزيرة. الدوحة ٢٠٠٦. ص ١٤٠، ١٤١.

(١) محمد حسنين هيكل. الامبراطورية الأميركية. بيروت: دار الشروق، ٢٠٠٣. ص ٤٤١.

زخما دوليا[١] على نحو يرى معه باحثون مثل "ألان جريش" أنه سمح للمرة الأولى بتدفق عكسي للمعلومات من الجنوب إلى الشمال بعد أن اهتمت دوائر السياسة والإعلام في الغرب بما يصدر عن الجزيرة بشكل جعل منها مصدرا للأخبار تنقل عنه وسائل الإعلام ووكالات الأنباء وليست مجرد ناقل للخبر.[٢]

وقد استفادت الجزيرة من الأزمات الدولية والإقليمية التي شهدها العالم ٢٠٠١ و٢٠٠٢ في زيادة مكانتها وحدود انتشارها في العالم وإقبال المشاهدين عليها نتيجة التغطية الإعلامية الحية والمباشرة للأحداث وبشكل محايد ومهني. وفي دراسة قام بها جون ألترمان من معهد السلام الأمريكي لتحليل وسائل الإعلام العربية ووضع توصيات لصانع القرار الأمريكي حول سبل التعامل مع المتغيرات الجارية أشار ألترمان أن الرأي العام العربي أصبح يائسا من السياسات الأمريكية في المنطقة تجاه قضايا فلسطين والعراق والإسلام وغيرها وأن شعبية قناة الجزيرة هي انعكاس لامتعاض العرب من تغطية أجهزة الإعلام الغربية والحكومية المحلية لأخبار المنطقة وقضاياها وتعطشهم لإعلام موضوعي وتحليلات حرة.[٣]

وقد كان العنوان الإعلامي الأبرز في مساعي تكوين وتأكيد هذه السمة هو "شبكة الجزيرة الفضائية" التي شكّلت ومنذ انطلاقها في العام ١٩٩٦ حالة ملفته في الفضاء الإعلامي العربي فأصبحت "الجزيرة" كعلامة تجارية حاضرة في العالم وتبوأت في العام ٢٠٠٥ المرتبة الخامسة بين أهم وأشهر الماركات العالمية

---

(2) Paul Conzales, Chaines arabs: I' utopie d.une redemption Par La television , Le Figaro, 19 aout 2004.

(٣) ألان جريش. رئيس رابطة الصحفيين الفرنسيين. ما الذي غيرته الجزيرة. مقال منشور في كتاب روح الجزيرة. الدوحة.٢٠٠٦. ص ١٣٥.

(٤) مفيد الزيدي. مرجع سابق. ٢٠٠٣. ص ٩٣.

من حيث النفوذ والتأثير. وقد تضاعف نفوذ هذه العلامة التجارية بعد إطلاق قناة الجزيرة الإنجليزية دون أن نغفل ما تضيفه "قنوات الجزيرة الرياضية"، و"الجزيرة أطفال"، و"الجزيرة مباشر" و"الجزيرة الوثائقية" لرصيد هذه العلامة. وفي نفس الاتجاه وسَّعت من نطاق أنشطتها فأوجدت لنفسها أذرعا طويلة ومؤثرة من قبيل "المهرجانات السنوية"، و"مركز الجزيرة للتدريب والتطوير" و"مركز الجزيرة لحقوق الإنسان"، و"مركز الجزيرة للدراسات"، و"الجزيرة نت"... إلخ. وكل هذا صب في نتيجة مهمة يتفق كثير من المراقبين للشأن السياسي والإعلامي في المنطقة على أن مؤداها هو أن الجزيرة تشكل الآن أداة مهمة في "ترسانة الدفاع" عن وجود الدولة القطرية في مواجهة القوى الكبرى المتصارعة في منطقة الخليج وأنه لم يعد ممكنا لهذه القوى أن "تعتدي على الدولة القطرية" في غفلة من العالم في زمن "ما بعد الجزيرة" وفي ظل قنواتها المتعددة التي تنقل الصورة الحية والخبر المفصل لملايين المشاهدين في أنحاء العالم[1].

الجزيرة والتحديات الجديدة:

في الوقت الذي أثار ظهور الجزيرة حالة من التبرم الرسمي العربي الذي أخذ في التصاعد مع اتساع سقف الحرية الممنوح لصحفيي الجزيرة في تناول ملفات شائكة كتلك المتعلقة بانتهاك الحريات والتعذيب وقضايا الإصلاح السياسي بوجه عام، حظيت الجزيرة على الجانب الآخر بترحيب وإشادة من الغرب عموما والمسئولين الأمريكيين بصفة خاصة الذين اعتبروا الخط التحريري للقناة الجديدة خطوة نحو تحقيق الديمقراطية في العالم العربي. لكن حالة التصالح بين الجزيرة من ناحية والمعسكر الرسمي الغربي بقيادة الولايات المتحدة لم تلبث أن

---

(١) نواف التميمي. الدبلوماسية العامة وتكوين السمة الوطنية. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات + الدار العربية للعلوم، ٢٠١٢.
http://studies.aljazeera.net/production/papers/2012/02/201222615154426367 0.htm

تبددت على نحو يؤرخ له باتفاقية أوسلو وبداية الانتفاضة الثانية في سبتمبر عام ٢٠٠٠ حيث امتنعت الجزيرة عن الترويج لوجهة النظر التي اعتمدتها الإدارة الأمريكية وكثير من وسائل الإعلام الأميركية والأوروبية ومؤداها أن المقاومة الفلسطينية نوع من الإرهاب وأن الانتفاضة تمثل تهديدا لبقاء إسرائيل وأن لإسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها وأن ياسر عرفات كان وراء إخفاق قمة كامب ديفيد الثانية. وعلى العكس ركزت الجزيرة في ذلك الوقت على نقل صور يومية لممارسات الجيش الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية وما أحدثته ما خسائر بشرية ومادية في صفوف الفلسطينيين.(١)

سياسة قناة الجزيرة والقضايا العربية:

يرتبط مفهوم السياسة بعملية اتخاذ القرار وتنفيذه أيا كان مجال ذلك القرار سياسيا أو اقتصاديا أو تعليميا أو صحيا وخلافه. فجوهر السياسة وفقا للازويل هو من يحصل على ماذا ومتى. ويتضمن ذلك تخصيص الموارد لصالح أهداف محددة(٢).

وفيما يتعلق بما هو معلن أرادت الجزيرة لميثاق الشرف الذي أطلقته في صيف عام ٢٠٠٤ أن يتضمن الخطوط العريضة لسياساتها المعلنة، وفي مقدمة ذلك وصفها لنفسها بأنها قناة عربية الانتماء عالمية التوجه وذلك على نحو يرتب أنها تضع المتلقي العربي أينما كان مكانه في العالم في المقدمة أما بنود هذا الميثاق فتشمل:

– "التمسك بالقيم الصحفية من صدق وجرأة وإنصاف وتوازن واستقلالية

---

(1) Ehab Yasser Bessaiso. 2002. Op.Cit. p12-14.

(١) كمال المنوفي. في تحليل السياسات العامة. قضايا نظرية ومنهجية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٩. ص١٣.

ومصداقية وتنوع دون تغليب للاعتبارات التجارية أو السياسية على المهنية."

- "السعي للوصول إلى الحقيقة وإعلانها في التقارير والبرامج ونشرات الأخبار بشكل لا غموض فيه ولا ارتياب في صحته أو دقته".
- "معاملة الجمهور بما يستحق من احترام والتعامل مع كل قضية أو خبر بالاهتمام المناسب لتقديم صورة واضحة واقعية ودقيقة مع مراعاة مشاعر ضحايا الجريمة والحروب والاضطهاد والكوارث وأحاسيس ذويهم والمشاهدين واحترام خصوصيات الأفراد والذوق العام."
- "الترحيب بالمنافسة النزيهة الصادقة دون السماح لها بالنيل من مستويات الأداء حتى لا يصبح السبق الصحفي هدفا بحد ذاته."
- "تقديم وجهات النظر والآراء المختلفة دون محاباة أو انحياز لأي منها."
- "التعامل الموضوعي مع التنوع الذي يميز المجتمعات البشرية بكل ما فيها من أعراق وثقافات ومعتقدات وما تنطوي عليه من قيم خصوصيات ذاتية لتقديم انعكاس أمين وغير منحاز عنها."
- "الاعتراف بالخطأ فور وقوعه والمبادرة إلى تصحيحه وتفادي تكراره."
- "مراعاة الشفافية في التعامل مع الأخبار ومصادرها والالتزام بالممارسات الدولية المرعية فيما يتعلق بحقوق هذه المصادر."
- "التمييز بين مادة الخبر والتحليل والتعليق لتجنب الوقوع في فخ الدعاية والتكهن."
- "الوقوف إلى جانب الزملاء في المهنة وتقديم الدعم لهم عند الضرورة وخاصة في ضوء ما يتعرض له الصحفيون أحيانا من اعتداءات أو

مضايقات والتعاون مع النقابات الصحفية العربية والدولية للدفاع عن حرية الصحافة والإعلام."[1]

استقلالية الجزيرة:

على غرار مسئولي الجزيرة لا يتردد المسئولون القطريون بدورهم في التأكيد على استقلالية القناة وأنها لا تتلقى توجيهات سياسية أو إعلامية من الحكومة القطرية التي تمولها.

ولكن هناك من النقاد الإعلاميين من يرى في الجزيرة أداة تستخدمها الحكومة القطرية ضمن تحركها السياسي الخليجي والعربي وإلى حد ما العالمي بشكل غير محسوس حيث حجم الحرية والجرأة التي تنتهجها كسياسة لا تتناسب مع طبيعة النظام السياسي والاجتماعي الذي تبث منه مهما كانت الخطوات التي توصف بالانفتاح التي شهدتها الساحة السياسية والاجتماعية في قطر منذ تسلم حاكمها الجديد مقاليد الحكم.[2] وأن هذه التأكيدات الرسمية القطرية حول انعدام الصلة بين الدولة القطرية والسياسة التحريرية ترمي إلى المحافظة على صورة مثالية لقناة عربية مستقلة في أعين المشاهدين العرب على نحو قد ينطوي على أهداف أبعد من المغزى الإعلامي المجرد لوسائل الإعلام المختلفة.[3] ويحصرون أبعاد هذا التوظيف في ثلاث نقاط محورية.

- تصفية حسابات الدولة القطرية مع خصوم دائمين في فترة ما مثل البحرين والسعودية أو متغيرين كمصر والأردن.

(1) https://tawasul.aljazeera.net/Pages/Frames.aspx?ID=1.

(٢) إسماعيل الأمين. الإعلام العربي من المسموع إلى المرئي. قناة الجزيرة نموذجا.صحيفة الحياة. لندن ٢٦ ابريل ٢٠٠٧.

(٣) رحيم مزيد. ٢٠٠٢ مرجع سابق. ص ٥٥.

- **تعزيز موقع قطر الخليجي في السباق الخليجي نحو مكانة خاصة من الحليف الأميركي على النحو الذي أدى إلى نقل القاعدة العسكرية الأميركية من السعودية إلى قطر.**
- **دعم الاتجاه القطري نحو تحقيق حضور سياسي قوي وفاعل على الساحة الدولية.[(١)]**

وقد حذا ميثاق شرف الجزيرة وما تبعه من دليل للسلوك المهني حذو معظم المواثيق التي ظهرت منذ أربعينيات القرن العشرين فغطى من الناحية النظرية معظم التساؤلات التي تثيرها عادة قضايا أخلاقيات الصحافة وهي:

١- قضية صراع المصالح

٢- قضية التعامل مع مصادر الأخبار

٣- قضية صدق الأخبار

٤- قضية العدالة والدقة

٥- قضية الموضوعية

٦- قضية الذوق الجيد (عنف، جنس...الخ)

٧- قضية التحايل عند جمع الأخبار

٨- قضية الخصوصية

٩- قضية الخصومة مع الحكومة أو التعامل معها[(٢)]

١٠- قضية الهيمنة والاحتكار

---

(١) عبد الرحيم علي. الإعلام العربي وقضايا الإرهاب. القاهرة: المحروسة للنشر،٢٠٠٧. ص ١٤ – ١٧.
(٢) حسن عماد مكاوي. نظرية المسئولية الاجتماعية وممارسة العمل الإخباري. مجلة بحوث الاتصال. يولية ١٩٩٢. ص٢٣٣.

١١- قضية المنافسة

١٢- قضية العلاقة مع الإعلانات

١٣- قضية التعامل مع الضغوط بأنواعها

٢/٤) مركز تليفزيون الشرق الأوسط MBc

(Midle East Broadcasting Center)

تعريف: هي شركة عربية سعودية، يمتلكها وليد البراهيم" مقرها الآن دبي. وتبث على أقمار متعددة (عربسات/ نايل سات/ اتلانتك/ هوتبريد/ ايكوستار ١- ايكو ستار ٨/ انتل سات)

وتغطي منطقة الشرق الأوسط وأوربا وأمريكا الشمالية والجنوبية. في ١٨ سبتمبر ١٩٩١ م انطلقت لأول مرة قناة فضائية عربية مستقلة عبر الأقمار الصناعية، من العاصمة البريطانية لندن مستفيدة من تراكم الخبرة الإعلامية في أوربا.

ثم قررت أن تنقل مقراتها إلى مدينة دبي للإعلام لتكون أقرب إلى مشاهديها في العالم العربي.

وللشبكة مراكز إنتاج موزعة بين بيروت والقاهرة. كما تحاول الشبكة تحقيق السبق في ملاحقة التقنية في الإنتاج والبث وكذلك إعمال روح الابتكار في منتجاتها. وتوظف القناة إعلاميين من مختلف الدول العربية، وتحقق بذلك تعددية الثقافة في إطار وحدة عامة.

كانت الوظيفة الإخبارية هي التى أدخلت الشبكة إلى المشاهد العربي بسرعتها وواقعيتها وشمولها.، وعقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠١١م تم إنشاء

قناة العربية لتكون الصوت الإخباري الرئيس في معركة كانت شبكة الجزيرة قد احتكرتها منذ عام ١٩٩٦ م وأصبح للعرب صوتان على المستوى الدولي يقدمان خطابين من منظورين مختلفين فأما الجزيرة فقد تبنت شعار الرأي والرأي الآخر فقدمت الشعوب والسلطات الحكم والمعارضة، وأما MBc فهي تعمل مهنيا ولكن تقدم المنظور الرسمي للأحداث أولا وفقا لميثاق الجامعة العربية.

ويرصد المتابعون للشأن الإعلامي تفوق الدوائر المالية المرتبطة بالأسرة الحاكمة في المملكة العربية السعودية على منافسيها في ذلك الوقت عن طريق إنشاء عدد من القنوات التي بدأت بثها من أوروبا وكانت باكورتها تلفزيون الشرق الأوسط MBC الذي بدأ بثه في العام ١٩٩١ من لندن وتملك معظم أسهمه الشيخ وليد الإبراهيم صهر العاهل السعودي الراحل فهد بن عبد العزيز وذلك في سياق اتجاه سعودي للاستفادة من الحرية المتاحة في البلدان التي تبث منها على نحو خلق للسعودية على حد وصف هؤلاء المتابعين مملكتين إحداهما في الداخل وأخرى في الخارج تدعم إحداهما الأخرى.(١)

وقد تخللت مواد الإم بي سي mbc التي غلب عليها الطابع الترفيهي- خدمة إخبارية خرجت من حيث التقنيات المستخدمة والمحتوى عن السياق التقليدي الذي كان سائدا في ذلك الوقت ويرى الباحث أن هذه الخدمة شكلت سبقا ما في ذلك الوقت على صعيد توسيع هامش الحرية النسبي وكذلك على مستوى استخدام تقنيات وأساليب إخبارية لم تكن مألوفة وقتها في الإعلام التلفزيوني العربي فقدمت للمشاهد العربي لأول مرة قصصا إخبارية في صورة تقارير بتوقيع مراسل ميداني كما أدخلت تقنيات المقابلة الحية بأنواعها

---

(١) على ناصر كنانه. الإعلام وأنظمة الإيهام- قناة الجزيرة أنموذجا.الدوحة: دار الشرق، ٢٠٠٦. ص٤٠.

داخل النشرة سواء عبر الأقمار الصناعية أو الهاتف فضلا عن استخدام القصص الإخبارية الخفيفة بكثافة في النشرات وترافق ذلك مع اتجاه المضمون لتناول موضوعات استقصائية أكثر جرأة على المستوى الاجتماعي وإن ظل المضمون السياسي محكوما بالحسابات السعودية. وتبعت ال mbc شبكتا ال ART والأوربيت المملوكتان كذلك لشخصيات سعودية وثيقة الصلة بالعائلة الحاكمة حيث ابتعدت هذه القنوات عموما عما يثير الجدل أو الخلاف السياسي بالتركيز على الدراما والمواد الترفيهية كالمسابقات وأغاني الفيديو كليب.

وكانت هذه القنوات كغيرها من وسائل الإعلام العربية الرسمية وشبه الرسمية تلتزم بميثاق الشرف الصادر عن الجامعة العربية عام ١٩٦٥ الذي يحظر على أي وسيلة إعلام تابعة لحكومة عربية أن تنتقد حكومة عربية أخرى.[١]

وقد كان للشبكة أدوار مؤثرة في الأزمات التي مرت بها المنطقة من حروب وأحداث.

مكونات الشبكة MBc

- MBc1: وهي اول محطة مفتوحة مستقلة يمتلكها القطاع الخاص.
- MBc2:في عام ٢٠٠٣م تم إطلاق هذه المحطة متخصصة في عرض الدراما الأجنبية وبخاصة الأمريكية.
- MBcFM: ١٩٩٤ وهي إذاعة عربية خاصة مستقلة تعنى بالفنون الخليجية مع الموسيقى والغناء العربي.
- قناة العربية: قناة إخبارية على مدار الساعة وتقدم وظيفة الأخبار بكل

(١) علي ناصر كنانه. مرجع سابق. ص ١٧-٢١.

منتجاتها مع برامج تحليلية ووثائقية ذات صلة بالوضع العربي والعالمي، وتنافس قناة الجزيرة.

- MBc3: في عام ٢٠٠٤م أطلقت شبكة تليفزيون الشرق الأوسط قناة متخصصة في برامج الأطفال لبث برامج ومسلسلات الكرتون، لمخاطبة جيل جديد يقع تحت سن ١٥ سنة،

- MBc4: في عام ٢٠٠٤ م انطلقت قناة متخصصة في المسلسلات الأجنبية وبخاصة الأمريكية باللغة الإنجليزية وبعضها مترجم بالعربية، وقدمت برامج شهيرة للمذيعة العالمية "أوبرا وينفري".

- بانوراما FM: في عام ٢٠٠٥م أطلقت الشبكة إذاعة تبث البرامج الحوارية والأغاني التي تناسب الشباب العربي والخليجي على وجه الخصوص.

- MBc action: في عام ٢٠٠٧ م انطلقت قناة جديدة متخصصة في المسلسلات البوليسية والأفلام وبرامج المصارعة.

- MBcpersia: انطلقت في عام ٢٠٠٨ م وهي قناة متخصصة في بث البرامج الأجنبية والأفلام مترجمة باللغة الفارسية.

- MBc max: في ١٦ أكتوبر ٢٠٠٨م انطلقت قناة متخصصة في الأفلام الأجنبية المشهورة الأجنبية والهندية.

- MBc+Drama: في ٢٠٠٩ انطلقت قناة متخصصة في الدراما العربية والتركية المدبلجة.

- MBc Drama:في ٢٠١٠ بدأت هذه القناة بثها بعرض المسلسلات العربية والخليجية.

- MBc مصر: في ٩ نوفمبر ٢٠١٢ م انشأت القناة في ظروف التحول

التي شهدتها مصر بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م لتوجيه رسالة إعلامية للمجتمع المصري والعربي، وتناول قضاياه برؤية محددة.

- MBcHd: في عام ٢٠١٣م أقدمت الشبكة على البدء بنظام البث HD فأنشأت ٧ قنوات عالية النقاء بالنسبة للصورة وهي مشفرة.
- MBcbollywod: في أكتوبر ٢٠١٣ م انطلقت مجموعة قنوات متخصصة في عرض المسلسلات والأفلام الهندية.
- MBc شاهد.نت: وهو موقع على انترنت يتم تحميل كل منتجات القنوات التابعة لـMBc منه بتقنية عالية.

التمويل: بدأت الشبكة بتمويل خاص قدره ٣٠٠ مليون دولار، وبميزانية سنوية قدرها ٦٠ مليون دولار.

تعد شركة آرا الدولية التي أنشاها وليد البراهيم في الثمانينيات هي الشركة التي تقوم بالإنتاج وتمتلك راديو يبث بالعربية من لندن، وإذاعة MBcfm الموجه للجزيرة العربية، وشركة آرا للكيبل. وتقوم شركة آرا بالاتفاقات الفنية مع الشركات الأجنبية المتخصصة.

كما توجد شركة (O3) المتخصصة في الإنتاج وشراء البرامج للمجموعة ولغيرها من الشبكات وتعد متخصصة في إنتاج البرامج والأفلام الوثائقية عالية الجودة.

الخصائص العامة لشبكة MBC

من تحليل محتوى ما تقدمه شبكة قنوات وإذاعات MBc يمكن ملاحظة الآتي:

١- الملكية والتمويل والإدارة للقطاع الخاص، ولكنه يعبر بشكل ما عن النظام السياسي في المملكة العربية السعودية.

٢- أن المحتوى في معظمه ذو توجه عصري مقتبس من الثقافة الغربية والأمريكية تحديدا.

٣- أن الشبكة تستورد معظم إنتاجها الدرامي من الدول الأجنبية وبخاصة أمريكا.

٤- أن الخطاب العام للشبكة يتبنى وجهة نظر الأنظمة الحاكمة مع عرض وجهات نظر الشعوب ولكن بدرجة أقل.

٥- تأثير رأس المال والملكية على التوجهات التحريرية للشبكة.

٦- التنوع في التوظيف للمذيعين ومقديم البرامج.

٧- تنوع مصادر الدراما من العربية للتركية للهندية للأمريكية.

٨- استهداف كافة الفئات تقريبا الأطفال والنساء والشباب والكبار.

٩- نقل القيم والتوجهات الغربية في اتجاه المنطقة العربية، بينما يقل توجيه خطاب عربي للعالم الغربي وتبني وجهات نظر عربية محددة.

٥ - الإذاعات الموجهة: (أقدم أدوات الإعلام الدولي)

تعددت أدوات الإعلام الدولي المطبوعة والمسموعة والمرئية والإعلام الجديد، وأدى التطور التقني إلى جمع هذه الوسائل ضمن حزم أو شبكات تضم كل هذه الوسائل لتقدم خطابا عالميا متعدد الوسائل والقنوات ليحقق لها مصالحها بشكل متكامل ومتعاون ومتساند:

برزّ مصطلح "راديو" Radio على يد الفرنسيين عام ١٨٩٧م وارتبط بمصطلح Conductor أما استخدام المصطلح بشكلٍ منفصل فقد ظهر في مقال

للمهندس الفرنسي لي ديفورست Lee Deforest عام ١٩٠٧. ([1])

ومع اختراع الراديو في العشرينيات امتلكت الدول العظمى واستغلت الإذاعات وبدأت ما عرف بالإذاعات الموجهة وكانت هولنداو بريطانيا وفرنسا وامريكا وروسيا من أوائل الدول في هذا التوجه.

جرى التطوير التقني للراديو عندما اهتمت به الحكومات لتوظيفه بعد ذلك في الأغراض العسكرية والأغراض السياسية والأيديولوجية(الحرب العالمية الأولى).و استخدام الراديو في الأغراض البحرية(إنقاذ السفينة تايتنك). كما استخدام الراديو في الدعاية الأيديولوجية (تجربة ألمانيا النازية).

وقد استُخدمت الإذاعة في عمليات الدعاية ونشر الشائعات وغسيل المخ والتمهيد للاستعمار ودعمه من أجل التحكم والسيطرة على مسرح السياسة الدولية.

ومما يلاحظ هنا ارتباط نشأة الإذاعات الموجهة وتطورها بالصراع الدولي بكافة أشكاله سياسياً ودينياً وتجارياً.ويلاحظ أيضا أن كل دول العالم تقريبا لها إذاعات موجهة.

خصائص الإذاعات الموجهة كأداة للإعلام الدولي؟

١.الإذاعة وسيلة سريعة ومناسبة لدولة أغلب شعبها من الأميين.

٢.الاستثمار الأمثل لكل التقنيات في كل عصر.

٣.الإذاعة أقل كلفة في صياغة العقل والوجدان من وسائل أخرى.

٤. تعتبر الإذاعات الموجهة فكرة استعمارية، فقد جاءت نشأتها على أيدي الدول الكبرى التي كانت تسيطر على المنطقة مثل إيطاليا وفرنسا وبريطانيا.

---

١) خالد صلاح الدين، محاضرات في نشاة وسائل الاتصال وتطورها، كلية الإعلام، ٢٠١٤ م

٥. إن المنطقة ذاتها لم تكن هدفاً أساسياً من أهداف تلك الإذاعات بقدر ما كان الهدف هو إثارة الصعوبات أمام الدول الكبرى الأعداء في مناطق نفوذها، إذ دخلت تلك الإذاعات ميدان الصراع والمنافسة بين الدول الاستعمارية الكبرى.

٦. أن جماهير المنطقة العربية ارتبطت بالإذاعات الموجهة ارتباطاً وثيقاً بسبب معرفتها المبكرة لها، إضافة إلى تميز مضمونها وارتفاع مستواها مقارنة بمستوى الإذاعات العربية.

رغم ارتفاع عدد الإذاعات الموجهة باللغة العربية، ومحاولتها المستمرة للوصول إلى المستمعين العرب، فإن عدداً قليلاً من تلك الإذاعات هو الذي يحظى باهتمام ومتابعة المستمعين العرب، وذلك نظراً لما تخصصه هذه الدول من موارد لرفع كفاءتها البشرية والفنية والتكنولوجية والبرامجية.

ومن أمثلة هذه الإذاعات نجد لندن وصوت أمريكا (سوا اليوم) ومونت كارلو وصوت إسرائيل والفاتيكان... أما فيما عدا ذلك فإن بقية الإذاعات لا تشكل ثقلاً يعتد به على خريطة الإذاعات الموجهة باللغة العربية.[1]

– أنماط الإذاعات الموجهة من حيث مصدرها:

– الإذاعات الموجهة بصفة رسمية: معلومة المصدر، وتعلن عن هويتها بوضوح وهوية الدولة التي تتبع لها. وتعد مصر وكوريا من أكبر الدول التي تبث بلغات مختلفة.

– الإذاعات السرية:توجد بصفة غير رسمية وتكون مجهولة المصدر، وهي غير شرعية تعمل على ترددات إذاعية غير مصرح لها بالعمل عليها؛ وتشرف عليها عادة أجهزة المخابرات.

١)سامي الشريف وثريا البدوي، مرجع سابق، ص ص ١٣٨-١٤٢

- الإذاعات الرسمية التابعة للهيئات والمنظمات الإقليمية والدولية: الأمم المتحدة، المنظمات الدينية، المنظمات غير الحكومية.
- إذاعات القرصنة: من الإذاعات السرية مجهولة المصدر والجهة، إلا أن ما يميز إذاعات القرصنة هو أنها تعمل لتحقيق أهداف تجارية من خلال بث برامجها من فوق السفن الراسية خارج المياه الإقليمية للدول أو المناطق المستهدفة،.
- إذاعة "راديو كارولينا" و"راديو لازر"، تبثان برامجها باللغة الإنجليزية إلى الدول الأوروبية.

*** الإذاعات الموجهة باللغة العربية:**

ومن أوائل هذه الإذاعات "مونت كارلو" التي وجهت إرسالها باللغة العربية في عام ١٩٧١، ويتميز إرسالها بالطابع الخفيف والمضمون الترفيهي والأخبار السريعة، إلى جانب انتشار مراسليها في مختلف عواصم العالم مما يضمن لها تغطية فورية وسريعة للأحداث إلى جانب الإعلانات، ومن يتابع برامجها يلمس نبرة سياسة واضحة تعكس وجهات النظر الغربية والفرنسية في الأحداث والقضايا العالمية.

- وتوجد عدة منظمات مسيحية عالمية تشرف على توجيه عدد من الإذاعات الموجهة باللغة العربية لأغراض التبشير والتنصير، ومن أهمها: راديو الفاتيكان، الشرق الأقصى، صوت الإنجيل، حول العالم.

* وأيضا توجد إذاعات إسلامية موجهة لنشر الإسلام في كل دول العالم تقريبا. مثل إذاعة القرآن الكريم في مصر والسعودية، وإذاعات أخرى متعددة.

- **بدايات الإذاعات الموجهة المصرية :**

قامت الحكومة المصرية ببناء استديوهات إذاعية وتليفزيونية وأسندت ذلك العمل للشركة الفرنسية لصناعة الراديو والتليفزيون التي أجرت أول تجربة لنقل الإشارة التليفزيونية(الزواج الثاني للملك).

وكان ذلك وعيا بأهمية الإذاعة والتليفزيون للرئيس جمال عبد الناصر على إنشاء محطة تليفزيونية تبث إرسالها من أعلى جبل المقطم لمواجهة العدوان الثلاثي التي ترجمت فيما بعد في قيام الشركة الأمريكيةRCA وإتباع النظام الأوروبي(٦٢٥ خطاً و٥٠ مجالاً في الثانية الواحدة)، وافتتاح الإرسال بتلاوة القرآن الكريم ثم خطاب الرئيس بمجلس الأمة آنذاك.

وقد كانت الرؤية الوظيفية تسيطر على النظام السياسي في مرحلة عبد الناصر فأنشأ الإذاعات الموجهة لدعم جهود التحرر الوطني ليس في مصر وحدها، بل في بلدان عربية وإفريقية مما جعل مصر منصة كبيرة للخطاب الدولى عن التحرر والاستقلال الوطني في اليمن والجزائر وتونس وغيرها من الدول في العالم الثالث.

وتتعالى أصوات كثير من الباحثين والممارسين –الآن– إلى إعادة تقويم الدور والوظائف التي تؤديها الإذاعات الموجهة في ظل الانفتاح الإعلامي غير المسبوق والذي يسّر ووسّع من نطاق الإعلام الدولي، مقارنة بالجهد والوقت والتكلفة التي تنفق في تمويل هذه الإذاعات الموجهة.التي لا يعرف على وجه الدقة من هم جمهورها ؟ولا ما هية التأثيرات الفعلية لبرامجها.

٦- وكالات الإعلان الدولية :

يعد "الإعلان الدولي" نشاطا معقدا ومؤثرا تقوم به شركات وأجهزة

وتدعمه منظمات متعددة لأنه جزء لا يتجزأ من المنظومة الإعلامية والاقتصاية الدولية. وقد ادت عوامل كثيرة إلى تطور هذا النشاط منها ([1])

- لقد أدى ظهور الشركات متعددة الجنسيات وتوسع نشاطها عالميا إلى ظهور وكلات الإعلان الدولية لخدمة هذه الشركات.
- كما ادى توسع مؤسسات الإعلام في نشاطها داخليا وخارجيا إلى إنشاء وكلات تابعة لها لخدمة أغراضها الترويجية والتسويقية.
- تطور وتزايد القنوات الإذاعية والتيفزيونية، أدى إلى زيادة نشاط شركات ووكالات الإعلان التي تغذيها بالتمويل من قبل المعلنين.

يلاحظ الباحثون تزايد الأنشطة الإعلامية الدولية، وهى أنشطة بطبيعتها عابرة للثقافات مما لفت الانظار بشدة إلى تأثير هذه الأنشطة فى المجتمعات المختلفة حيث بات من الواضح ان الرسائل الإعلامية الدولية تتدفق فى الغالب من الثقافة الغربية التى تمثلها الولايات المتحدة إلى بقية مناطق العالم، مما أوجد صورا من معالم الثقافة الغربية أو الأمريكية فى النسيج الثقافى للمجتمعات النامية. هذه الظاهرة كثفت بشدة من أهمية دراسة التأثيرات الثقافية للاتصال عبر الثقافات.

ويرى "حمدي حسن" أنه على الرغم من أن المادة الإخبارية هى التى حظيت بالقدر الأكبر من الاهتمام، إلا أن البحوث فى هذا المجال بدأت تتطرق إلى تأثير الدراما العابرة للثقافات مثل السينما وبرامج التلفزيون، ثم اصبح الإعلان هو الآخر أحد المجالات التى تم من خلالها استقصاء التأثيرات الثقافية لمكون من مكونات الاتصال الجماهيرى سواء على المستوى الدولى أم على المستوى المحلى.

---

١) توماس ماكفيل، مرجع سابق، ص ٣٥٥

يشكل الإعلان نسبة متزايدة من المكون الاتصالى فى جميع وسائل الإعلام فى معظم دول العالم. وهى نسبة تشير كل الدلائل إلى أنها سوف تزداد فى المستقبل، فالتطورات الاقتصادية والسياسية تدعم مكانة الإعلان سواء بالنسبة للنشاط الاقتصادى فى كل المجتمعات أم بالنسبة لاقتصاديات وسائل الإعلام ذاتها. وإذا كانت النسبة الأكبر من الأنشطة الإعلانية اليوم تخضع للشركات متعددة الجنسيات، فإن أهمية الإعلان الدولى وقدراته على التأثير سوف تزداد هى الأخرى.

ويمثل الإعلان أحد الرسائل التى تحقق مفهوم العولمة فى الأنشطة الإعلامية فى بعديها الوطنى والعابر للحدود على السواء. وربما كان الإعلان إلى جانب الرياضة هما أكثر الرسائل الإعلامية التى حققت مفهوم العولمة فى وقت مبكر قبل أن يصبح هذا المفهوم جزءا أساسيا من محددات النظام العالمى الجديد. وربما كان وراء ذلك فيما يتعلق بالإعلان العديد من الأسباب لعل أبرزها سيطرة الشركات متعددة الجنسيات على الجزء الأكبر من حركة التجارة الدولية والاقتصاد العالمى خاصة فيما تلا سنوات الحرب العالمية الثانية وحتى الآن، وكذلك فإن تنامى قوة هذه الشركات كرّس مفهوم أن المصنع العالمى يتطلب المستهلك العالمى كما يرى " موللر "([1]).

ونتيجة لذلك فإن الشركات العملاقة لم تعد تفكر فى وجود نشاط محلى وآخر دولى. ولذلك فهى تتخذ قراراتها وتطور اتصالاتها على أسس عالمية، ولهذا أصبح الإعلان فى حقيقته نشاطا دوليا كما يقول "بولارد "([2]). ومن ناحية أخرى فإن صناعة الإعلان فى العالم يبدو وكأنها تقتفى خطى صناعة الإعلان الأمريكية وهو ماعبر عنه أحد مسؤولى إحدى وكالات الإعلان الأمريكية

---

(1)Michael Muller, Tomorrow's Epidemic, London, Woron Wat, 1978.

(2)Polard, Braxton "International Advertising", 1990, P222.

الكبرى " We are pacing the steps of the rest of the world " مما يعنى أن الأنشطة الإعلانية المحلية فى تأثيراتها المختلفة تقتفى خطى استراتيجيات الإقناع المستخدمة فى صناعة الإعلان الأمريكية.

وعولمة النشاط الإعلانى تعنى التجاوز عن الاختلافات بين متطلبات الأسواق المحلية واحتياجاتها ويعنى إدخال الأسواق الوطنية فى سوق عالمية واحدة ذات نمط استهلاكى عالمى لذا كان من الضرورى إيجاد تجانس بين عادات الاستهلاك فى كل أنحاء العالم. ومن هنا تبرز الأهمية الثقافية التى تنطوى عليها الرسائل الإعلانية.

ومن ناحية أخرى فإن سيطرة السلع الاستهلاكية على اقتصاديات الإعلان فى بعديه الوطنى والدولى يمنح الإعلان قوة فريدة فى ممارسة تأثيرات ذات ابعاد ثقافية. ويرى جوفمان أن التأثيرات الاجتماعية والثقافية للإعلان تبرز فى الإعلان عن السلع الاستهلاكية وهى اكثر ارتباطا بالأنماط الثقافية الاستهلاكية والقيم الاجتماعية من السلع الصناعية أو الرأسمالية. وكذلك يرى نورين جانوس أن النمو الهائل فى الصناعات الاستهلاكية كان أحد الأسباب الرئيسية فى تضخم النشاط الإعلانى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حيث تعد نسبة الإنفاق الإعلانى إلى جملة المبيعات فى الشركات المنتجة للسلع الاستهلاكية عشرة اضعاف النسبة ذاتها فى الشركات المنتجة للسلع الصناعية أو الرأسمالية.[١]

وعلى الرغم من الاختلافات الثقافية فى مضمون الإعلان عبر الثقافات

---

(1)Noreene Z. Janues, "Advertising & the Mass Media in the Area of Global Corporation New York, 1991, P.287-316.

المختلفة كما اشارت إلى ذلك العديد من الدراسات[١] إلا أن هذه الاختلافات لاتخفى حقيقة أن الإعلان يعكس مفاهيم وقيما ثقافية ذات ابعاد عالمية تحقق فى النهاية مفهوم العولمة فى مجال الاهتمامات الإنسانية والتى تشكل محورا اساسيا فى تحديد ملامح الثقافات الوطنية المختلفة. ويرى "كلاين" وآخرون أن الإعلان عن السلع الاستهلاكية أصبح أحد الأدوات المهمة فى فى الاتصال الاجتماعى حيث يشكل جزءا كبيرا من الحديث والسلوك اليومى الذى يتعلق بهذه السلع، ويرى أن أولويات الاتصال الاجتماعى لم يعد يقررها الافراد باهتماماتهم واحتياجاتهم وإنما اصبح المعلن أحد العوامل الأساسية فى هذا المجال.[٢] وإذا ماكان المعلن عالميا فإن الناتج النهائى لأولويات الاتصال الاجتماعى يمكن أن يكون عالميا أيضا.

وقد لقى موضوع الاختلافات الثقافية اهتماما كبيرا من المعلنين ومن الباحثين على السواء. ففى سنوات الثمانينات كان هناك اهتمام واضح بمسألة توحيد الرسائل الإعلانية عبر الثقافات المختلفة على اعتبار أن هناك احتياجات إنسانية مشتركة يمكن مخاطبتها والتجاوز عن الاختلافات الثقافية القائمة فى الأسواق المختلفة. غير أن هذا الاتجاه بدأ ينحسر نسبيا فى سنوات التسعينات ذلك أن الكثير من الحملات الدولية الإعلانية عانت بسبب الصعوبات الناتجة عن الاختلافات الثقافية فى السوق الدولية. وكان ذلك إشارة واضحة إلى أن

---

(2) Cheng , Hong and John c. Schweiter , " Cultural Values Reflectwed in Chinese and U.s. Television Commercials ," Journal of advertising Research 36(3) ,1996, pp. 27-45

Cutler, Bob D. and Rajshekhar G. Javalgi" A Cross Cultural Analysis of the visual Componenets of Print advertising: The United states and The European Community , " Journal of Advertising Research ,32 (January/ February 1992)pp. 71-80

Wells , Ludmilla Gricenko (" Western Concepts, Russian Perspectives: Meanings of Advertising in The Former Soviet Union," Journal of advertising , 23 (1) 1994, pp. 83-95

(3) Stephen Klien "Social Communication & ADvertising", Toronto, 1986, P.3.

ثمة علاقة عضوية بين الإعلان والثقافة.(١) وظهرت العديد من الدراسات التى أشارت إلى علاقة أنماط التفكير بالإعلان فى إطار ثقافة معينة وكذلك مستوى السياق الثقافى حيث قسمت الثقافات إلى ثقافات ذات سياق مرتفع مثل الثقافات الآسيوية واخرى ذات سياق منخفض مثل الولايات المتحدة.(٢)

- الإعلان الدولي والقيم:

إن الاهتمام بالعد الثقافي في الأنشطة الإعلانية لم يدرس بشكل كاف إلا مؤخرا.و إن تزايد الأنشطة الإعلامية العابرة للثقافات أثرت على الثقافات الأخرى، وأدى إلى انتقال معالم ثقافية غربية إلى نسيج المجتمعات المختلفة.لقد تزايد تأثير الإعلان الدولي وأصبح أحد صور العولمة بل كانت فكرة العولمة نفسها نتاج تفكير خبراء الإعلان الدولي.

كما سيطرت الشركات متعددة الجنسيات بعد الحرب العالمية الثانية على الإعلام، وأصبح الإعلان الأمريكي يستحوذ على جزء كبير من الإعلانات الدولية. وأدى النمو الهائل في الصناعات الاستهلاكية لزيادة في وتيرة العولمة وبالتالي في الاتصال الاجتماعي. والإعلان يشكل جزء اساسي من الثقافة.

---

(١) مراجع في الإعلان الدولي:

Robert T. Green, Williams Cunningham and Isabela Cunningham, 1975," The Effectiveness of Standardized Global Advertising", Journal of Advertising , n41.

Gordon E. Miracle , Kyu Yeol Chang, Charles R. Taylor, " Culture and Advertising Execursions: A Comparison of Selected Characteristics of korean and US Television Commercials", International Marketing Review , Vol.9, 1992

Robert E. Hite and Cynthia Fraser ,1988 " International Advertising Strategies of Multinational Corporations", Journal of Advertising Research, August \ September.

(2)**Gordon E. Miracle , Kyu Yeol Chang and Charles R. Taylor , " Culture and Advertising Executions: A Comparison of Selected Characteristics of Korean and US television Commercials ", International Marketing Review , Vol.9 No. 4 , 1992. P.7**

- **بعض أشهر الوكالات الإعلانية الدولية:**

General Motors
picture &Gamble
Philip Morris
Chrysler
Ford
Time Warner
Pepsco
Sears
Walt Disny
Jhonson & Jhonson

يلاحظ على هذه الوكالات ما يلي:

١- أن معظم الوكالات تنتمي غلى شركات كبرى ذات نشاط صناعي وتجاري بالأساس.

٢- أن هذه الوكالات تتمركز في الدول الكبرى المتقدمة وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوربا.

٣- تشكل هذه الوكالات في حد ذاتها تكتلا اقتصاديا ضخما ومؤثرا في الحركة الاقتصادية.

٤- تمتلك هذه الوكالات الدولية مكاتب في الدول الكبري ولها تمثيل في دول الهامش.

٥- توظف هذه الولاكات المبدعين والمهنيين المتميزين وتستجلبهم من دول الهامش.

٦- الدول الفقيرة والهامشية لا تحظي باهتمام هذه الوكالات إلا ف حالات معينة.

٧- سيطرة الوكالات الإعلانية الدولية على السوق لا يسمح للوكالات

المحلية بالنمو والتطور لشدة المنافسة.

٨- وكالات الإعلان الدولية لا تكتفي بدروها الإعلاني بل تنشيء شركات ومراكز تدريب وأبحاث وإنتاج، وبهذا تستقطب الكفاءات لخدمة عملائها على مستوى العالم.

٩-هذه الولاكات تعبر عن مناخ ثقافي تعمل فيه وتنقله عبر منتجاتها للغير مما يسمح بنشر رسالة ثقافية عبر الثقافات التي تستقبلها وتتعامل معها وهذا بدوره يشيع أنماط من القيم العالمية وقد تشكل أيدلوجيا معينة تسيطر على بقية الثقافات وتتحكم فيما عداها ثقافيا واقتصاديا على مستوى العالم.

٧- وكالات الأنباء الدولية:

أحد أذرع الإعلام الدولي القوية والنافذة هي وكلات الأنباء (News Agencies) ويثور جدل تقليدي حول موقع ووظيفة هذه الوكالات من حيث:

١- تركز وكالات الأنباء الكبرى في أمريكا وأوربا يثير أسئلة حول خدماتها للدول الكبرى وتهميش الدول الأقل نموا.(رويترز /لندن/ أسوسيتدبرس /نيوورك- وكالة الصحافة الفنرسية باريس).

٢- أن تغطية هذه وكالات الانباء الكبرى لأحداث العالم الثالث تتسم بعدم التوازن حيث تبرز السلبيات والاضطرابات والحروب والكوارث ولا تبرز الإيجابيات في تغطيتها لإفريقيا وآسيا وأمريكا الاتينية.

ولا يوجد خلاف كبير بين المنظمات المهنية بالشان الاتصالي والثقافي مثل اليونسكو والباحثين المستقلين في أن هناك عدم توازن في عمل هذه الوكالات وسيطرتها على الفضاء الدولي في جمع وتوزيع الأخبار عبر شبكات كبيرة ومحترفة من المراسلين. كما تحظى هذه الولاكات بتسهلات وتجهيزات تمكنها من

الوصول إلى الاحداث قبل الوكالات المحلية وبشكل أدق وأكثر مهنية، ما يجعلها في موقع الصدارة والأهمية والمصداقية لدى عملائها.

ومع ما تتمتع به هذه الوكالات من مهنية وسرعة فإنها تعبر بشكل عام عن مركزية الحضارة الغربية وتفوقها وتحمل قيمها وتحصد الأرباح من وراء عملها، وتضع للعالم أولويات القضايا والأحداث من وجهة نظر محرريها ومسؤوليها.

١ - الاتحاد الدلي لكرة القدم:

من الفاعلين في مجال التواصل الكوني جهات قد لا تكون بالضورورة معنية بالاتصال والإعلام الدولي بشكل مباشر، لكنها تستخدم الإعلام الدولي لأغراضها، من هذه الجهات الاتحادات الرياضية الدولية التي تستثمر وسائل الإعلام والإعلان وطرق الإنتاج لنشر المعلومات ونقل الأحداث الرياضية وتغطيتها بما يوفر خدمات للجمهور، كما تسهم هذه الأنشطة في تحقيق ما يمكن تسميته "التعارف الثقافي" الذي تبرز فيه الاختلافات الثقافية والمساحات المشتركة بين الناس من كل الثقافات.

إن الاستثمار الاقتصادي في المجال الرياضي وبخاصة في مجال البث الفضائي للأحداث الرياضية يمثل نموذجا للعلاقة بين الإعلام الدولي وبين النشاط الرياضي العالمي، الذي يكتسب يوما بعد يوم أهمية كبرى للتواصل بين الثقافات، ونشر ثقافة السلام بين الشعوب.

٨- شركات الموضة العالمية:

تمثل بيوت الأزياء العالمية أحد صور " التوحيد العولمي" ونشر منتجات مادية لا تمثل مجرد ملابس للأجساد ولكنها انعكاس لقيم ثقافة معينة، فالثقافة التي تميل للاحتشام تختلف عن الثقافة التي تميل إلى إبراز الجسد، والناس في كل

ثقافة لهم معايير للسلوك وقيم ومعتقدات تبيح أو تمنع تبني مثل هذه المنتجات، ويتوقف الأمر هنا على قوة الإعلان والدعاية والإقناع للمستهلك، مقارنة بقوة معتقداته تجاه السلع والمنتجات العالمية.

ويعد الإعلان الدولي أحد الأذرع الفاعلة في تسويق منتجات الموضة وغيرها، ومحاولة تخطي الحواجز النفسية والثقافية لجذب المستهلكين لشراء هذه المنتجات.

خصائص الممارسة العربية في نطاق الإعلام الدولي:

بعد ملاحظة الأداء الإعلامي الدولي للدول العربية يمكن ملاحظة التالي:

أولا: أن النشاط الإعلامي الدولي للعرب يفتقر إلى التخطيط الدقيق باستثناء الجانب التنظيمي في منظمات الجامعة العربية (اتحاد إذاعات الدول العربية/ اتحاد تليفزيون دول الخليج/..) التي يتسم اداؤها بالضعف النسبي وضعف الفعالية على المسرح الإعلامي الإقليمي والدولي.

ثانيا: وجود فجوة بين الممارسين والمتخصصين من جهة، وبين مخططي سياسات الاتصال من جهة أخرى، ومن هنا لا يوجد جهد متكامل للإعلام الدولي الموجه من الدول العربية التي يصعب القول إنها توجه خطابا موحدا للخارج، وهذا انعكاس لحالة التشتت والخلافات السياسية بين الدول العربية.

ثالثا: أن المؤسسات العربية ذات النشاط الإعلامي على مستوى دولي نشات على يد أفراد وشركات خاصة في البداية، ولا يزال النشاط الرئيسي في يد القطاع الخاص وليس بيد الدول، مع ضمان تحقيق الأهداف العامة للدولة من خلال المؤسسات التابعة لرجال أعمال وشركات خاصة.

رابعا: ضعف أساليب الممارسة المهنية وأخلاقيات المهنة في هذا النوع من الإعلام كونه يعبر عن الأنظمة السياسية وتوجهاتها أكثر من تعبيرها عن إعلام مستقل يعبر عن الشعوب.

خامسا: وجود خلافات أيديولوجية داخل المنطقة العربية وتشتت في المرجعية لكل مؤسسة إعلامية مما يعكس خطابا منقسما بين توجهات تساير الثقافة الليبرالية وأخرى تؤيد مرجعيات محلية.فظهرت عشرات القنوات التي تمثل المذاهب السنية والشيعية والصوفية، كما تكاثرت القنوات ذات المضمون المسيحي، وحاولت إسرائيل بث قنوات بلغة عربية لاختراق العقل العربي، إضافة إلى مواقع الإنترنت والتطبيقات التي تعتمد على الهواتف الذكية للوصول إلى الجمهور العربي.

سادسا: ضعف الثقة بين الأنظمة السياسية والشعوب وبالتالي ضعف مصداقية الإعلام المحلي مما يجعل تعرض الجمهور العربي للإعلام الوافد أكثر كما وكيفا.

سابعا: ضعف قواعد الإنتاج الإعلامي والفني في الدول العربية واعتماد سياسة الاستيراد للمضامين الأجنبية، إما لرخص سعرها مقارنة بالمنتج المحلي، أو ترسيخا لتوجهات غربية محددة بناء على اتفاقات وتوجهات مالكي هذه الوسائل.

ثامنا: قوة الإعلام الوافد مهنيا وفنيا وتلبيته للحاجات المعرفية والتفسيرية للمواطن العربي، وفي المقابل ضعف الوسائل الإعلامية العربية الموجهة للخارج باستثناء حالات قليلة مثل الجزيرة والعربية.

تاسعا: ظاهرة هجرة العقول الإعلامية التي تتم بشكل شبه منظم مما يخلى الوسائل المحلية من الكوادر القادرة على العمل بشكل مهني فعال، وبهذا يتم تفريغ

المؤسسات الإعلامية المحلية لصالح المؤسسات الكبرى ذات التمويل الكبير.

ومع ذلك فهناك بعض التجارب الصحفية والإذاعية الناجحة مثل صحيفتي الحياة والشرق الأوسط ذات التمويل الخليجي والتي تتبنى سياسات إعلامية وثقافية تتفق وتوجهات الأنظمة السياسية التي تسير في الفلك الغربي والأمريكي تحديدا.

***

الفصل الثالث

إدارة الصور الذهنية والأزمات الدولية

المبحث الأول: كيف تدار الصور الذهنية؟

من مؤشرات العولمة في المجال الإعلامي الدولي أنها ألغت الحدود الجغرافية، وأتاحت التكنولوجيا الحديثة في مجال الاتصال. ويسرت الحصول على المعلومات وتجميعها وتخزينها وبثها بشكل فوري، متخطية قيود الوقت والمساحة، وانتعشت المشروعات الخاصة التي تخاطب الحاجات الفردية. ومن تجليات العولمة أيضا زيادة الاتجاه نحو الإعلام المتخصص والابتعاد عن مركزية الاتصال الذي يتحرر من النظم والقيود الحكومية للدول. ([1])

وقد كسرت العولمة الاحتكار الحكومات للبث الإعلامي، وفتحت المجال أمام تأسيس خدمات اتصالية غير حكومية. وتغير اتجاه صناعة الاتصال الجماهيري إلى التركُّز في كيانات ضخمة، وشركات متعددة الجنسيات، ودخول رجال أعمال في مجال صناعة الاتصال لم يكن لهم علاقة بهذا المجال.ولكن لحماية مصالحهم الاقتصادية والسياسية من خلال الأذرع الإعلامية المحلية والدولية.

وتم تكوين تحالفات جديدة بين ملاك المحتوى الإعلامي وملاك المكونات المادية في نفس المجال. مثال: دمج شركة ABC مع إمبراطورية Disney لتكوين

١) سامية أحمد على، موضوع خاص في الإذاعة، (جامعة القاهرة: مركز التعليم المفتوح، ٢٠٠٨) ص

أعظم شركة ترفيه في العالم في القرن الواحد والعشرين.

ولا شك أن وسائل الإعلام تشكل جزءا أساسيا من عمل كافة القطاعات والمنشآت الربحية والخدمية في المجتمع المعاصر. وتمثل العلاقة مع وسائل الإعلام أحد العوامل الأساسية في نجاح وتحقيق أهداف المنظمات الكبرى ومنها الشركات متعددة الجنسيات والهيئات الرسمية والدول.

أهمية بناء الصور الذهنية:

تشير الدرايات النفسية والمعرفية إلى أن العقل لا يمكن أن يحتفظ بكل ما يتعرض له -بشكل كامل- حاضرا في الذاكرة بكل تفاصيله طول الوقت، وإنما يحتفظ برموز وصور وانطباعات عن الواقع الموضوعي وبشكل مجرد، ويتعامل مع الواقع من خلال رموز الخبرة المختزنة عن الأشخاص والمؤسسات والأحداث والمواقف.

أما الأهمية العملية للصورة الذهنية فتتمثل في بناء " السمعة الطيبة Good Reputation) للمنظمات والدول من خلال وسائل الإعلام، وهو هدف تسعى المؤسسات والمنظمات والدول إلى بناء السمعة الجيدة والمحافظة عليها. حيث يعتمد النجاح بالنسبة للمؤسسات والشركات والدول والأجهزة الرسمية على قدرتها على تشكيل السمعة التي تتيح للآخرين أن يثقوا فيها ويصدقوها ويتعاملوا معها.

بالنسبة للمؤسسات الكبرى فإن السمعة هي أهم الممتلكات أو الأصول (The Most Important Asset) لذلك فهي تنفق الملايين دفاعاً عن سمعتها. و عندما تتعرض سمعة مؤسسة للخطر ؛ فإن أرباحها المادية وأسعار أسهمها تتناقص. لذلك فإن من أهم أهداف الدول أن تبني سمعه طيبة

باستخدام وسائل الإعلام عن طريق إمداد هذه الوسائل بالمواد التي تشكل هذه السمعة وتدعمها.

وقد وصل الأمر إلى تضمين صورة الشعب أو الدولة في أفلام الكارتون التي تقدم القيم والأعراف والخصائص المرغوبة عن الدولة، ومراجعة كارتون توم وجيري، وباتمان وسبايدرمان وأفلام جميس بوند وغيرها تعطي مؤشرات على طبيعة هذه الرسائل ذات التوجه العالمي لتسويق صورة الولايات المتحدة لدى الغير.

تعريف الصورة الذهنية:

يعرف قاموس وبستر كلمة Image بأنها " تصوّر عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة، يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص معين أو شيء معين". ويعد " لي بريستول " أحد أهم الذين طوروا هذا المفهوم سنة ١٩٦٠ في كتابه: تطوير صورة المنشأة" ولكن " هربرت كليمان " نقل هذا المفهوم إلى العلاقات الدولية في كتابه " السلوك الإداري " والذي تناول دور الاتصال في تكوين الصورة الذهنية لشعب ما أو دولة ما، لدى الشعوب الأخرى. وقد أدت هذه الجهود وغيرها إلى تزايد الاهتمام النظري بالصورة الذهنية القومية (National Image) التي عرفها " جان مريل " بأنها " منظومة من الانطباعات والأفكار والآراء التي تكون تمثيلا عاما أو سائدا، فهي عبارة عن وصف موجز أو تصوير موحد لشعب أو حكومة دولة ما". ([1])

و في تعريف آخر، الصورة الذهنية هي: الناتج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد أو الجماعات بناء على الخبرة المتاحة لهم، والمكونة

---

١) عبدالله بن محمد آل تويم، الصورة الذهنية المتبادلة بين السعوديين والمقيمين وإسهام قنوات الاتصال في بنائها، رسالة دكتوراة (جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الدعوة والإعلام، ٢٠١٠) ص ص ٢٢-٢٦

لديهم عن وزارة أو دولة او فكرة أو شخص من خلال خبرتهم المباشرة معها أو من خبرات غير مباشرة عبر وسائل الإعلام المختلفة.([1])

إن علاقة الصورة الذهنية بالنشاط الاتصالي علاقة وثيقة، فالصورة مكون ثقافي، والإعلام أحد مصادر تكوين هذه الصور، ولذا فهو مهم ومؤثر في هذا الميدان. وبهذا يرتبط مفهوم الصورة الذهنية بدراسات الاتصال الثقافي الذي يُعرف على أنه "تفاعل أشخاص من ثقافتين أو أكثر " والعلاقة بين الصورة الذهنية والاتصال الثقافي كما يصورها " لاري بارنا " هي أن الاتصال الثقافي يقوم بتكوين الصورة الذهنية بين الشعوب، كما أن الصور الذهنية المسبقة لدى الشعوب تسهل –أو تعوق– الاتصال الثقافي على مستوى العالم. والاتصال الثقافي يتم عبر مجموعة من الوسائل المباشرة وغير المباشرة وسيتم مناقشتها لاحقا.

إن الصورة الذهنية ليست مفهوما أحاديا بل هناك تقسيمات للصورة الذهنية:

١ – صورة ذهنية نمطية: Stereotypes

وهي صورة مشتركة تتكون لدى مجموعة معينة أو شعب معين عن دولة أو شعب أو مؤسسة، وعادة ما تكون مبسطة وناقصة ومشوهة، وتتكرر كثيرا في مواقفهم، وغالبا تتكون بوسائل غير الاتصال المباشر مع أصحاب الصورة. ويصعب تغييرها لجمودها لفترة طويلة، وأوضح مثال موقف الغرب من الإسلام مثلا..! فقد صاغته الأقلام أثناء الحروب الصليبية وتم تضمينه في مناهج التعليم ومؤسسات التنشئة الاجتماعية لأجيال متعاقبة.

ومنذ أن طرح "وولتر ليبمان" مصطلح الصور النمطية (Stereotypes) بعد الحرب العالمية الثانية، وهذا المصطلح يتم تداوله في المجال الأكاديمي، وفي

---

١) علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، ط٣ (القاهرة: عالم الكتب،)

حقول السياسة والإعلام وعلم النفس وعلم الاجتماع، كما أن له تأثيرات واستخدامات واقعية من قبل الميديا التي توظف المفهوم وتحقق من وراء توظيفه نتائج كثيرة مادية ومعنوية.

هذا النوع من الصور الجامدة والمبسطة والمختزلة والمشوهة للأشخاص والتنظيمات والمؤسسات والشعوب والأفكار والمبادئ، يتم توظيفها مع الجمهور العام لأنها تحمل شحنات مكثفة من المعلومات والاتجاهات والقيم والمعتقدات، تصاغ ببراعة لتصِمْ أو تميز مجموعة دينية وعرقية وسياسية بخصائص محددة يراد تعميمها لحسابات معينة. وتلعب مؤسسات التنشئة الاجتماعية –ومنها وسائل الإعلام– دورا في بناء هذا النوع من الصور النمطية.

٢– **الصورة القومية:** هي منظومة من الأفكار والانطباعات والأفكار والاتجاهات التي تكون تمثيلا عاما وسائدا وهي وصف موجز لشعب أو جماعة.

وبشكل عام الصور الذهنية في رأي شاندلر هيك " مجموعة السمات والانطباعات التي تقدم بها وسائل الإعلام فئة أو شعب او قضية أو منظمة، كما انها هي الطريقة التي فهي نتاج عمليات معقدة ولها مدخلات ومخرجات محددة، وتستخدم فيها وسائل الإعلام بشكل تبني بها أو تشكل بها وسائل الإعلام جوانب الواقع المختلفة، والتي تتضمن الأشخاص والفئات الاجتماعية والأماكن والأشياء.

٣–أهمية الصورة الذهنية:

تتمثل وظيفة الصور الذهنية للعقل البشري في أن العقل لا يمكن أن يحتفظ بكل ما يتعرض له –بشكل كامل– حاضرا في الذاكرة بكل تفاصيله طول الوقت، وإنما يحتفظ برموز وصور وانطباعات عن الواقع الموضوعي وبشكل

مجرد، ويتعامل مع الواقع من خلال الخبرة المختزنة عن الأشخاص والمؤسسات والأحداث والمواقف.

ولقد تطورت وظائف أجهزة العلاقات العامة ونشأت شركات لإدارة الصورة الذهنية للقادة والحكومات والأنظمة في هذا العصر الذي يتميز بالتغيرات السريعة والأحداث المتلاحقة في ظل المجتمعات المعقدة التي تحتاج التعاملات فيها لتفهم عميق وبرامج مدروسة وبحث دقيق.

وهناك عدة مصادر تكون الصورة الذهنية الشعوب والدول وتتمثل تلك المصادر في الآتي:

أولا : الخبرة المباشرة : الاتصال الشخصي :

إن احتكاك الأفراد اليومي بأشخاص من ثقافة أو دولة معينة يعد مصدراً مباشراً ومؤثراً لتكوين الانطباعات الذاتية عن أشخاص ومناهج العمل لديها. وهذه الخبرة المباشرة (Direct Experience) أقوى في تأثيرها على عقلية الفرد وعواطفه، إذا أحسن توظيفها من قبل الجهة صاحبة المصلحة.

من الوسائل الثقافية المباشرة في تكوين الصورة الذهنية: النشاط السياحي والرحلات الدينية والحروب بين أنصار الحضارات المختلفة والبعثات العلمية وانتقال البشر من ثقافة إلى أخرى. كل ذلك يؤدي إلى تكوين الصور المتبادلة عن الشعوب. والصورة الذهنية لشعب من الشعوب تكون إيجابية أو سلبية بعكس الصورة النمطية التي غالبا ما تكون متحيزة لجماعة أو شعب معين.

ثانياً : الخبرة غير المباشرة :

إن ما يتعرض له الفرد من رسائل شخصية يسمعها من أصدقاء أو عبر وسائل الإعلام عن مؤسسات وأحداث وأشخاص ودول لم يرهم ولم يسمع منهم

مباشرة تعد خبرة منقولة (Mediated Experience) وفي هذا النوع من الخبرة تلعب وسائل الإعلام المسموعة والمرئية دوراً أساسياً في تكوين الانطباعات التي يشكل الناتج النهائي لها الصورة الذهنية لمن يتعرض لها.

و تؤدي وسائل الإعلام دوراً مهما في تشكيل الصور الذهنية لدى جماهيرها عن المنظمات والهيئات الحكومية، وعن الدول حيث تعتبر النافذة التي تطل منها الضيوف على الأحداث والقضايا وأنشطة المؤسسات المختلفة.نظرا لضعف الاعتماد على الخبرة المباشرة عند كثير من الأفراد وبخاصة في المجتمعات الغربية.

- توظيف وسائل الإعلام الدولية لتكوين الصورة الذهنية:

تعد أجهزة الإعلام الدولي بما تمتلكه من نشاط متعدد مباشر وغير مباشر، والاستخدام المخطط لوسائل الإعلام وطرق تكوين الخبرة من أ هم الأجهزة في بناء الصورة الذهنية المرغوبة عن الدول والشعوب.وتصحيح الجوانب السلبية التي تتكون نتيجة للمعلومات غير السليمة أو المشوهة أو القليلة عن المنظمة أو الفرد أو الدولة.

إن الاهتمام بما تقدمه وسائل الإعلام العالمية من مضامين متعلقة بالدولة والرد عليها بكل جدية وخاصة الانتقادات والهجوم والاتهامات، أصبح واقعا لا مفر منه،وذلك بالرصد والتحليل والاستفادة ويعد هذا نشاطا أساسيا للدول.

إن عرض الإعلام الدولي لمنجزات الدولة في مجال البناء والحضارة، وشرح الجهود المادية والفنية التي أوجدت هذه المنجزات، وتهيئتها لخدمة المجتمع، وحثهم على الرقي والتحضر لمواكبة التطور الذي يعيشه المجتمع العالمي مع المحافظة على العقيدة والقيم والعادات والتراث والتقاليد، هي أمور ضرورية

لابد من فهمها وكيفية إدارتها.

و تتحكم في تكوين الصورة الذهنية عن الأحداث والشعوب عبر الإعلام الدولي عدة عوامل منها مدى سيطرة الحكومات على وسائل الإعلام ونوعية الملكية لوسائل الإعلام وخصائص القائم بالاتصال في هذه القنوات.([1])

- كيف يتم بناءالصورة الذهنية ؟

الصورة الذهنية من أهم عوامل نجاح الأشخاص والمنظمات والدول ومن أهم عوامل نجاح المؤسسات والمنظمات الكبرى. وتجتهد الدول لتبني لنفسها صورة ايجابية على المستوى العالمي، ونلاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية ما تزال تكافح من أجل تعديل الصورة السلبية التي ترسخت عقب حروبها في العالم، وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١م.([2]) وفي المقابل تحاول أنظمة وحكومات كثيرة تعديل صورتها في الخارج وبخاصة بعد أحداث ما سمي بالربيع العربي.

والصورة الذهنية هي مجموعة السمات التي يتذكرها الناس للقائد أو المؤسسة أو الدولة ويتخذ في ضوئها القرارات بالتعامل معها، أو يتخذ موقفاُ منها أو يكوّن رأياً عنها سواء بالتأييد أو المعارضة.

ووسائل الإعلام تلعب دوراً مهماً في عملية تشكيل الصورة الذهنية، حيث ترسخ هذه الصورة في أذهان الجمهور عن طريق المواد الاعلامية التي تتضمن سمات تلك الصورة بشكل غير مباشر.

---

١) إيناس محمَّد أبو يوسف، صورة العالم الثالث في الصحافة المصرية والأمريكية خلال الفترة من ١٩٨٠ – ١٩٨٩، رسالة دكتوراة (القاهرة: كلية الإعلام، ١٩٩٤)

٢) أشرف عبدالمغيث، دور الإعلام في تكوين الصورة الذهنية للعالم الثالث لدى الشباب المصري، رسالة ماجستير، (القاهرة: كلية الإعلام، ١٩٩٣)

-الهوية الثقافية:

يعرف قاموس لونجمان الهوية بأنها " الإحساس بأنفسنا وماضينا ومستقبلنا، وهو إحساس متواصل مستمر من مشاعرنا وأفكارنا، وإحساس بذاكرتنا وأهدافنا وقيامنا وتجاربنا التي تلائمنا والإحساس والفردية بالاستقلال ".([1])

و الهوية هي: " القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات العامة التي تميز أمة عن غيرها والتي تسمح لشخص أن يتعرف على انتمائه إلى جماعة اجتماعية معينة والتماثل معها".

و يؤثر الإعلام الدولي في الهويات الوطنية والقومية فرديا وجماعيا، معرفيا ووجدانيا وسلوكيا (الجابري، ١٩٩٨). ويؤثر الإعلام الدولي على قيم الانتماء والولاء والمواطنة في محاولة لصياغة الإنسان "المعولم" الذي ينتمي إلى ثقافة السوق وفلسفة الاستهلاك المادي، وزيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات. وحين نتكلم عن الهوية تثور مجموعة من القضايا منها: الأنا والآخر، الأصالة والمعاصرة والاغتراب الثقافي.

أما عن آليات التأثير في الإعلام الدولي فإن هذا يتم وفقا لمداخل نظرية متعددة، منها نظرية الاعتمادDependency theory : والتي تفترض أن الناس يعتمدون اعتمادا كليا على وسائل الإعلام كمصدر للمعلومات والتوجيه، وكذا الحالات التي ينشأ لدى الناس فيها حس بالتسليم عبر اعتمادهم على الوسيلة الإعلامية خاصة حينما تحدث أحداث وأزمات عالمية كبرى ويشعر الناس بالخوف والفجيعة حتى ليصبح الإعلام هو مصدر الأمان الوحيد.

كما يعمل الإعلام الدولي وفقا لنظرية وضع الأولويات Agenda Setting :

---

١) عبدالقادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ط٢ (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٣)

وتفترض هذه النظرية أن وسائل الإعلام محلية كانت أم دولية تفرض جدولة ذهنية مقررة تجرى عبرها برمجة أذهان المشاهدين من خلال الاختيار لما ينشر، واستبعاد ما عداه، ومن ثم تتم برمجة خيارات المشاهدين الاجتماعية والسياسية، ومع أن الإعلام لا يقول للناس كيف يفكرون إلا أنه يقرر لهم ما يجب أن يفكروا فيه، وهكذا تتم برمجة الأشخاص والمجتمعات.

أما نظرية الغرس (Cultivation theory) فهي نظرية تركز على العلاقة بين الواقع الذي تقدمه وسائل الإعلام والتليفزيون خاصة، وبين ما يعتقد المشاهد أنه حقيقة، ولأن التليفزيون يقدم حقائق مشوهة عن الواقع من جريمة وجنس وعنف ومخدرات وانحراف، فإن المشاهد لكثافة مشاهدته يخزن هذه الصور على أنها العالم الحقيقي يسير هكذا. وقد برز التطور الأخير لنظرية الغرس على المستوى الدولي عبر الدراسات الثقافية والاتصال الثقافي.

وتعد نظرية تحليل الإطار الإعلامي (Framing Theory) واحدة من الروافد الحديثة في دراسات تأثير وسائل الإعلام، حيث تسمح للباحث بقياس المحتوى الضمني للوسائل الإعلامية التي تعكسها وسائل الإعلام، ويعتبر تحليل الإطار الإعلامي أحد الاتجاهات الحديثة في د راسات الاتصال، حيث يتيح تحليلا تفسيا منتظماً لدور وسائل الإعلام في تشكيل الأفكار والاتجاهات حيال القضايا المطروحة والبارزة، وعلاقة ذلك باستجابات الجمهور المعرفية والوجدانية لتلك القضايا.

وتنطلق نظرية الأطر الخبرية من افت ا رض مفاده أن الاستعانة بأطر ونقاط مرجعية مختلفة في الرسالة الإعلامية يؤدي بدوره إلى اختلاف استراتيجيات (Reference Points)الاختيار وإصدار الأحكام من قبل الرأي العام على الأحداث والقضايا المختلفة.وتفترض هذه النظرية أن الأحداث لا

تنطوي في حد ذاتها على مغزى معين، و انما يحددها وينظمها ويضفى عليها وضعها في (Frame) مغزى من خلال وضعها في إطار الاتساق، فالإطار الإعلامي هو تلك الفكرة المحورية التى تنتظم حولها الأحداث الخاصة بقضية. ومفهوم الإطار مستمد من الدراسات النفسية والاجتماعية، فعلماء النفس يعرفون الإطار بأنه "التغيير في الأحكام الناتجة عن التغير في تعريف الموضوع أو اختيار المشاكل.

إطار الأخبار والرموز والصور النمطية في التغطية الإعلامية، وتعرفه هذه الأعمال بشكل إيديولوجي الاجتماعي للإطار فقد ظهر في أعمال Goffman, Basteson والفرض الرئيسي للنظرية كما وضعه عالم الاجتماع جوفمان ١٩٧٤ يتمثل في أن وضع الأحداث في إطار معين يكسبها معني، وذلك من خلال تنظيم المعلومات المرتبطة بها بطريقة معينة تضفي عليها قدرا من الاتساق، وإهمال الجوانب الأخرى المتعلقة بهذه الأحداث، مما يؤثر بدوره على الأفكار التي يكونها الجمهور عنها وبالتالي يؤثر على كيفية إدراك الجمهور للأحداث وتقييمهم لها وسلوكهم نحوها.

فالأطر هي منبهات للتفكير، يستخدمها الأفراد اعتماداً على المعلومات المتوفرة، في تنشيط المعلومات الأولية التي تساعدهم على تكوين الآراء واتخاذ القرارات، فالأطر تخلق ارتباطات لغوية ودلالات داخل البنية المعرفية للأفراد، وتعتمل فيها الاقتراحات المقدمة في النَّص، مع الخبرات المسبقة المخزنة في العقل والتي يتم تحديثها أو تعديلها أو تغييرها وفقا للمعلومات المتوفرة فيه، وقد توافرت أدلة علمية تؤكد أن المعرفة السابقة تحد من قوة القرار أو تقييم الأوضاع وتبني الاتجاهات المختلفة وإصدار الأحكام حولها.

المبحث الثاني: الإعلام الدولي والأزمات الدولية

لا أبالغ إذا قلت: إن عصرنا الحالي هو عصر الأزمات والمخاطر المعقدة، وهذا يشكل تحديات كبرى تتطلب الاستجابة لها بالوقاية والعلاج.

و تختلف اتجاهات تعريف الأزمات فهناك اتجاه يركز على ما تنطوي عليه من خطر وتهديد،وويعرف الأزمة بأنها: حالة تهدد النظام كله وتهدد افتراضاته الأساسية ومعتقداته الداخلية وجوهر وجوده.

واتجاه ثان ركز على الوعي بوجود أزمة ويرى الأزمة: معارف خاصة تعتمد على إدراكنا لحالات الخلل والتمزق والتي نعتقد انها تؤدي إلى تناقضات مفاجئة لدرجة يصعب التوافق معها.

واتجاه ثالث يركز على نتائج الأزمات وجوانبها السلبية ويرى الأزمة نقطة تحول في أوضاع غير مستقرة ويمكن أن تقود إلى نتائج غير مرغوبة، إذا كانت الأطراف المعنية غير مستعدة أو غير قادرة على احتوائها ودرء أخطارها.

وهناك اتجاهات ركزت على الاستجابة المطلوبة لمواجهة الأزمة واعتبرتها مواقف مربكة تواجه المنظمة أو النظام كله وتتحدى افتراضاته الأساسية المتعارف عليها وتتطلب تصرفات وقرارات عاجلة ومستحدثة، وتؤدي فيما بعد لمساءلة من قبل أعضاء هذا النظام.

وأيا كان تعريف الأزمة فهي تمثل ملمحا واضحا للحياة المعاصرة داخليا وخارجيا، بل إن المجتمع المعاصر يعد من وجهة نظر الخبراء "مجتمع المخاطر".

أما عن تعريف الأزمة ففي قاموس ويبستر الأزمة هي:" نقطة تحول للأفضل أو للأسوأ، وهي لحظة حاسمة، أو وقت حرج".

و الأزمة في تعريف آخر هي: خلل يؤثر تأثيرا شديدا على المنظمة، ويهدد

الافتراضات والمسلمات الرئيسية التي نتقوم عليها المنظمة.والتأثير على الأهداف والمشروعات والمسارات والوسائل وذلك على المستوى الداخلى للمؤسسة أو البيئة المحيطة بها.

وتوجد مفاهيم ذات صلة بالأزمة مثل مفهوم الصراع والاضطراب وتعارض المصالح وهو من المفاهيم المحورية في الواقع المعاصر.

ومفهوم الكوارث (زلزال – تسونامي– انفجار مفاعل نووي..) والحالات التي يحدث فيها تدمير وخسائر في الماديات والبشر – أو كلاهما – وتكون أسبابها مباشرة ويمكن حصرها في فترة زمنية معينة حيث يقع دمار واسع وضحايا وأضرار بشرية ومادية. والكارثة تسترعي الاهتمام العام والحكومي.كما تسترعي الاهتمام والتعاطف من الإعلام على عكس الأزمة التي تضع المنظمة في موقع النظرة السلبية والاتهام والمساءلة.([1])

ولأنه يستحيل التنبؤ بالكارثة بدقة وقبل وقت كاف بينما الأزمة تكون نتيجة تراكمات حتى درجة الانفجار، فإن للإعلام الدولي قوة استثنائية في إدارة الكوارث.

- نماذج من الأزمات المهددة للإنسان:المخاوف الصحية (فساد الأدوية / تلوث المياه والغذاء / انتشار فيروس..) وأضرار البيئة والفساد المالي والإداري.اختراق الحاسبات الآلية وشبكات، والعنف والإرهاب، ونقص الموارد والطاقة.و تهديد أمن وسلامة الدول من قبل دول أخرى. والصراعات الطائفية والعرقية والعصبية.و توتر العلاقة بين الحكومات والشعوب.و كشف أسرار وطنية، وانهيار البورصات والأسواق وإفلاس البنوك.

---

١) حسن عماد مكاوي، الإعلام ومعالجة الأزمات، ط٢، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٥) ص٥٤-٥٥

ما أسباب نشوء الأزمات ؟

الأزمات لا تنشأ من فراغ ولكن من محركات وأسباب موضوعية منها:

- سوء الفهم للأحداث والماجريات اليومية.
- سوء الإدراك للأبعاد المعقدة للأزمة نتيجة ضعف عقلي أو نقص قدرة تحليلية.
- سوء التقدير والتقويم (الإفراط في الثقة بالنفس وبالآخرين)
- الإدارة العشوائية القائمة على الأهواء وليس على تحليل وتخطيط علميين.
- الرغبة في ابتزاز القوي للضعيف.
- اليأس: الذي يدفع صاحبه إلى تصرفات طائشة لا عقلانية.
- الإشاعات:حيث تطلق مغلفة ببعض الحقائق في وقت معين لتحدث الأثر المتأزم مع بعض الغموض تنشأ الأزمة.
- استعراض وممارسة القوة من قبل كيانات كبيرة تجاه الطرف الأضعف
- الأخطاء البشرية مثل الإهمال والتسيب وعدم القدرة على الإدارة لأسباب تتعلق بالفساد.
- الأزمات المختطة أو صناعة الأزمات والاختناقات بقصد إحداث أزمة.
- تعارض الرؤى بين متخذي القرار.
- تعارض مصالح الكيانات الرسمية وغير الرسمية.

دورة حياة الأزمة

- مرحلة ميلاد الأزمة:

تبدأ بسلسلة إشارات وإنذارات مبكرة مبهمة، تظهر لأول مرة، وتلعب خبرة متخذ القرار وإدراكه وبصيرته دورا مهما لتنفيس الأزمة، إما بخلق محور اهتمام جديد يغطي على الأزمة بشيء ثانوي. أو معرفة مكمن الخطر ومعالجته فورا، وامتصاص قوة الدفع المحركة للأزمة، والإحساس بالراحة والتفاؤل في المستقبل.

- مرحلة نمو الأزمة:

تنمو الأزمة حين لا ينتبه متخذ القرار في مرحلة ميلادها؛ فتتزايد ويصعب إنكار وجودها وعلى المسؤولين التدخل للآتي:

أ) تحييد وعزل العناصر الخارجية المدعمة للأزمة.

ب) تجميد نمو الأزمة عند المستوى الأدنى.

ج) معالجة الأزمة بتصحيح أوجه القصور التي أدت إليها.

- مرحلة الانحسار والتقلص: بعد التفاقم وحدوث التأثيرات الأزموية، تبدأ وتتلاشى تدريجيا ولابد من التنبه في هذه المرحلة لأن أي عامل صغير قد يولد أزمة جديدة ما لم يتم التأكد من اختفاء أسبابها.

- مرحلة الاختفاء والتلاشي: مرحلة الاختفاء والتلاشي: تفقد الأ.مة بشكل كامل قوة الدفع المولدة لها ولعناصرها.و المسار ليس دائما خطيا بل يمكن أن يكون حلزونيا للأزمة ومراحلها.

- أسس تصنيف الأزمات ؟

- من حيث التكرار:

- أزمات دورية متكررة مثل الأسعار / الطاقة / العنف)
- أزمات عشوائية الحدوث لا ترتبط بأسباب معينة.

- من حيث الشدة:

- أزمات شديدة عنيفة تعصف بالمنظمة كلها.
- أزمات عشوائية الحدوث لا ترتبط بأسباب معينة.

- من حيث التأثير:

- أزمة هامشية لا تؤثر كثيرا على النظام الأساسي
- أزمة جوهرية تمس الكيان الإداري بشكل أساسي كأزمة المياه والوقود زالحروب.

- من حيث عمق الأزمة:

- أزمات سطحية مفاجئة تنتهي بسرعة (بعض الإشاعات تنتهي مبعالجة أسبابها)
- أزمات عميقة: خطيرة لأنها عميقة تتعلق بهيكل النظام الأساسي.

- من حيث النطاق المكاني:

- على مستوى كلي قومي / وطني.
- على مستوى جزئي محلي / منطقة.
- على مستوى قطاعي (غذاء/ دواء/ طاقة / اعلام / سياسة..)

- على مستوى عالمي وهنا يأتي دور الإعلام الدولي.

- من حيث العلاقة بالعالم الخارجي:

- أزمات عالمية مستوردة من الخارج.وقد تتسبب فيها دولة أخرى أو شركات متعددة الجنسيات او منظمات دولية.وهنا يصبح الإعلام الدولي معنيا من جهات عدة أولها مصالح الدولة التي ينتمي إليها، وثانيا من حيث حق المرعفة للجماهير بما يحدث، وثالثا من جهة المسؤولية الاجتماعية عن إدارة الأ.مات العالمية وتقديم حلول في الأزمات المشتركة.
- أزمات محلية مصدرة للخارج كالإرهاب، والهجرة غير الشرعية،...
- أزمات محلية لا يمكن تصديرها للخارج.

- مدى الإحساس بالأزمة ووضوحها:

- أزمات صريحة وواضحة.
- أزمات سرية يتكتم عليها لأغراض مختلفة.

متى بدأ الاهتمام بدور الأعلام في الأزمات ؟

في الستينيات على يد "أويل ويليامز" و"هاري مور" حين قاما بتحليل تقارير الإذاعة والصحف والتليفزيون عن الكوارث ودقة هذه التقارير.وقد أدت زيادة التعقيدات العصرية والكوارث والأزمات وتطور تقنية الاتصال لتطور بحوث الإعلام والأزمات. وقد ظهرت نظرية التضخيم الاجتماعي للأزمات Social Amplification Of Risk Framework(Sarf) حيث يفترض النموذج أن هناك سياقات تاريخية واجتماعية تفسر تفاعل الكيفية التي تجعل من حدث أزمة ومن حدث آخر أمر عابر. وإن وسائل الإعلام هي مناطق للصراع السياسي

والأيدلوجي، والجدل حول كيفية معالجة أزمة ليس معناه انها قضية تهم الأغلبية بل هو نتاج صراع بين القنوات لفرض أجندتها على الرأي العام وتقديم مشكلات المجتمع من منظور مصالح الملاك والقوى الاقتصادية والسياسة في هذا البلد أو ذاك.([1])

مجتمع المخاطر: التهديدات الدولية:

التهديدات المجتمعية: مفهوم يدور حول أشكال السلوك والأحداث التي تخلق حالة من الاضطراب والقلق التي لا يتمكن المجتمع من السيطرة عليها واستيعابها بهدوء. وللإعلام دوران: دور القناة التي تنقل المعلومات للرأي العام ودور يوجه الانتقادات ويناقش الأسباب ويعكس آراء الرأي العام.

- خصائص التهديدات: لكل تهديد خصائص تجعل منه تهديدا حقيقيا:

- وجود ظاهرة أو حدث يؤدي إلى قلق الأفراد وزعزعة الإحساس بالأمان
- تأجيج مشاعر العداء والغضب لدى الأفراد تجاه مصدر الخطر أو التهديد.
- الظهور المفاجيء والتلاشي للتهديد، مما يخلق نوبات من الذعر والهوس الجماهيري.
- الاختلال وعدم تناسب تقديم الأزمة: (تبسيط ومبالغة وتضخيم).

شروط وجود الأزمة أو التهديد ؟

- التصوير المقنع بوجود "خطر حقيقي" يتضمن أحداثا وملابسات تشكل أزمة متكاملة يدركها الرأي العام المحلى أو الدولي وتلعب وسائل الإعلام الدولي دورا مهما في ذلك.

---

١)الأميرة سماح،

- وجود "حالة من الغموض" والجهل النسبي لدى الإعلاميين بمدى خطورة وتاثيرات الأزمة وأفضل الحلول وأنسبها.
- وجود درجة عالية من التحالف الناجح بين اثنين أو أكثر من (السياسيين والحكومة– جماعات المصالح – مسبب الأزمة–الشرطة والقضاء–وسائل الإعلام –الرأي العام، الجمهور)
- بروز مجموعة متخصصة من الخبراء والمعنيين تعتمد عليهم وسائل الإعلام في تفسير الأزمات.
- حالة تشبه الإجماع بين افراد المجتمع حول المشكلة الخطرة وحلولها.
- توفر مجموعة حلول جاهزة تقدم عبر وسائل الإعلام للرأي العام باعتبارها الأنسب والأكثر كفاءة وتأثيرا.

حين نطبق هذه الشروط على الأزمات الدولية السياسية والاقتصادية والثقافية والصحية وغيرها نجد أن الإعلام التابع للدول القوية أو القوى صاحبة المصالح يكون أسبق في تغطية الأزمات بل وقد يسبقها بالتمهيد أو التحذير وتهيئة الرأي العام الدولى لقرارات معينة (مثال: حرب العراق / أحداث ١١ سبتمبر/ الحرب على أفغانستان/ الحرب على التنظيمات المسلحة – تنظيم القاعدة/ تنظيم الدولة الإسلامية).

ما الذي يحد من ظهور الأزمة ؟

- نقص اعتراف وسائل الإعلام بالمشكلة على أنها خطر أو أزمة، وشرعية الاعتراف بها كأزمة للمجتمع (تهميش القضية).وهذا يحدث حين تكون الأزمة تخص مصالح دولة كبرى أو دولة قوية أو شركات متعددة الجنسيات.

- الفشل في إبراز قضية أو مشكلة على أنها خطر يهدد الأفراد، مشكلة جديدة أو توصيف لقضية قديمة.
- الانقسام بين صفوة المجتمع وقادة الرأي العام حول مدى خطورة المشكلة أو أسبابها أو حلولها المقترحة في حال الإقرار بأنها أزمة أو مشكلة.
- غياب الحلول الممكنة والفعالة للمشكلة.
- ومع ذلك يظل عنصر المفاجأة والمباغتة هو الحاكم لظهور وبروز أزمة معينة

نماذج التهديدات والأزمات ودور الإعلام فيها:

- دور الإعلام في مرحلة الإرهاصات (Inventory)
- يقوم الإعلام بجمع ومعالجة وتمثيل المعلومات والصور المتعلقة بالأزمة وتتضمن أربع عمليات متداخلة هي:
  - مرحلة المبالغة او التضخيم.
  - التنبؤ والتوقع.
  - مرحلة الترميز
- رد الفعل المجتمعي

نموذج لدور الإعلام في الأزمات:

يرى أن وسائل الإعلام ملتزمة بقوى أيديولوجية تتحكم في مضامين ما تقدمه، وتعيد تشكيل الأزمة لتفتح بابا للخبراء وأفراد متخصصين، وتابعين لجهات سلطوية. ولذا فهي تمكن السلطة من إقناع الرأي العام بما تريد.

وتعمل وسائل الإعلام على تجميع عناصر قد لا تكون مرتبطة لتصورهم ذات صلة بالأزمة. كما تلقى الاتهام وتحدد المسؤولين عن الأزمة لتمهد الطريق لعقابهم.وكثيرا ما تبثت بعد انتهاء الأزمة عدم صلة المتهمين بما حدث.

١- تكنيكات المعالجة والإبراز للخطر أو الأزمة:

تكنيكات المعالجة والإبراز للخطر أو الأزمة:

التضخيم أو التشويه ويشمل:

- مرحلة تعريف أو تحديد قضية ما باعتبارها مثار القلق.
- مرحلة تحديد أقلية ما أو جماعة كمصدر للتهديد والخطر.
- مرحلة التقريب والربط بإعطاء علامة مميزة للأزمة وربطها بغيرها من الأزمات والقضايا ذات الصلة (Labeling)
- مرحلة إلقاء اللوم وتبعات الأزمة على فئة بشكل يجعلها تتصاعد كخطر مجتمعي واضح.
- مرحلة التنبؤ بأوقات أخرى عصيبة سوف تأتي إذا لم تتخذ إجراءات صارمة ضد هذا الخطر.
- مرحلة المطالبة بموقف جاد وصارم وخطوات عملية.

نموذج بريطاني لتصور التهديد ودور الإعلام:

أ) مرحلة البروز:

- تصور وسائل الإعلام شخص أو مجموعة على أنها خطر على المجتمع (خطر قديم أو جديد):

س١: ما شكل الأزمة ؟

س٢: ما العنصر الجديد الذي يتم إبرازه كخطر أو أزمة ؟

س٣: لماذا تقدم القضية على أنها أزمة ؟ وما طرق تصوير ذلك ؟

ب) المعالجة المتجددة للأزمة من خلال الإعلام:

استراتيجية: المبالغة / التضخيم/ التشويه/ التنبؤ/ الترميز (غالبا بأسلوب نمطي)

س١: ما الذي يقدم بشكل نمطى معروف مسبقا.

س٢: ما طبيعة الصورة النمطية المقدمة؟

س٣: هل هناك شيء بارز كتهديد في هذه الأنماط؟

س٤: ما الأدلة البارزة على وجود التضخيم – التشويه– التنبؤ والترميز

س٥: هل وصلت وسائل الإعلام للحماس ودق ناقوس الخطر بشأن الأزمة؟

مرحلة علماء وشركاء الأزمة الأخلاقيين:

تدخل جماعات وخبراء وذوو العلاقة بالأزمة لتعريفها وطرح حلولها (علماء / مفكرين / صحفيين)

س١: من هم الأفراد والجماعات الذين يتدخلون في عملية توصيف الأزمة؟

س٢: هل هؤلاء مستقلون في قيادة الرأي العام أم أنهم أدوات في يد وسائل الإعلام ؟

س٣: ما التوجهات والصور التي تسوق كأدلة تبرهن على آرائهم ؟

مرحلة الخبراء (Experts)

أي الآراء المستقلة العلمية التي تؤثر في الأزمة مساهمة مميزة:

س١ : من الذي يدعي الخبرة في الأزمة التي تعرضها وسائل الإعلام ؟

س٢ : ما الأسس التي يعتمد عليها الخبير في الأزمة ؟

س٣ : من يعتد بالخبراء كمصدر ثقة لدى وسائل الإعلام ؟

مرحلة مواجهة المشكلة وإيجاد الحلول :

رد فعل وسائل الإعلام والخبراء والشركاء الأخلاقيين. تمهيد لوضع مقاييس وضوابط للتحكم في الخطر.

س١ : ما الحلول المطروحة للأزمة ومن يقدمها؟

س٢ : ما الإجراءات العملية المقترحة للحل ومن يقترحها ؟

س٣ : هل هذه المقترحات مبتكرة وفعالة وهل هي قانونية ومشروعة ام لا ؟

مرحلة التلاشي والاختفاء :

مع تلاشي الخطر تظهر قضايا فرعية ويفقد الخطر أهميته بالتدريج، تطرح خيارات لها قابلية عودة الأزمة والبروز على المسرح، في دورة غير منتهية.

س١ : متى ولماذا ينتهي الخطر ؟

س٢ : هل من المتوقع أن يعود الخطر مرة أخرى ؟

س٣ : ما التبعات التي قد تتركها الأزمة على ظروف وأحوال المجتمع واستقراره ؟

مرحلة التشريع القوانين:

بعض الأزمات قد تترك اثرا بعيد المدى كأحداث تاريخية ويكون لها تأثير على السياسة العامة.

س١: ما الآثار طويلة المدى للأزمة المثارة ؟

س٢: إلى أي مدى ترتبط الأزمة بما سبقها ؟

ملاحظة: العلاقة بين المراحل ليست خطية، حيث تتداخل المراحل وتتفاعل معا.

العلاقة بين الأزمة ووسائل الإعلام :القيم الإخبارية ومسارات البرهنة التي تتبعها وسائل الإعلام:

عوامل جعل حدث قصة إخبارية:

- معدل حدوث الأزمة وتكرارها
- الوضوح والبساطة.
- الصلة بالجمهور مكانيا وثقافيا
- التسميع وتوقع الحدث
- شدة الحدث واستمراريته
- الغرابة أو الندرة
- الاستمرارية
- صلة الحدث بالصفوة
- السلبية
- القرب الشخصي من الجمهور المستهدف

مثيرو الأزمات ومصادرها الأولية:

هُم معرّفي الأزمة والمتحدثين الرسميين ومثيروها على الساحة، الحكومة/ القضاء/ الشرطة/ وسائل الإعلام كنافذة لإعادة إنتاج الأفكار والسياسات إلى لغة رجل الشارع.

دائرة اهتمام وسائل الإعلام وتغيرها من وقت لآخر:

دوائر اهتمام وسائل الإعلام مرتبطة بسياساتها ومصالح الملاك ولذا فهي متغيرة والحدث يظهر فجأة ثم يتلاشى وهي تحاول إرضاء الجمهور في مختلف القضايا

الفصل الرابع

إستقلالية الاعلام والسيادة الوطنية

المبحث الأول: السيادة الوطنية.. المفهوم والخصائص

هل ما تزال مفاهيم السيادة الوطنية بمفهومها التقليدي سارية أم طرأ عليها تغيير؟ وهل هذا التغيير يطال النظم السياسية كفاعلين دوليين أم يطال كافة الأنظمة داخل الدول الوطنية ؟ وهل يمكن للإعلام في دول ذات سيادة منقوصة أن يدافع عن هذه السيادة وأن يكون أداة للحفاظ عليها؟

أولا : تحديد مفهوم السيادة (Souverainte) :

السيادة مصطلح قانوني فرنسي مشتق من أصل لاتيني تعبر عن صفة لمن له سلطة لا يستمدها من غير ذاته، ولا يشاركه فيها غيره،وقد أصبح المصطلح من مفردات القانون الدولي. وهذه الكلمة الفرنسية تكفي في الدلالة على الأصل الفرنسي لفكرة السيادة. ([1])

وتعني السيادة: (السلطة العامة التي تشكل مع الشعب والأرض، أركان الدولة).

ويرجع الفضل للعلامة " جان بودان " والعلامة "هوبز" في تطوير المفهوم وتفصيله وتحديد مدلول استعمال مفهوم السيادة. وأيا كان الرأي القائل بنشأة

١) فتحي عبد الكريم، الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، ص ٢٣

فكرة السيادة مع الدولة الحديثة أم منذ وجدت المجتمعات البشرية، فالثابت أنه إذا اكتملت أركان الدولة كانت السيادة ملازمة لها بمفهوم ما.([1])

فقد عرف الإغريق المجتمع السياسي المنظم، وقدم اليونانيون نوعا من الديموقراطية. وقد تطور مفهوم السيادة في ظل الصراع بين السلطتين الزمنية والدينية، وأسهمت في تبلوره جميع الطبقات تقريبا، كما استثمرت الكنيسة فكرة القانون الطبيعي وصبغته بصبغة دينية، فأصبح يعني القانون الإلهي الذي يسمو على القانون الوضعي ليصبح البابا أعلى مكانة من الملوك. ([2])

وكما شهدت العصور الوسطى بداية فصل السلطتين الزمنية والدينية، فقد شهدت لاحقا الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والتنفيذية.

وقد شهد واقع الدولة بعد ظهور الإسلام دولة متعددة الأعراق والأديان والأعراف والثقافات لتقدم مفهوما جديدا للمواطنة متساوية الحقوق وفق دستور يجعل المسلم وغير المسلم في دولة واحدة أمة متميزة.(راجع صحيفة المدينة المنورة).

ويمكن القول إن ضعف سلطة الكنيسة بعد العصور الوسطى أدى تلقائيا إلى ميلاد فكرة السيادة بمفهومها الجديد، كونها صفة من صفات الدولة القانونية وجزء من شخصيتها.

وقد جاء "هوجو جروشيوس" أبو القانون الدولي الغربي ليقدم فكرة السيادة في منحى جديد يأخذ في اعتباره تطور المجتمع الدولي، فخلّص السيادة من ارتباطها بالحاكم، وحررها من رواسب الإطلاقية، وأخضعها لمبادئ جديدة

١) ليلى حلاوة: جدلية الدولة والعولمة، بحث ص ٢

٢) فتحي عبد الكريم، المرجع السابق، ص ٣٧

هي مبادئ القانون الطبيعي إضافة إلى القانون الإلهي. ([1])

ثانيا : مضمون السيادة :

إن مضمون السيادة في نظر كل من " بودان bodin " و" هوبز Hobbes "هي للحاكم فهي سلطة عليا على المواطنين والرعايا، لا يحدها القانون لأن الملك يضع القانون. ثم جاء "جان جاك روسو" ليجعل السلطة للأمة والمجتمع.([2])

إن خصائص السيادة وفقا لهذا المفهوم هي سلطة دائمة وغير قابلة للتفويض أو التصرف فيها، ولا تخضع للتقادم، وأنها مطلقة لا تخضع للقانون.

ومع ذلك يبدو التناقض في آراء" بودان" و"هوبز" في أن السلطة لابد أن تخضع لعدة محددات هي:

- القانون الطبيعي.
- القوانين الدستورية الأساسية.
- الملكية الخاصة.

أما رؤية " روسو " أن العقد الاجتماعي يعطي المجتمع السياسي سلطة مطلقة على إرادة أعضائه – وهذه السلطة المطلقة التي تتولاها الإرادة العامة تحمل اسم السيادة – والسيادة التي هي ليست سوى ممارسة للإرادة العامة، لا يمكن أبدا التصرف فيها، وصاحب السيادة الذي هو كائن جماعي لا يمكن لأحد أن يمتلكه أو ينوب عنه بسوى نفسه".

وهكذا انتقل " روسو " بالسيادة خطوة كبرى نحو ربطها بالإرادة العامة

---

١) ليلى حلاوة ص ٨

٢) فتحي عبد الكريم: ٨٥

للشعب، مما أكسبها التصاقا بالشخصية الإنسانية والحرية، فصارت السيادة تستمد من مصادر اجتماعية، وليست مصادر إلهية. وأصبحت الإرادة العامة للمجتمع تراقب الحاكم الذي يخرق العقد الاجتماعي. ([1])

ثالثا: أبعاد السيادة:

للسيادة بعدان هما:

أ) سيادة داخلية:

ولها معنيان إيجابي وسلبي: فأما الإيجابي فهو أن الدولة تتمتع بسلطة عليا على جميع الأفراد والهيئات الموجودة على أراضيها، وأن إرادتها تسمو على إرادتهم جميعا. وأما المعنى السلبي فهو عدم إمكانية خضوع الدولة لأي سلطة غير سلطتها.

ويرى " هوبز " أن السلطة المطلقة للدولة صاحبة السيادة تستمد من هدف الدولة ذاته وليس من الخارج.

ب) سيادة خارجية:

وتعنى العلاقات الخارجية بين الدول، ومن مقتضياتها عدم خضوع الدولة صاحبة السيادة الخارجية لأي دولة أجنبية، وتعنى المساواة بين جميع الدول أصحاب السيادة. وهي هنا مرادفة للاستقلال، وتكون دراسة السيادة الخارجية ضمن القانون الدولي.

ويضيف "هوجو جروشيوس" إلى السيادة الخارجية أنها: " السلطة السياسية العليا التي تتركز في الشخص الذي لا تتمكن أي إرادة إنسانية من نقض

---

١) ليلى حلاوة، المرجع السابق.

أعماله." وإن كان هذا الرأي يتناقض مع ما يراه جروشيوس الذي كانت تسيطر عليه الرغبة في الحد من الجهات التي لها حق إعلان الحرب في أوربا.

وتتصل بمفهوم السيادة مفاهيم أخرى مثل " الاستقلال " و" الحرية " و" حق تقرير المصير"، ولا تعبر هذه المفاهيم بمفردها عن السيادة بل تعد مظهرا من مظاهرها.

ويفرق ثروت بدوي بين السيادة والسلطة على أن السيادة هي الصفة التي تتصف بها السلطة السياسية في الدولة"([1])

وخلاصة هذا النقاش أن السلطة هي القدرة على فرض إرادة الدولة. والدولة هي السلطة القهرية التي تعلو على كل سلطة، وتفرض سيادتها إما بالقهر والتعسف أو بالإقناع الحر والقدوة والنموذج، وكلما توافر للسلطة القبول الاختياري طواعية ممن يخضع لها، كلما استقرت الممارسة السياسية.

ومن قراءة التراث حول السيادة تبين أنها تتصف بخمس خصائص هي:

١- السيادة مطلقة: بمعنى أنه ليس هناك سلطة أعلى من الدولة، إلا أن هناك عوامل إنسانية طبيعية تؤثر في هذا الإطلاق وحدود تحد من السيادة سواء كانت قانونية او أخلاقية.

٢- السيادة شاملة: أي أنها تطبق على جميع من في الإقليم، إلا ما يرد في اتفاقيات ومعاهدات دولية تبرمها الدولة مثل معاملة الهيئات الدبلوماسية.

٣- السيادة لا يمكن التنازل عنها: فالدولة لا يمكن أن تتنازل عن سيادتها، وإلا لم تعد دولة وتفقد شخصيتها وذاتيتها.

---

١) ثروت بدوي، النظم السياسية، ١٩٦٢ دار النهضة العربية، ص١٧

٤- السيادة دائمة: السيادة تدوم ما بقيت الدولة، ولا تتأثر بتغير الحكومات، وزوال حكومة لا يعني زوال السيادة.

٥- السيادة لا تتجزأ: فلا يوجد في الدولة الواحدة سوى سيادة واحدة.

رابعا: نظريات السيادة:

توجد ثلاثة أطر نظرية تفسر مصدر السيادة وهي:

١- النظرية الثيوقراطية:

وتدور أدبياتها على إرجاع السيادة إلى الله، وقد ظهرت" نظرية الحق الإلهي " في القرن الخامس الميلادي، كما ظهر مبدأ آباء الكنيسة. وفي المقابل قدم أنصار الملوك نظرية العناية الإلهية، ومعنى هذا أن عناية الله التي توجه الناس وترشدهم حتى تصبح السلطة في يد أحدهم بدون جهد منه فتكون العناية الإلهية هي التي وضعته في موضعه.

وقد حاول أبو جعفر المنصور في بداية قيام الدولة العباسية انتزاع هذا الحق ولكنه قوبل بالرفض. ([١])

يرى البعض أن الكنيسة في العصور الوسطى قد دفعت أوربا إلى الكثير من الصراعات المذهبية والحروب الدائمة بعد أن كانت دولة موحدة تحت إمرة الإمبراطورية الرومانية. وبالتالي فإن البعد التاريخي إلى جانب الدور التطبيقي للكنيسة قد فرضت هذه النظرة المعادية للكنيسة كأساس في التكوين الثقافي للعقل الأوربي.

فكل ماعرفه الصانع والزارع ورجل الشارع الأوربى عن الإسلام صاغته

---

١) ليلى حلاوة، مرجع سابق.

الأقلام الأوربية من خلال حلقات الصراع إبان الحروب الصليبية،وظلت هذه النزعة العدائية تشكل عائقاً أمام التعرف على حقيقة الإسلام وطبيعة حضارته وحتى الآن. ([1]) هذه النظريات ما يزال لها صدى في الثقافات المخلتفة ولكنها تظل ذو طبيعة غيبية.

٢- النظرية الديمقراطية:

وتقوم هذه النظرية على أن السيادة مصدرها الأمة أو الشعب، وأبرز نظرياتها العقد الاجتماعي حيث يرى روسو أن حياة الفطرة تسبق قيام الجماعة، وأن الانتقال من حياة الفطرة إلى حياة الجماعة قد تم بناء على عقد اجتماعي بين الأفراد بقصد إقامة السلطة الجماعية. وهذه النظريات تمنح المجتمع الحق الكامل في عملية الحكم والسيادة بدون توجيه من جهة أعلى.

٣-النظرية الإسلامية:

تجمع النظرية الإسلامية بين المصدر الشرعي للحق السيادي من جهة، و"الرقابة الشعبية" الصارمة من جهة أخرى. وقد قدم كل من العلامة عبد الحميد متولى والعلامة عبد الرزاق السنهوري والدكتور توفيق الشاوي جهدا وافرا في شرح هذه النظرية، وهو ما يغنينا هنا عن التوسع في سردها. فضلا عن أننا في مجال الحديث عن الإعلام الدولي وعلاقته بالدفاع عن السيادة الوطنية.

وقد انتهى السنهوري إلى أن السيادة مرتبطة بموضوع السلطة التشريعية، والمتفق عليه في العصر الحاضر أن السيادة للأمة من الناحية النظرية على الأقل.

وإن السيادة في الإسلام لا يمكن لفرد مهما كانت مكانته (خليفة/ ملك /

---

١) زكريا سليمان، مؤلفات متعددة حول التاريخ الحديث والمعاصر.

رئيس) أو هيئة من أي نوع، وإنما هي لله الذي فوضها للأمة في مجموعها، والرئيس ليس ممثلا لله ولا للسلطة الإلهية، وإنما هو يمثل الأمة التي اختارته ويستمد منها سلطته المحدودة في المسائل التنفيذية أو القضائية، دون الناحية التشريعية" ([1])

المبحث الثاني: الإعلام والحفاظ على السيادة الوطنية

في هذا المبحث نناقش تطور تكنولوجيا الاتصال والإعلام الدولي وإمكاناته في دعم السيادة الوطنية على المستوى الداخلي والخارجي. ومتطلبات السيادة الإعلامية من قوى بشرية مدربة وتمويل كاف وتشريعات قانونية ملائمة في مناخ من الحريات العامة والإدارة السليمة، وامتلاك قواعد إنتاج إعلامي وامتلاك نظام للتأهيل والتدريب.وقبل ذلك امتلاك رؤية ومشروع وطني يراد له الانتشار العالمي.

أولا : التطور التكنولوجي والسيادة الوطنية :

يرى حسن نافعة " أن السيادة في القانون الدولي مرت بعدة مراحل فقد ظل القانون الدولي لفترة طويلة يعيش في (حالة الطبيعية) ثم انتقل إلى (حالة القانون) وذلك بعد الحرب العالمية الثانية ويدلل على ذلك بما يلي:

١-إقرار عدد متزايد من الدول بخطورة الاعتماد على القوة وحدها في تسيير الشؤون الدولية، والاتجاه المطرد نحو تحريم استخدامها وسيلة لحل المنازعات الدولية.

---

١) عبد الرزاق السنهوري، فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣) ص ٥٧-٥٨ (يلاحظ أن أول طبعة من هذا الكتاب كانت في ١٩٢٣ م

٢–تشابك وتداخل المصالح الدولية تحت ضغط التطور العلمي والتكنولوجي، وهو ما يعنى قبول متزايد لتضيق نطاق السيادة وإخضاع المفهوم لمتطلبات المصلحة المشتركة في السلم والأمن الدوليين.

٣– اقتناع متزايد من ناحية المنظمات الدولية ودورها في إدارة العلاقات والتوسع التدريجي في إنشاء هذه المنظمات وتزويدها بالسلطات والصلاحيات اللازمة لتمكينها من القيام بوظائفها المتنامية مثل: عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى، والأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية. والحديث عن مجلس الأمن باعتباره "حكومة عالمية مستقبلية" وأن تصبح "محكمة العدل الدولية " نواة لسلطة عالمية قضائية. واحتمال تطور "الجمعية العامة للأمم المتحدة" لتصبح برلمانا دوليا له سلطة تشريعية حقيقية تمارس دورا رقابيا في مرحلة ما. إلا أن الحرب الباردة أعاقت مثل هذه الطموحات الدولية.

وقد شهد العقد الأول من القرن الحادي والعشرين أحداث ١١ سبتمبر التي قلبت المفاهيم، وغيرت التوجهات وأصبحنا في مرحلة الحروب الاستباقية، والتدخل في شؤون الدول تحت ذرائع شتى.

ويعد تفكك الاتحاد السوفيتي (١٩٨٩) بداية حقيقية للقطبية الواحدة ونشأة المنظمات الدولية مثل المحكمة الجنائية الدولية والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، وكل ذلك أثر على مفهوم السيادة وممارسته. (١)

---

١) حسن نافعة، "المحكمة الجنائية الدولية: أداة لتطوير القانون الدولى أم لهدمه "في جريدة الحياة ١٨ مارس ٢٠٠٩ م عدد ١٦٧٨٤)

وينتقل أحمد يوسف بالنقاش حول العوامل التي تؤثر على السيادة الوطنية، فيضيف لتحول القطبية الثنائية قطبية أحادية ارتبطت بظاهرة العولمة، مما أدى إلى تأثيرات واضحة على مفهوم السيادة الوطنية،فكرا وممارسة، حتى وصل الجدل إلى سؤال: هل انتهت السيادة الوطنية وتلاشت أم لا تزال باقية؟

و ينتقد " يوسف" من يقولون بالإطلاقية كصفة للسيادة؛ إذ لم تكن سيادة الدول منذ القديم تتسم بالإطلاقية أصلا، وأنه علينا أن نتحلى بالموازنة بين إطلاق السيادة وإدراك حقيقة وجود قيود فعلية عليها.

ويفرق بين السيادة في وجهها الداخلي الذي قد لا يتأثر ببعض العوامل مثل الحروب الأهلية والتمرد والانشقاق؛ لأن هذه الأمور تعد استثناءات وبين التأثير على السيادة في بعدها الخارجي.

فأما الخلل في موازين القوى فهو تأثير ظاهر ومباشر ومثل ذلك ما يحدث في الحروب؛ فتوضع قيود عسكرية أو غير عسكرية على الدول المهزومة. كما أن الردع يكفي للحد من سيادة الدول الصغيرة التي تضطر للتكيف مع متطلبات الدول القوية.

الإعلام الدولي والسيادة:

يرى "أحمد يوسف" أن القيود على السيادة لا تقف عند حد الخلل في موازين القوى بين دول ضعيفة ودول كبرى، بل هناك مصادر أخرى للقيود على السيادة الخارجية منها الثورة التكنولوجية المتسارعة في وسائل الاتصال العامة والعابرة والعاجلة، وترتيبات التكامل الإقليمي والعالمي. ويكاد يكون هذا الرأي هو محور مناقشة تأثير الاتصال على موضوع السياسة، والملفت للنظر أن طرحه جاء من علماء السياسة قبل أن يقدمه خبراء الاتصال.

ويرى البعض " أن المتغير الذي يبدو أثره بالغا هو التطور التكنولوجي في ميدان الاتصال، فقد أحدثت هذه التقنية اختراقا خطرا لسيادة الدولة ويرى أن مصدر التهديد الكامن في الثورة التكنولوجية الاتصالية أخطر وأفدح من مصادر التهديد الأخرى".

فالدول التي تمتلك تكنولوجيا لاتصال المتقدمة، وقواعد الإنتاج الإعلامي، تستطيع اختراق الحدود المادية لأي دولة منافسة أو معادية في محاولة للوصول إلى عقول أبنائها لتغيير إدراكهم للأمور ومن ثم إمكانية التأثير على سلوكهم، وما يترتب على ذلك من إحداث اضطرابات ضد سلطة الدولة صاحبة السيادة.

وإذا كانت القيود على السيادة قد وجدت على مر التاريخ، فقد أضافت وراكمت الثورة التكنولوجية الاتصالية تأثيرات وقيودا نوعية على السيادة في ظل العولمة، مما زاد من وطأة القيود السابقة على السيادة. وهو تحول لا يمكن إنكاره أو تجاهله.

إن التحول إلى قرية إعلامية أدى إلى ظهور الاستبداد لصالح الأقوياء الذين يتحكمون في تدفق المعلومات على نحو يعزز الخلل في موزاين القوى المادية للدول. فالقيود قد تعززت على السيادة الوطنية بفعل الخلل في تدفق المعلومات. وكون الدول الصغيرة والضعيفة مجرد مستهلك سلبي لما يفرض عليها، وطالما بقي القطب الواحد يسعى لعولمة العالم سيظل تهديد السيادة قائما.

وإن التذرع بفرض الديمقوراطية، وحماية حقوق الإنسان، للحد من السيادة الوطنية، هو أسلوب أمريكي تغطيه فكرة العولمة ويظل الأمل معقودًا على الاتصال والإعلام للتخفيف من حدة القيود المفروضة على السيادة الوطنية، فهو الداء والدواء معًا.

إن الأزمات العالمية المالية والسياسية المتلاحقة، أدت إلى ارتفاع أصوات مثل الصين وروسيا وفرنسا لإقرار نظام عالمي جديد لا تنفرد فيه الولايات المتحدة وبعض حلفائها بالقرار الدولي يعدل ولو قليلا من الهيمنة لصالح الدول الأقل تقدما. ويفتح المجال أمام الإمكانات الاتصالية أن تدعم السيادة الوطنية الداخلية والخارجية.

والسؤال هنا: هل يمكن للقدرات الاتصالية التي حملت ظاهرة العولمة أن تُحدث قيودا على السيادة للدول ؟ أم هي وسيلة لتوسيع نطاق السيادة على أكثر من مجرد حدود القطر أو الدولة ؟

يبدو أن شيوع الاتصال الإليكتروني، وهيمنة الإعلام الكوني، والترابط الذي أحدثته تقنية الاتصال والمعلومات يمكن أن تؤدي مع قوة المنظمات الدولية إلى تراجع السيادة الوطنية وأغراء الدول الكبرى بالتدخل في شؤون الدول الصغرى ([1])

إن أحد السيناريوهات المستقبلية هو أن السيادة سوف تتقلص بشكل مطرد في المستقبل المنظور بسبب التطورات الاتصالية والعولمة، وفي ظل عوامل التكامل الإقليمي والعالمي. وأن هذه العوامل ما زالت فعالة ومؤثرة في بنية النظام الدولي في وضعه الراهن. ([2])

ومع ذلك فلا يجزم الباحثون بالقول إن مبدأ السيادة سوف يتلاشى نهائيا في الدول القومية.

ويقدم مُحَمَّد عابد الجابري رؤية لهذا الأمر فيقول: إن نهاية القرن التاسع

---

١) غسان الإمام: مقال في الشرق الأوسط ٢٠٠٩/٣/١٠ م

٢) ليلى حلاوة، مرجع سابق.

عشر شهدت صراعا بين المنتجين وقوى العمال في إطار الفعل ورد الفعل حيث انتصرت الطبقة العاملة وحصلت على حقوقها وتحسين أوضاعها. ويرى أنه ليس مستبعدا أن يكون رد الفعل على العولمة قويا إلى حد يخفف من أخطار العولمة وسلبياتها. وتحتفظ الدولة الوطنية بدورها في حماية أقاليمها وتوجيه اقتصادها والدفاع عن مصالحها ([1])

ومع ذلك ما يزال الباحثون يخشون من تهديد العولمة للحدود الجغرافية والثقافية وتهميش السيادة الوطنية في سبيل صنع المواطن العالمي الذي هو صورة للإنسان الجديد.

ويرى " جان فرانسوا بايار " مدير المركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا أن الدولة الوطنية ضحية العولمة. ولكن العولمة ليست في رأي البعض بلا منافع فقد حققت فرصا مهمة جدا للتقدم الاتصالي للمجتمعات ووسعت من إمكانات الحصول على المعلومات ([2])

ثانيا: الإعلام ومستقبل السيادة الوطنية:

يفترض الباحثون أربعة سيناريوهات لبقاء السيادة الوطنية وهي:

أ) **سيناريو اختفاء السيادة:** حيث يرى أنصار هذا الاتجاه أن الشركات متعددة الجنسيات ستحل محل الدولة، وهذا بدوره سوف يجعل من الدول كيانات أصغر في نظام عالمي تختفي بعده السيادة لتصبح الدول خادمة لصالح القوى المسيطرة.

---

١) محمد عابد الجابري، وضع جديد هل يستقر ويستمر؟ جريدة البلاد ٥ إبريل ٢٠٠٩م ص٧

٢) زياد بن عبد الله الدريس، مكانة السلطات الأوبة في عصر العولمة (بيروت::المؤسسة العربية للدراسات النشر،ط١ ٢٠٠٩م ص ٤٥،٤٤)

ويرى " برهان غليون " أن النقاش تجاوز مفهوم السيادة إلى مفهوم الشراكة بدلا من السيادة، ولم يعد هناك أمل – في عصر التفاعلات الدولية القوية الذي نعيشه – لأي شعب صغير في الاحتفاظ باستقلال قراره الوطني من خلال الدفاع الجامد عن المفاهيم القديمة في السيادة الوطنية وما تتطلبه من رفع جدران العزلة أو الاستعداد للانخراط في الحروب الدفاعية. إن الاحتفاظ بالحد الأدنى من الإرادة الحرة، والاستقلال يستدعي اليوم –بالعكس أكثر مما كان عليه الأمر في الماضي– الانتقال إلى مفهوم الشراكة.

ويقر عدد من الباحثين أنه بقدر ما ينجح شعب من الشعوب في التحول إلى شريك في تقرير المصير العالمي، يحظى بهامش من المبادرة والحرية يتيح له تكوين قرار وطني، بل تكوين رأي عام داخلي ولحمة وطنية جامعة. وأن الاحتفاظ بالحد الأدنى من الإرادة الحرة والاستقلال يستدعي اليوم الانتقال من مفهوم السيادة إلى مفهوم الشراكة. في قلب هذه السياسة التي تؤسس لمفهوم الشراكة العالمية يوجد مفهوم المسؤولية، وعلى درجة المسؤولية التي تظهرها النخب الحاكمة وعلى القدرة التي تبديها في جعل مصالح شعوبها في اتساق وتطابق مع مصالح المجموعة الدولية عموما والشعوب المحيطة بها بشكل خاص، يتوقف حظها في الحصول على موقع مرموق في هذه الشراكة.

ب) سيناريو استمرارية السيادة:

أنصار هذا السيناريو مازالوا يقولون باستمرار السيادة مع بعض التأثيرات الناتجة عن ظاهرة العولمة، مما يؤثر فقط في طبيعة الوظائف والأدوار التي تضطلع بها الدولة مقارنة بما كانت عليه في النظام التقليدي.

ج) سيناريو الحكومة العالمية:

يفترض أنصار هذا السيناريو أن مجلس الأمن يمكن أن يصبح حكومة عالمية، وتتنازل الدول عن سيادتها طواعية لصالح حكومة عالمية تنبثق من نظام عالمي ديموقراطي، وأن استمرارية العولمة تجعل من هذه الحكومة أمرا ممكنا. إلا أن هذا التصوير غير قابل للتحقق على الأقل في المدى المتطور.

د) سيناريو التفكيكية:

يرى أنصار هذا السيناريو أن الدولة القومية في طريقها للتفكك على أسس عرقية وطائفية ومناطقية، وأن الهويات الثقافية والدينية يمكن أن تدفع في اتجاه التفكيك إلى دويلات صغيرة ولكن هذا السيناريو يتجاهل قوى مضادة تقاوم بشكل قوى الانفصال.

وينتهي أحمد يوسف وليلى حلاوة إلى القول بأن " مبدأ السيادة دائم ومستمر، ولا يتغير ولكن صورة السيادة وحقيقتها والمسؤوليات التي تنهض بها تتغير مع الزمن ومع تطور العلم والتقنية.

والمهم هنا أن مبدأ السيادة يرتبط ارتباطا وثيقا من حيث طبيعتها ومدى اتساعها أو ضيق نطاقها بقدرات الدولة وإمكاناتها الذاتية، أي أن القوة باختصار شرط من شروط بقاء وممارسة السيادة والحفاظ عليها.

وإذا كنا نقر بأن الإعلام قوة فائقة تستخدمها الدول لفرض سيادتها داخليا وخارجيا، فإن تنمية القدرات الاتصالية يصبح أحد مقومات السيادة بمفهومها العام، وأحد العوامل التي يمكن أن تقوي الدول في ممارستها للسيادة، كما تقلل من الاختراق الذي يمكن أن يمارس من قوى كبرى ضد الدول الصغيرة والمتوسطة.

والسؤال هنا هل القدرات الإنتاجية للإعلام الوطني والقدرات التقنية والفكرية والأطر القانونية والمصالح الفردية والجماعية يمكن أن تتيح له العمل على الحفاظ على سيادة الدولة والثقافة في هذا المناخ المعقد ؟

الإجابة بشكل محدد ليست مع المفهوم الذاتي الذي يحقق مصلحة الدولة والثقافة بأية طريقة، فسيادة الدولة التقليدية مرهونة بقوتها الخشنة والناعمة، وسيادة الدولة الثقافية مرهونة بقدراتها الاتصالية، ورؤيتها الإعلامية ورؤيتها الإنسانية الخاصة للعالم ومدى فعاليتها في الإسهام في التراث الإنساني عبر الإعلام المنتشر والمتنوع والمتاح على نطاق عالمي الآن.

ولكن حتى لا نبسّط الموضوع المعقد، فإن الشبكة الدولية والتحالف بين المال والإعلام والسياسة يضع حدودا لفكرة السيادة والاستقلالية. ولذا فليس متاحا لدولة مثل مصر تحقيق أكبر قدر من السيادة والتأثير على النطاق الإقليمي والعالمي إلا بقدر قوتها السياسية والاقتصادية والثقافية، وهذا يتطلب رؤية جديدة وحشد كبير للإمكانات المادية والبشرية وراء هدف وطني موحد، ومناخ مواتي لهذا العمل، وتمتلك مصر من القدرات البشرية والثقافية والبنية الأساسية والإطار التشريعي ما يمكن الإعلام المصري العام والخاص من إستئناف دوره الحضاري وريادته المستحقة التي تبسط السيادة الثقافية لمصر على مستوى العالم بحكم عمق حضارتها وتصنع التقبل العام لها في المنطقة وفي العالم. وهذا ما سوف نناقشه في الفصل التالي.

المشروعات السياسية ذات البعد الدولي:

المشروع القومي العربي:

لابد من الإشارة إلى المشروعات الواقعية التي تحمل نزعة أممية تريد فرضها على أنصار ثقافات أخرى. ويمكن اعتبار مشروع جمال عبد الناصر في مصر ومشروع حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق وسوريا، ومشروع الثورة الإسلامية في إيران في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين نماذج تقرب فكرة المشروع الثقافي الذي يخدم السيادة الوطنية ويمثل خطوط دفاع متقدمة لحماية سيادتها الداخلية.

وتؤكد تجارب إنشاء الإذاعات الموجهة في مصر على حقيقة ارتباط مفهوم السيادة الوطنية بقدرة الدولة على إقناع الخارج بمشروعها وطموحاتها، فقد أنشئت بريكانيا إذاعات متعددة مثل "إذاعة مصر الحرة" التي كانت تهدف إلأى إثارة شعب مصر ضد الرئيس عبد الناصر بعد تأميم قناة السويس عام **١٩٥٦**. وهكذا أنشأت إذاعة الشرق الأدنى التي تحولت إلى إذاعة سرية تخدم العدوان الثلاثي على مصر. ([١])

المشروع الإيراني:

يرصد الباحثون استمرار التعصب القومي والمذهبي في إيران حتى بعد قيام الثورة الإسلامية**١٩٧٩**م حيث ورد علي لسان أحد قيادات الثورة من طلاب جامعة طهران، وهو مهاجري نجاد، في خطبة عامة " أن عمر الحضارة الإيرانية يمتد إلي ما قبل ثلاثة آلاف سنة، وأن الذين يريدون أن يتجاهلوا هذا التاريخ

---

١) بركات عبد العزيز محمد، الدعاية السياسية وقضايا الرأي العام، (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠٠٨) ص ٦٩

ويختصروه في ألف وأربعمائة سنة، وهو عمر الدعوة الإسلامية، إنما يريدون أن يسحقوا هويتنا وينهوا وجودنا ". كما أن دستور إيران الذي أقرته الثورة يؤكد بأن الإسلام هو دين الدولة علي المذهب الجعفري الإثنا عشري، وفي نفس الوقت أن يكون رئيس الدولة فارسيا، وهو أمر يستدل به البعض علي أنه تأكيد للبعد العرقي والمذهبي لهذه الثورة.

المشروع التركي:

"النموذج التركي" يطمح في أن يلعب دورا مؤثرا يخدم المصالح المشتركة للغرب والأتراك في المنطقة، ليقلل من الشعبية الجارفة للزعامات الشيعية. ولأن تركيا عضو في حلف شمال الأطلسي، وفيها قواعد عسكرية غربية. فإن النموذج التركي السني الطموح علي الساحة الشعبية العربية، يسعى لكي تتعلق به الآمال في التنمية والتحديث. ولا يكاد يجد معارضة من الغرب. وهو يستخدم ترسانة من القنوات والصحف والمواقع الإلكترونية لحمل خطاب أممي يحاول تعزيزه للدفاع عن مصالح تركيا.

هذه فقط نماذج لأفكار سياسية لها سياقات فكرية وأخرى واقعية تستخدم الغعلام الدولي في نشر رسالتها، والتبشير برؤيتها للعالم، تتمدد خارج جغرافيتها وتنشد السيادة الثقافية على المسرح الدولي.

هذه المشروعات تخضع للمصالح العليا لكل دولة، وليس هناك أحكام قيمية على هذه المشروعات لأننا بصدد توظيف الإعلام الدولي للحفاظ على السيادة بمفهومها الوطني والثقافي.

الفصل الخامس

الإعلام الدولي والحفاظ على الهوية الثقافية

المبحث الأول: تكنولوجيا الاتصال والهوية الثقافية

إذا كان العلماء مجمعون على خصوصية كل ثقافة وذاتيها واختلافها عن غيرها من الثقافات، فإن الثقافة العربية لها هذه الخصوصية الجامعة.كما أن الثقافة المصرية تتمتع بخاصية الانفتاح في دائرة الخصوصية العربية.

الثقافة تشكل مجموعة الأفكار والمفاهيم والرؤى التي ينطلق منها سلوك الإنسان في حياته. ويرى بعض العلماء أن أي تخلف في "عالم الأفكار والقيم " التي يؤمن بها الفرد . عن عالم الوسائل في منهج التطبيق، من شأنه أن ينحرف بثمرات الإبداع المادي عن كونها وسائل بناء وإعمار لحضارة إنسانية مستقرة وآمنة، إلى وسائل هدم وتدمير.

الهوية الثقافية:

يعرف قاموس لونجمان الهوية بأنها " الإحساس بأنفسنا وماضينا ومستقبلنا، وهو إحساس متواصل مستمر من مشاعرنا وأفكارنا، وإحساس بذاكرتنا وأهدافنا وقيامنا وتجاربنا التي تلائمنا والإحساس والفردية بالاستقلال ".([1])

والهوية هي: " القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات العامة التي تميز أمة عن غيرها والتي تسمح لشخص أن يتعرف على انتمائه إلى جماعة اجتماعية معينة والتماثل معها".

---

١) عبدالقادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ط٢ (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٣)

والإنسان يولد صفحة بيضاء، فيؤخذ منذ صغره برعاية أسرته ثم مؤسسات التنشئة والتثقيف الأخرى ومنها المساجد ومؤسسات التعليم وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقرؤة وغيرها من المنظمات المعنية بنقل التراث الثقافي للأجيال المقبلة، ويعد أي إخفاق في قيام هذه المنظمات بوظائفها سبباً من أسباب الاضطراب الثقافي الذي ينتج عنه انهيار في الحضارة. ولعل ماتشهده الحضارة ـ الآن من ضعف يعود إلى الإخفاق في عملية التثقيف التي تجعل الثقافة على تماس مباشر بالناس، وتوقد بينها وبينهم هذا التفاعل الحي كما يرى إبراهيم إمام.

وقد برز التليفزيون ـ باعتباره واحداً من أهم مخترعات القرن العشرين ـ من بين وسائل الإعلام في بث المعارف بشكل مشوق وجذاب، فأثار جدلاً واسعا ـ مازال قائماً ـ بن خبراء الإعلام وخبراء التربية حول ا لآثار التي يمكن أن يحدثها هذا الجهاز، فاتهم بعضهم هذا الجهاز بأنه مدرسة لتعليم الجريمة، وتقديم المتع السطحية، وأنه لايمكن الاعتماد عليه باعتباره وسيلة تثقيفية، غير أن بعض العلماء يؤكدون أن التخطيط السليم لاستخدام هذه الوسيلة يمكن أن يثرى معارف الإنسان وثقافته.

وقد أثبتت معظم الدراسات أن فئات الأطفال والشباب والنساء من أكثر الفئات الجماهيرية إنفاقاً لأوقات الفراغ في التعرض لما يقدم من خلال قنوات التليفزيون، وفيما يخص النشء والشباب، فلم يصل هؤلاء إلى مرحلة جيل التليفزيون إلا منذ مطلع الستينيات، فقد عاصروا هذا الجهاز الهام منذ ولادتهم.

وبالنظر إلى تطور تكنولوجيا الاتصال واستخدامها من قبل القوى العالمية الكبرى، عبر البث العام والعابر للثقافات لفرض ثقافات الأمم الأخرى على الشعوب التي لا تمتلك هذه التكنولوجيا، يصبح من أولويات البحث العلمي في مجال استخدام وسائل الإعلام وتأثراتها على المستوى الداخلي تحصين الشعوب ضد عمليات الاختراق الثقافي، والتصدي لدراسة هذه الوسائل في ضوء منهجية

علمية تهدف الى صياغة الشخصية العربية المثقفة القادرة على تحمل مسؤولية الحفاظ على الذاتية الثقافية. والقدرة على استيعاب المستجدات والاستجابة لها.

وتحدد ماري عبد المسيح([١]) العلاقة بين تكنولوجيا الاتصال والثقافة فيؤكد أن للصورة التكنولوجية والرقمية أثر على الحس المكاني والزماني الذي يشكل الكيان الذاتي والاجتماعي. ويرى أن التكنولوجيا الحديثة قدمت للثقافة منافذ للرؤية ومواقع مغايرة للتواجد في العالم عبر وسائط تمثيل متنوعة... وعملت على تغيير علاقة الذات بالآخر على المستويين الوجودي والاجتماعي وأزالت السياج الفاصل بين الثقافة العليا والثقافة الشعبية.. حيث شاركت شعوب وثقافات عدة في صياغة الثقافة مما أثار الاهتام بين الثقافي والسياسي. وتنتقل ماري عبدالمسيح للتأكيد على أهمية الشبكات الإعلامية الفضائية التي أتاحت للثقافات الإعلامية موقعا للتمثيل الذاتي ومنحتها أفقا لإعادة تشييد الهوية المحلية بالتفاعل مع الكائنات الجماعية غير المحلية.

أولاً: ماهية الثقافة Culture:

مفهوم كلمة " ثقافة " في اللغة العربية يقابله كلمة " Civilization" والتقدم Progress [٢]،فعلى مستوى الدراسات العربية، وضعت عدة تعريفات لكلمة ثقافة، ولكن عن طرق مختلفة، ومناهج متباينة"[٣]

والمعنى اللغوي لكلمة ثقافة..يدور حول الحذق والتهذيب. [٤] أما من أصل الكلمة " (Culture) في اللغات الأوربية " فترجع إلى معنى الزراعة في

---

١) ماري تريز عبد المسيح، الثقافة القومية بين العالمية والعولمة، مكتبة الاسرة، سلسلة العلوم الاجتماعية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩) ص ١٦٧

(٢) محي الدين صابر: قضايا الثقافة العربية المعاصرة (ليبيا: طرابلس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣)ص٧

(٣) مالك بن نبي: مشكلة الثقافة (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩) ص٢٤ ٠

(٤)مادة ثقف في كل من لسان العرب، ومعجم مقاييس اللغة ٠

أساسها، والمدنية أو الحضارة هي الصناعة في أساسها. ومن هنا يمكن تصور العلاقة بين الثقافة والحضارة، ذلك أن الحضارة عندما قامت قامت لم تقم من فراغ، وإنما قامت على أساس الثقافة"(١)

من أهم التعريفات الكلاسيكية للثقافة تعريف "تيلور" (E.G.Tuylor) الذي يرى أن "الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي تضمن المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق والقانون والعادة، وكل مايمكن أن يكتسبه الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع" ويذهب ماثيو أرنولد" (M.Arnlde) إلى أن الثقافة هي: محاولتنا الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن مافي الفكر الإنساني، ممايؤدي إلى رقي البشرية (..) والدين من العناصر التي استعان بها الإنسان في محاولته الوصول إلى الكمال" (٢)

يرى محمود شاكر أن " الثقافة لفظ جامع يقصد به الدلالة على شيئين بُنى أحدهما على الآخر، أي هما طوران متكاملان: الطور الأول: أصول ثابتة مكتسبة تنغرس في نفس الإنسان منذ مولده، ونشأته الأولى، حتى يشارف حد الإدارك البيّن، جماعها كل مايتلقها عن ابويه ومعلميه حتى يصبح قادراً على أن يستقل بنفسه وبعقله، وهذه الأصول ضرورية لكل حي ناشيء في مجتمع ما،لكي تكون له لغة يبين بها عن نفسه، ومعرفة تتيح له قسطاً من التفكير بعينه على معاشرة من نشأ بينهم،وهذه الأصول سر متغلغل في أعماق سرين عظيمين هما: سر النطق، وسر العقل، اللذان تميز بهما الإسان عن سائر المخلوقات من حوله".(٣)

---

(١) عبد الغني عبود: الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، ط١(القاهرة:دار الفكر العربي، ١٩٨١) ص٢٧ .

(٢) عبد الحليم عويس: ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة (القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦) ص١٦

(٣) محمود شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، كتاب الهلال (القاهرة: دار الهلال، ١٩٨٧) ص٢٧، ٢٨

أما القسم الثاني فهو " فروع منبثقة عن الأصول المكتسبة بالنشأة وهي تنبثق حين يخرج الفرد من...(الإطار الأول) إلى طلاقة التفكير " [1] ويقول إن " ثقافة كل أمة وكل لغة هي حصيلة ابنائها المثقفين بقدر مشترك من أصول وفروع كلها مغموس في الدين الملتقى عند النشأة، فهو (أي الدين) صاحب السلطان المطلق الحق على اللغة وعلى النفس وعلى العقل جميعاً" [2].

وأما وجهة نظر مفكري المسيحية واساقفتها في تحديد معنى "الثقافة". فقد جاء في المؤتمر العام الثالث لاسقفيات أمريكا اللاتينية والذي عقد بالمكسيك عام ١٩٧٩م اتفق الحاضرون على أن مصطلح الثقافة يعنى: الطريقة المحددة التي يقوم من خلالها البشر المنتمون إلى شعب معين بترسيخ علاقتهم بالطبيعة وببعضهم البعض وبالله، وبهذا المعنى فإن الثقافة تتسع لتشمل حياة الشعب بكاملها، فهي مجمل شبكة القيم التي تلهمهم، – أو القيم السلبية التي تعوق حركتهم – وبقدر مايشترك كافة الشعب في هذه القيم، فإنهم يتحدون معا على أساس من الوعي الجماعي[3].

ثانيا : قوة الثقافة الذاتية وحق الإنسان في الاتصال :

أ) حق الإنسان فى الاتصال والمعرفة:

نشر الإعلامي " Jean D.arcy " مقالا في مجلة اتحاد الإذاعات الأوربية في عددها (١١٨– عام ١٩٦٩م) حول فكرة الحق في الاتصال[4].

حيث قال: " سوف يأتي الوقت الذي لابد فيه للإعلان العالمي لحقوق

(١) المرجع نفسه، ص٢٨ .

(٢) المرجع نفسه، الموضع ذاته .

(3) **Philip lee (ed.). J communation for All: the church and the New Information order (New york: orbis Books. n.d) p.3.**

(٤) حمدي قنديل: ألجوانب الفلسفية والقانونية للحق في الاتصال " في: حق الاتصال (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢) ص٢٧ .

الإنسان من أن يشمل حقاً أكثر اتساعاً من حق الإنسان في الإعلام الذي ورد منذ واحد وعشرين عاماً مضت في المادة التاسعة عشرة. ذلك هو حق الإنسان في أن يتصل ".

ولكن تاريخ الإنسان على الأرض يثبت أنه مارس فكرة حق الانسان في الاتصال وإن لم يضعها في قوانين او أطر نظرية. فالأديان تواترت وقررت ضرورات لاتستقيم حياة الإنسان. بل ولا حياة كل المخلوقات. بدونها ". [1].

" فحق الاتصال منبثق من حق الإنسان أن يكون حراً قادراً على الاختيار للارتقاء بكيانه وإنسانيته، فإذا كان حق الوجود أو الحياة من الأمور التي لايجادل فيها البشر، لأنها. أي الحياة. منحة من الخالق، وهي ذاتها لايمكن أن يكون لها قوام إلا بعملية الاتصال مع الآخرين، يتحقق من خلالها استمرار الوجود الإنساني، وبقاء المجتمع، وبذلك فإن حق الاتصال وجه آخر لحق الوجود أو الحياة، فهو منحة من الله لايجب أن يتطاول عليها أحد من البشر، وأن أي عدوان على حق الاتصال هو اعتداء على حرمات الله، لايقل عن جرائم سلب الحياة ". [2]

ومن ثم فإن الحفاظ على الحق في الاتصال ليس مجرد حق للإنسان، بل هو واجب عليه أيضاً، لايجب أن يفرط فيه، لأن حق الإنسان في الاتصال ضرورة لابد منها،ومن تمتع الإنسان بها، وممارسته لها، كي يتحقق له المعنى الحقيقي للحياة" [3]

---

(١) (يأأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا...) الحجرات:من آية ١٣

(٢) صلاح عبد المتعال: " التنمية الثقافية بين اتصال المشاركة والإعلام الجماهيري "، بحث مقدم إلى الحلقة الدراسية الثالثة لبحوث الغعلام في مصر، في الفترة من ٣١.٢٨ مايو ١٩٨٣، (القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٣) ص ٢، ٣ .

(٣) محمد عمارة: الإسلام وحقوق الإنسان: ضرورات لا حقوق، عالم المعرفة (٨٩) (الكويت: الممجلس الوطني للثقفاة والفنون والآداب، ١٩٨٥، ص١٥ .

ب) تهديد الخصوصية الثقافية:

خضعت الثقافات في الشرق لحقبة استعمارية، فرضت سياسة تعليمية وتربوية على الشعوب تدعم بها وجود المستعمر من كافة الأوجه. ولا شك أن هذه السياسة قد نالت من القيم والمباديء الذاتية التي ظلت راسخة في هذه الشعوب، فحاصرتها هذه السياسة حتى باتت كطقوس شكلية، أو تقاليد شعبية، ولم يكتف المستعمر بما فعل بل درب كوادر شربت ثقافته التي ظلت تدعو لها وتروج لأهدافها حتى بعد رحيل المستعمر، وكانت حجتهم في ذلك ـ ومازالت ـ أنها الوسيلة المثلى للارتباط بالتيار الحضاري العالمي.

ج) التخريب الثقافي:

لم يكتف المستعمر بإهمال الثقافة الذاتية للشعوب التي خضعت له، بل عمد إلى التشكيك في الثوابت الدينية والتطاول على المقدسات بدعوى تحري النزاهة والموضوعية، والطعن كذلك في الحقائق التاريخية المتصلة بالحضارة الإسلامية تحت غطاء أوقناع النقد العلمي. وتشويه صورة المسلم في الكتب المدرسية، والروايات الشعبية، والوسائل الاعلامية وغيرها. وإثارة العديد من الأمور كحرية المرأة والانتشار بحد السيف وتشجيع الرق، وعدم وجود حرية في العقيدة، وأنه دين التطرف والإرهاب؛ بحيث بدأ الإسلام عدواً للغرب وحضارته وبشكل يوجب التصادم الحضاري. وأن المخرج في نظرهم من كل هذا هو فرض حضارتهم وثقافتهم بالقوة التي تصاحب قوتهم المادية، وحصروا تفاعل الشرق معهم في إطار أن يصبحوا تابعين من كافة الزوايا الحضارية.

لقد لعبت المواد الثقافية والإعلامية دورا كبيرا في نشر الثقافة الغربية، وتعميق الارتباط بها حتى أصبح المفكرون يعبرون عن هذه الحالة بـ "حالة الاختراق الثقافي".

ويمكن رصد حالة الاختراق الثقافي في عالمنا العربي عبر خمس مراحل هي:

المرحلة الأولى: التطلع للانتفاع المادي: حيث الانبهار بالماديات والتقدم المادي للآخر ومحاولة الأخذ منه وبخاصة في الصناعة والأدوات الحربية، وهذا حدث لمجتمعاتنا منذ فترة طويلة ويعد مشروع مُحَمَّد على في مصر بداية هذه المرحلة.

المرحلة الثانية:الانبهار بالعادات المادية: وفيها حدث الالتفات للعادات المادية الأجنبية في الملبس وطريقة المطعم والمشرب والأثاث، والأخذ منها وهذا يجرى الأخذ منه –للأسف– بدون أية ضوابط.ويعد مشروع رفاعة الطهطاوي علامة واضحة على هذه المرحلة.

المرحلة الثالثة: اقتباس المفردات الثقافية: وفيها حدث التنبه للمظاهر الثقافية المصاحبة للماديات، واقتباسها بوصفها من مظاهر التحضر (اللغة الأجنبية–أسلوب الإدارة – الترويح وسبل قضاء وقت الفراغ– العلاقات الدبلوماسية– العلاقات الاجتماعية –المعاملات المالية–طرق الاحتفال بأعياد الميلاد وأعياد أخرى وطرق تعامل الشباب في أماكن التجمعات – الفنون والإعلام).وهذا مشاهد وظاهر في حياة مجتمعاتنا الإسلامية. ويعد طلاب البعثات العلمية المظهر الذي تتجسد فيه هذه المرحلة.

المرحلة الرابعة:ما قبل الانهيار: وفيها حدث الإعجاب بالقيم الأخلاقية عند الآخر (الحرية الشخصية – الفردية – المصلحية – الاستقلالية..).والتسليم بصحتها أو عدم تصادمها مع ما لدينا من قيم، أو تحوير ما لدينا ليتوافق معها.(الاشتراكية الإسلامية/

الديموقراطية الإسلامية/الليبرالية الإسلامية).وهذه المرحلة – والحمد لله– لم تحدث بشكل كامل ونهائي للأمة الإسلامية، ولكنها امتدت في الفراغ الذي نتج عن ضعف تأثير المنظومة الفكرية الذاتية بالنسبة لبعض الأفراد.

المرحلة الخامسة:الانهيار الكامل:

وفي هذه المرحلة –التي لم تحدث حتى الآن– قد يخالج الفرد أو الجماعة شعور باعتبار العقائد والدين لدينا هو مصدر الضعف، وأن ما عند الآخر أفضل مما نحن عليه، وعندها تنهار منظومة القيم الدينية لدى الفرد، وإن لم يعلن عنها وقد لا يكون واعيا بها، ولكنها تصبح واضحة في آرائه واتجاهاته وسلوكه.ثم ما تلبث أن تتسع دوائرها لتعم المجتمع كله.وهذا لم يحدث إلا للبعض، وهم على كل حال أقلية محدودة.

ولابد من التأكيد هنا على أن مراحل الاختراق والهيمنة الثقافية لا تحدث فجأة، أو بشكل بسيط ولكنها تحدث وفق مسلك معقد يدخل فيه مدى التخطيط والاستهداف من الطرف الغالب، ومدى قوة المقاومة والمناعة الفكرية والقيمية للفرد وللمجتمع المغزو، ومدى اعتماد وسائل عامة أو خاصة سرية أو معلنة في تنفيذ المخططات الخارجية ومدى مشاركة أفراد من المجتمع المغزو في عملية الاستغزاء لمنظومتهم الذاتية.

ويكون علاج هذا الاختراق ورفع هذه التبعية والتخلص منها بعكس الطريقة التي وقعت بها، أي البدء بتخليص الفرد والمجتمع من الاعتقادات والقناعات الفكرية والنفسية المغايرة لثقافته، ثم إقناعه بالتخلي عن المفردات الثقافية والعادات المادية المقلدة، ثم بعد ذلك التخلي عن الماديات في آخر الطريق، بشرط إيجاد البديل الذاتي في كل هذه المجالات.

ثالثا : دور الإعلام في العودة للخصوصية الثقافية :

- الاتصال والثقافة: الصوت والصدى:

" أن الاتصال مهما كان محتواه يظل ذا طبيعة ثقافية سواء أكان الاتصال شخصيا أم جمعيا أم جماهيريا. ومن هنا فإن الاتصال يعد فى جانب أساسى منه ثقافة. وقد تباينت وسائل الاتصال بين المجتمعات القديمة لأسباب ثقافية. وقد اقرت منظمة اليونسكو حقيقة أن: الاتصال أحد العناصر المكونة للثقافة، لأنه مصدر تكوينها وعامل من عوامل اكتسابها وثرائها، وأنه يساعد على التعبير عنها ونشرها."([1]).

أما على صعيد الثقافة فإنها تنطوي على بعد اتصالي أساسي. فالثقافة لا تمنح وإنما تكتسب وهى لا تكتسب إلا من خلال الاتصال بين أفراد جماعة ما فى إطار مكاني وزماني معين. ولا يمكن للثقافة أن تستمر عبر الأجيال إلا من خلال قنوات اتصال تكفل تتابعها عبر الأجيال.

وعلى الرغم من الاعتراف بحقيقة العلاقة بين الاتصال والثقافة، إلا أن الاهتمام بالبعد الثقافى للأنشطة الإعلامية لم ينل الاهتمام الكافى من البحث العلمى فى مجال الاتصال إلا فى وقت متأخر نسبيا. وكان وراء هذا التطور العديد من العوامل منها:

- التطورات المتلاحقة فى صناعة الاتصال الجماهيرى والتى جعلت رسائله جزءا من الحياة اليومية لكل أفراد المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء، وقد صاحب ذلك العديد من الظواهر الاجتماعية والثقافية التى

---

(١) سعد لبيب، دراسات فى العمل التلفزيونى العربى (بغداد، مركز التوثيق الإعلامى لدول الخليج العربى، ١٩٨٤ ص٣٩

لفتت الأنظار إلى الأهمية الثقافية لهذه الوسائل الجماهيرية.

- تطور البحث العلمى فى مجال الاتصال الجماهيرى والذى أدى إلى تعدد مجالات البحث وطرق مجالات جديدة بفعل تطور مناهج البحث القادرة على دراسة العديد من الظواهر الاجتماعية وتراكم النتائج العلمية فى هذه المجالات.

- تزايد الأنشطة الإعلامية الدولية وهى أنشطة بطبيعتها عابرة للثقافات مما لفت الانظار بشدة إلى تاثير هذه الأنشطة فى المجتمعات المختلفة حيث بات من الواضح ان الرسائل الإعلامية الدولية تتدفق فى الغالب من الثقافة الغربية التى تمثلها الولايات المتحدة إلى بقية مناطق العالم مما أوجد صورا من معالم الثقافة الغربية أو الأمريكية فى النسيج الثقافى للمجتمعات النامية. هذه الظاهرة كثفت بشدة من أهمية دراسة التأثيرات الثقافية للاتصال عبر الثقافات. وعلى الرغم من أن المادة الإخبارية هى التى حظيت بالقدر الاكبر من الاهتمام، إلا أن البحوث فى هذا المجال بدأت تتطرق إلى تأثير الدراما العابرة للثقافات مثل السينما وبرامج التلفزيون، ثم اصبح الإعلان هو الآخر أحد المجالات التى تم من خلالها استقصاء التأثيرات الثقافية لمكون من مكونات الاتصال الجماهيرى سواء على المستوى الدولى أم على المستوى المحلى.

- إن تطوير الإعلام في المجتمع يحتاج إلى مناخ من الحرية، وإتاحة فرص الإبداع، وتأهيل الرجال المهنيين المختصين في إنتاج كل حاجات الوسائل من المادة الإعلامية، لكي نجمع الناس على مضمون يلبي احتياجاتهم من البرامج. وهذا المطلب لابد له من قواعد تنتج أساليب وأشكالا : تعيد صياغة البديل الإعلامي شكلا ومضمونا دون أن تقع فى حالات الانغلاق المعوّقة.

يرى يحي اليحياوي أنه " لا يوجد اتصال بدون إيديولوجيا، وفق ما تقدمه سوسيولوجيا الاتصال. ويرى أيضا أن معطيات تكنولوجيا الاتصال الحديثة تتضح في الطابع التوحيدي الذي تدفع به إيديولوجيا الاتصال لجعل الأفراد والمجتمعات كتلة موحدة منصهرة في فكر واحد وثقافة واحدة، كما أنها تمجد انتصار الليبرالية واقتصاد السوق في مركز العالم وفي أطرافه.

وبالنظر لضعف القدرات الاتصالية والثقافية للدول الضعيفة والهامشية، فإن سيادتها وثقافتها تظل موضع تهديد وعرضة للذوبان في ثقافة الأقوياء التي تحملها إمبراطويريات إعلامية كبرى.

هذه الإمبراطوريات الإعلامية ينطبق عليها ما ينطبق على مفهوم الإمبراطورية الاقتصادية او السياسية من حيث وجود " قطب وهوامش" وهذا لا يتحدد بامتلاك شركات عاملة في قطاع الإعلام والمعلومات والاتصال ممثلا في رأسمالها، أو من فروع تنتشر في معظم دول المعمورة، بل وأيضا قياسا إلى رقم أعمالها وترابطاتها الاستراتيجية، ومدى تمكنها من مستويات عليا في السياسة تجعل منها في المحصلة "دولة داخل الدولة". إنها بهذا تمثل تضييقا على حرية التعبير والتفكير والشريان الحر للمعلومات وتركز الإعلام في مجموعة محدودة من هذه الإمبراطوريات يمثل تهديدا لمبادئ التنوع والاختلاف، والتعد الثقافي مع استمرار خضوع هذه الإمبراطوريات للاعتبارات المالية والاقتصادية.([1])

ومما لا شك فيه أن ضرورة سعي المجتمعات العربية للتخلص من هذه المضار والمفاسد الثقافية تفرض أن يحدد أهلها لأنفسهم مفهوماً جديداً للثقافة، يكون ملائماً لمرحلة التصدع التي يجتازونها،ثم أن يعملوا قصارى جهدهم، ومن

١) يحي اليحياوي، أوراق في التكنولوجيا والإعلام والديمقراطية، ط١ (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٤) ص١١٥

خلال هذا المفهوم الثقافي الجديدعلى رفع التحديات الثقافية المختلفة التي أصبحت تواجههم.

ويؤكد د."زكريا سليمان" على أن استعادة الخصوصية الذاتية تستوجب تحديد مفهوم الذاتية الثقافية أو تحديد المنهج الذي تستلزمه الفترة بحيث يصبح منهجاً شاملاً، لايقف عند حد الذكريات والمعارف، ولايكون منهجاً دفاعياً جهادياً كرد فعل. وإنما يشمل الجانب البنائي العصري المشارك الذي يسهم في إطلاق قوى الإبداع واسباب الابتكار الذي يهدف إلى تحديد هوية الأمة المتجددة.

ويتضمن هذا المنهج المنشود أن يتولى الإعلام مهام التثقيف بترسيخ مفهوم التحرر الثقافي في العقول، سعياً لإيجاد قاعدة مؤيدة عربيا وغربياً وصولا إلى حق تقرير المصير ثقافياً إلى جانب ذلك سياسياً، وحتى يكون الحوار الحضاري الثقافي ذا نتائج حقيقية.

وكما بشر الإعلام بالعولمة فإن عليه أن يبشر بالعالمية التي تختلف عن العولمة المطروحة؛ لأن العولمة تسعى لاختراق خصوصيات الشعوب وإذابتها وجعلها في بوتقة واحدة،وهو أمر ترفضه ثوابت العالمية القائمة على التعددية كمظهر من مظاهر الجمال والجلال فالحديقة تزين بتعدد الزهور لا بوحدتها.

هذه المرحلة تفرض على الإعلام أن يكون إعلاما مسؤولا حقا عن عملية انتشال واسعة النطاق للعقول والقلوب الناشئة التي سلبتها سطوة الإعلام المفروض من قبل القوى العالمية.

إن برامج الإعلام الآن تكاد تعتمد كليا على البرامج المستوردة، أو تقليدها، دون النظر لمخاطرها. وإن مرحلة الضعف التي تعيشها الشعوب العربية تفرض على الإعلاميين استشعار مسئولية تجاه الجمهور وحمايته من الجهل والتضليل وصولا إلى

الإعلام الهادف الصالح،وإحياء الإرادة الواعية والنهوض والرقى بوظيفة الإعلام باعتباره سلاحا حضاريا يناسب مواجهة الهجمة الأجنبية على ثقافة الشعوب العربية من ناحية، وباعتباره بديلا مسؤولا وضروريا يستجيب لطموحهم في أن يكون لهم الحق في تلقى إعلام هادف وصادق من ناحية أخرى.

- نحو إعلام عصري محترف:

أصبح الأخذ بوسائل العصر من ضرورة وجود وسائل إعلام متعدد ومتطور من مستلزمات الحاضر والمستقبل. إن وسائل الإعلام المعاصرة من إذاعات وصحف ونشرات ودوريات وقنوات فضائية ومواقع تواصل اجتماعي ألزم لكل جوانب المشروع الحضاري سواء لمحاولة تصحيح مفاهيم غيرنا من اتباع الحضارات الأخرى، وبخاصة الحضارة الغربية، والسعي لتحويل الرأي العام المستنير فيها، أم لشحذ الرأي العام المحلي حول المعطيات الثقافية وغيرها.

إن الخيط دقيق بن التفاعل الضروري بين الثقافات، والانتقال اللازم للأفكار، وبين مايسمى تبعية فكرية وثقافية يسيطر فيها أحد الأطراف على أنماط وسلوكيات الفكر عند الطرف الآخر " [1]. بما يمثل هيمنة ثقافة على الثقافات الوطنية من خلال تملك هذه الثقافة لأدوات وأساليب تشكيل الفكر في الثقافات التي لاتمتلك هذه الأدوات.

وإن البث العام والعابر لكل الحدود الدولية، وما قدمته التقنية في ميدان الصراع الأيديولوجي ونشر المباديء الدينية فى هذه المرحلة من التاريخ الانسانى شئ لم يكن ليخطر ببال أى من المفكرين قبل بضعة سنوات.

---

(١) محمود المراغي، نملك الأدوات ويستخدمها النخرون " ص ٨٠ . ٨١، في: مجلة العربي، العدد ٣٠٧ يونيو ١٩٨٤، (الكويت) ٠

ويؤكد علماء الاجتماع والاتصال على" أن وسائل الاتصال السريعة والآنية التي عبرت الحدود والقيود، برسائلها ومضامينها من أي مجتمع إلى مجتمع آخر، وأن الارسال والاستقبال بالأقمار الصناعية يجعل من الحدود السياسية ومن وسائل الرقابة التقليدية أدوات بدائية عديمة الكفاءة، وقليلة الفاعلية، في منع أو تحصين الفرد والمجتمع ضد استقبال محتويات الرسائل الإعلامية والثقافية الوافدة من مجتمعات وثقافات أخرى "[1].

أما الحلول العلمية التي يمكن الاستناد إليها في التعامل مع البث المفروض على الشعوب من هذه البدائل " تحسين الخدمات الإعلامية المحلية، ومحاولة خلق الموطن الواعي الذي ينتقي مايتعرض له بوازع من دينه حتى يكون الدافع قوياً للأخذ والترك" [2] إلا أن سعد الدين إبراهيم مع دعوته إلى تقديم بدائل محلية أكثر جاذبية ومصداقية يرى أن هذه مهام تتجاوز قدرات أنظمة التعليم والإعلام والثقافة وهكذا يكون التحدي المعاصر، ويتساءل ماذا أعددنا للتعامل معه؟" بعد أن " استطاع التليفزيون من خلال الآثار " الأيديولوجية " أن يعيد تشكيل هياكل السيطرة في المجتمعات المعاصرة "[3]

إن الثقافة الذاتية من غير إعلام، تصبح دائرة مغلقة لاتؤثر ولا تتأثر بغيرها من الثقافات، بل يصعب سريانها في نفوس معتنقيها بالإعلام من غير محتوى ثقافي يصير بوقاً فارغاً لاقيمة له، ويؤكد أحد خبراء الاتصال " أنه لايمكن تصور الثقافة بدون تعبير أو إبلاغ إذ لا حظ لأي ثقافة من الوجود إذا لم تعضدها

---

(١) سعد الدين إبارهيم " العالم في التسعينات " مقال بجريدة الجمهورية، نوفمبر ١٩٨٩م، ص٥ .

(٢) انشراح الشال: المرجع السابق ذاته، الموضع نفسه .

(٣)سعد الدين إبراهيم:مرجع سابق، الموضع نفسه .

(3) **conrad Lodziak. – the power of Television Acrotocal Appraisal (London: Frances pinter " publishers ". n. d) p. 42.**

أجهزة الإعلام، ولم تعرف بما اهتدت إليه من وجوه الخلق والإبداع، كما أنه لاسبيل أمام أجهزة الإعلام إلى النجاح بدون زاد ثقافي يشد اهتمام الجمهور إليها، ويسمح لها بإبلاغ رسالتها في مختلف المجالات (١)

فلا نقع لثقافة بدون إعلام ولا قيمة لاعلام لاتشكل الثقافة مضمونة، وقد تطورت وسائل الإعلام، وتنوعت إلى أن صبحت الآن تسيطر سيطرة كلية على ميادين المعرفة واستمدت هذه الوسائل قوتها من الرقي الحضاري والتقدم التكنولوجي ن ويطالب أحد علماء الاجتماع (٢) بضرورة الاهتمام بالثقافة الجماهيرية التي طورتها وسائل الاتصال إلى حد أصبح من المعتاد معه اعتبارها موضوع اختصاص متميز " ولكن ماهذه الوظيفة الثقافية التي يمكن للإعلام بوسائله تقديمها للمجتمع ؟

-التحصين الثقافي في مواجهة الإعلام الغازي:

وظيفة التثقيف التي تضطلع بها وسائل الإعلام " تتعلق بنشر المعرفة على أساس تفتيح الأذهان، وتكوين الشخصية، وشحذ الكفاءات وتنمية الذوق وتمكين الإنسان على مدى العمر من المحافظة على مقدرته في استيعاب كل ماينمي طاقاته، ويوسع آفاقه ويشبع تطلعه الخير والجمال (٣)

وتبدأ هذه الوظيفة مبكراً بحيث يؤخذ بها لافرد منذ طفولته، ليس بمجرد المعرفة الثقافية " إنما يجب أن تقدم الثقافة بالأسلوب الذي قرره القرآن الكريم وعبر عنه بـ " الإيمان " أو "الاقتناع" الذي ينتهي بدوره إلى تكوين " الضمير

---

(١) مصطفى المصمودي: " وظائف أجهزة الإعلام ووظائف أجهزة الثقافة، في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. التكامل بين أجهزة الإعلام وبين أجهزة الثقافة (تونس. المنظمة، ١٩٨٤)، ص٥٦ ٠

(٢) الطاهر لبيب: سوسنيولوجيا الثقافة، ط٣ (اللاذقية: دارالحوار للنشر والتوزيع، ١٩٨٧) ص٥ ٠

(٣) مصطفى المصمودي: مرجع سابق، ص٦١ ٠

الديني " الذي يكون مرجع الإنسان في التصرف، إذ يراقب الله فيما يأخذ ومايدع، وهذا هو الفرق بين التعليم والتثقيف "[1]

ويتصل بالوظيفة الثقافية على صعيد وسائل الاعلام العربية . ومنها مصر . مايلاحظ من احتلال الوظيفة التثقيفية في العقد الأخير مكانة متزايدة في حصصها الإذاعية والتليفزيونية، والصحافة وألوان الدراسات المتنوعة، إلا أن التركيز أنصب في معظمه علىإبراز طابع الثقافة الوطنية في كل قطر، أكثر مما تركز على مضمون الثقافة الذاتية، ثقافة الأمة كلها " وهوية الأمة، وقدرتها على الخلق والعطاء، وهي بكل المقاييس أعلى الثقافات عمقاً وأقواها مركزاً "[2]

وتستطيع وسائل الإعلام أن تقوم بالحفاظ على ثقافة المجتمع التي هي مجموعة السمات المادية والفكرية والروحية المميزة لها " من خلال الكتب وشرائط التسجيل الإذاعي والتليفزيوني والسينمائي التي تحفظ مادة الثقافة، تمثل الذاكرة الجماعية للتراث الثقافي وخصائصه في كل مرحلة زمنية" [3]

ولا تكتفي وسائل الإعلام بمجرد حفظ التراث الثقافي بل إن وظيفة نقل التراث من جيل إلى جيل، والمساعدة على تنشئة الجبل الجديد وتربيته، تأتي على رأس المهام التي تقوم بها وسائل الإعلام والاتصال في المجتمع، بل إن فريقاً من الباحثين، يؤكد أن هذه الوسائل بوظيفتها الثقافية ذات دور مركزي في

---

(١) مصر، مجلس الشورى، نحو سياسة ثقافية للإنسان المصرى، مرجع سابق، ص٣٨ .

(٢) المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم: ورقة بعنوان: من أجل استراتيجية ثقافية إسلامية (المغرب: ايسيسكو، ١٩٨٧) ص٨ .

(٣) محمد مصالحة: دراسات في الاعلام العربي، السلسلة الإعلامية (٣) (بغداد: مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي، ١٩٨٤) ص٦٤ .

التغيير الحضاري للأمة " [1] وذلك لما تتمتع به من خصائص لها أهميتها في عملية التثقيف، منها: أنها غير شخصية، وأنها تعكس جوانب متنوعة من الثقافة وأن أثرها يزداد تعاظما وأهمية في المجتمع الحديث[2] وعلى المستوى الأفقي تخدم وسائل الإعلام بعض الأهداف ا لاجتماعية الثقافية لأنها تقرب بين الناس وتوثق علاقاتهم، وتساعد على تنشئتهم اجتماعياً بتعويدهم على انماط السلوك المقبولة"[3].

المبحث الثاني: الاتصال والتعارف الثقافي

أولا : زوال الجهل بالآخر :

على الرغم مما يسود نظرة الشعوب في دول الهامش من تشاؤم تجاه تعديل الأوضاع المختلة في العلاقات الدولية، فقد أدت عوامل كثيرة إلى زوال الجهل المتبادل بالآخر على مستوى العالم..كما أن الحواجز بين الشعوب والثقافات سقطت.وصار الناس في أجزاء مختلفة من العالم يتعرفون على بعضهم فيكتشفون أوجه الاختلاف والاتفاق.

ويرى المختصون ان هناك الإحساس المتبادل بين المجتمعات الإنسانية بوجود أخطار مشتركة على العالم كله.تتجاوز حدود الثقافات، والعقائد الدينية، والقوميات. مثل العنف في العالم، ونفاد الموارد خصوصاً المياه، وتدمير البيئة نتيجة الإسراف في التصنيع "([4]).

---

(١) الجامعة العربية / الأمانة العامة، الادارة ا لعامة للاعلام، وسائل الاعلام والتنمية في البلاد العربية، بيان ندوة الحمامات، ٣٠مارس. ١ إبريل١٩٨٢ م تونس ٠

(٢) حامد عبد السلام زهران:علم النفس الاجتماعي، ط٥ (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤) ص٢٥١ ٠

(٣) جيهان رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨) ص٣٠٩ ٠

٤) أحمد كما ل أبو المجد: الاتجاه إلى حوار إسلامي غربي. جريدة الحياة، الجمعة ٢١، مارس ١٩٩٧م، ص ١٨.

فالنمو المتصاعد للثقل النوعي للبلدان النامية في الاقتصاد العالمي، وفي السياسة الدولية ونهضتها الثقافية التجديدية.سواء المرتبطة بتعرفها خصائص الثقافة العالمية وقيمها.أو بتنشيط التراث الثقافي التقليدي لهذه البلدان وإحيائه مجدداً، والتأثيرات المتسارعة لمنجزات الثورة العلمية التقنية.

وعمليات الهجرة إلى قارات ومجتمعات أخرى، وتطور وسائل المعلومات، والاتصال الجماهيري.والسياحة العامة على نطاق جماهيري. كل هذه المعطيات غيرت وجه العالم، وغيرت رؤية الناس وإدراكهم لهذا العالم الجديد أيضاً.

وبالإضافة إلى ذلك.فإن تطور العلم الذي اسهمت فيه العلوم الإنسانية إسهاما كبيراً خاصة في ميادين: التاريخ، والاثنوغرافيا، والانتروبولوجيا، وعلم النفس. أغنى كثيراً الرصد العقلي للإنسانية جمعاء. بحيث ساعد بدوره على تكون نمط جديد من التفكير، وظهور أساليب وطرق متجددة مبدعة في دراسة الكون ومشكلاته العامة من زاوية إنسانية شمولية([1]).

-دواعي الاهتمام بقضية التعارف بين الثقافات:

إن الاهتمام العالمي بالاتصال بين الثقافات ينبع من افتراضين:

الأول: إننا نعيش في عصر يشهد تغيرات في التقنية والسفر ونظم الاقتصاد والسياسة وأنماط الهجرة والكثافة السكانية، مما يخلق عالما يكون فيه التفاعل بين أناس من ثقافات مختلفة. وبغض النظر عن قبول أو عدم قبول هذه التغيرات فإنها مستمرة في التكرار والشدة. كما يرى (Huston Smith):" حين يعود المؤرخون للقرن الماضي فسوف يتذكرونه ليس لأنه اتاح حرية السفر بالطائرات، او انطلاق القوة النووية بل سيرونه من منظور اهتمام كل فرد بالآخر بشكل جاد".

---

١) إليكس جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ص ١٨ عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٦م.

الثاني: أكثر فأكثر يزداد الناس وعيا بأن الثقافة تؤثر على الاتصال بطرق معقدة ودقيقة، وإن خلفياتهم الثقافية وخبراتهم تساعدهم في تحديد كيف ينظرون للعالم وكيف يتفاعلون مع هذا العالم".

تحدي الاتصال بين الثقافات:

يقول: (Piceolyer) أنه بشكل ما فإن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م مهدت لمعرفة أننا نعيش جيران حتى لو أن المسافات والاختلافات ظلت قائمة. ويرى (كونفشيوس) أن البشر يتجهون إلى التقارب معا بطبيعتهم المشتركة، لكن العادات والتقاليد تجعلهم متباعدين".

أننا نعيش في عصر يجعل كل الناس على الأرض – بغض النظر عن خلفياتهم وثقافاتهم– مترابطين معا، بعض الارتباطات قد تكون واضحة كالتعامل مع الجيران الذين يتكلمون لغة أخرى، او شركاء في العمل. والبعض الآخر من الصلات دقيق ومعقد مثل نهوض الاقتصاد الصيني أو البرنامج النووي لكوريا الشمالية وهذا له تداعي على السوق العالمي والأمن العالمي".

ولأن معظم الاتجاهات والمعتقدات والقيم المعتبرة والسلوك مغروسة في الثقافة، فإنه علينا أن نفهم أن الخبرات الثقافية تساعد في شرح الطرق التي بها يدرك الناس العالم من حولهم، ويتصرفون في معيشتهم في هذا العالم.

إن ظهور الدين الإسلامي كان منعطفاً تاريخياً في حياة الناس جميعاً، وتحولاً حضارياً متميزاً في نهج حياتهم وتعاملهم. فقد تحول الخطاب فيه من قومية الأديان، ومحدودية مقاصدها، إلى العالمية، ومن عزلة المجتمعات البشرية، وتضادها، وتصارعها إلى وحدة الأسرة البشرية، وتعاون مجتمعاتها، حيث سمع الناس لأول مرة في تاريخهم الإنساني. فكرة " المجتمع الإنساني الواحد "كما

سمعوا أيضاً لأول مرة فكرة التعايش السلمي بينهم. من غير تمايز بينهم على اختلاف أقوامهم، وأجناسهم، وأعراقهم، وأديانهم، وأوطانهم.

ثانيا : الإعلام وحوار الأديَان والثقافَات :

أ) ضرورات الحوار الثقافي :

إن البحث عن دور الإعلام في دعم الحوار داخليا وخارجيا ينبع من المعطيات التي تثير القلق حول مجمل رصيد العلاقات الإنسانية المعاصرة، حيث تُطرح أفكار متضاربة من مختلف التيارات والثقافات، وأمام هذه التوجهات تبرز دعوات للحوار بين الأديان والثقافات والحضارات، في محاولة للعودة إلى الميراث الأخلاقي، وإعادة الفهم الصحيح لحجم ودور الإنسان تجاه حقائق الحياة والكون والطبيعة.

وبعيدا عن المتشككين في " فكرة الحوار " واستخدام القوى الكبرى لها من أجل الهيمنة الثقافية، وبين من استسلموا لتيار العولمة، يسعى فريق ثالث للبحث عن إطار يسهم في تحقيق أكبر قدر من الأمن والطمأنينة للإنسان، وهو ما يراه العقلاء في مبادرات الحوار مع الآخر أو "حوار الحضارات " أو "حوار الثقافات "وهو المصطلح الأدق من وجهة نظرنا.

إن ما تقدمه (منظمة اليونسكو) في مجال "التعارف الثقافي" بين الحضارات المختلفة، ودعمها لمختلف الأمم للانخراط في نهضة ثقافية تجديدية، وتنشيط تراثها الثقافي الذاتي وإحيائه مجدداً، ومحاولة التعرف على القيم العالمية المشتركة.جهود مهمة تحتاج إلى مزيد.

ونحن نتفق مع "طوني بلير" الذي يؤكد على تنامي دور "الأديان" وتنامي دور الثقافة في مجمل التفاعلات الإنسانية وفي تغيير نمط حياتنا إلى الأفضل.

وتسارع وتيرة عمليات التواصل الاجتماعي عبر الثقافات. فلابد من اتخاذ الخطوات السياسية والاقتصادية والثقافية محليا وعالميا من أجل حل الصراعات المتفاقمة وإزالة حالات الاحتقان الديني والفكري والثقافي بين الحضارات.

إن الموقف من "عالم المفاهيم" وثيق الصلة بحوار الأديان وحوار الثقافات، لأنه مرتبط بالاستراتيجيات الثقافية والحضارية للأمم والشعوب. والمفاهيم الحضارية الكلية مثل الدين والثقافة.. توجد في كافة الحضارات، ولا يدعي شعب أو أمة أنها صاحبة الفضل في صياغتها، لأنها مفاهيم مشتركة، مرتبطة بعناصر التفاعل الحضاري عبر التاريخ الإنساني.

يرى سيف عبد الفتاح "أن عالم المفاهيم يمكن أن تحتله حضارة مهيمنة فتفرض مفهوما حضاريا وتحميه وتفرض تداوله على بقية الحضارات. ولذا فإن من معوقات الحوار بين الثقافات أن تحتكر حضارة معينة "عالم المفاهيم" لأنها بذلك تحتل العقل والوعي، وتفرض هيمنة ثقافية على حضارات أخرى". ويبرز السؤال: هل يمكن لنا توظيف هذه المفاهيم الكلية في الحضارات المختلفة من أجل زيادة المشترك الإنساني ومصالح الجماعة الإنسانية؟

مفهوم " الدين " له معنيان، أحدهما: هذه الحالة النفسية التي يسميها العلماء " التديُّن " وهو كسب إنساني في تكييف الحياة بتعاليم الدين، ويتصف بالمحدودية والنسبية. والآخر هو تلك الحقيقة الخارجية، التي يمكن الرجوع إليها ومعناها " جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم، اعتقاداً أو عملاً". وتختلف نظرة كل حضارة لمفهوم "الدين" ففي حين يشكل الدين نظرة شمولية للحياة لدى بعض الحضارات التي ترى في الدين أصل هام للحضارة، تنظر حضارات أخرى للدين على أنه "مجرد خرافة ". وفي حضارات ثالثة نجد علاقة متوترة بين الدين والحضارة. هذه التصورات المختلفة تشكل أساس في التكوين الثقافي للعقل في هذه الحضارات.

ب) حوار الأديان: الأهداف والنتائج:

إن موضوع الحوار بين أتباع الأديان موضوع قديم قدم الأديان ذاتها، وإن أهداف الحوار بين أتباع الأديان متعددة، وأطراف هذا الحوار متباينة، وزوايا النظر للموضوع في الغالب متعارضة.

أهداف الحوار بين الأديان:

أهداف الحوار بين أتباع الأديان هي: إما بحث عن تفاهم متبادل، أو تعارف ثقافي وحضاري، وإما بحث عن المشترك من القيم المتفق عليها في أصول الأديان، أو تبني مواقف مشتركة من قضية معينة. أو أهداف ذات أغراض سياسية.

وأما أطراف الحوار بين أتباع الأديان فهي: إما أطراف تدين بدين سماوي (الإسلام والمسيحية واليهودية) أو أطراف لها شبهة كتاب سماوي كالمجوس، وأديان أخرى كالهندوكية والبوذية وغيرها.

وقد تركز مضمون حوار الأديان وقضاياه على استدعاء تجارب روحية، أو استحضار تجارب تاريخية، والاحتكام لنصوص مقدسة، أو قيم مجردة، وأخيرا يُستدعى الدين كسلوك وتفاعلات في الحياة اليومية.

التجارب السابقة لحوار الأديان:

وقد جرت حوارات بين أتباع الأديان على مستويات وطنية وإقليمية ودولية. مثل تجربة الفريق العربي الإسلامي– المسيحي للحوار. وأما على المستوى العالمي هناك تجربة " المنتدى العالمي للدين والسلام" (WCRP). وعلى مستوى أوربا وأمريكا هناك تجربة المجلس العالمي للمسيحيين واليهود (ICCJ) فيما يسمى:(المنتدى الإبراهيمي).

وهناك تجارب أكثر تجريدا مثل "جمعية التسلح الخلقي" في أوربا. وهناك تجربة الفريق العربي للحوار الإسلامي – المسيحي الذي تأسس عام ١٩٩٥م في بيروت بدعوة من مجلس كنائس الشرق الأوسط، ويسعى لمواجهة الأخطار المشتركة، ويجعل من قضية القدس ملتقى للمتحاورين. وحديثا تشكل الحوار العربي – الأوربي الشعبي: بعد حرب الخليج الأولى والثانية ودخول قوات التحالف إلى المنطقة العربية ويدور بين المهاجرين العرب وبين أطراف أوربية.

- عقبات في طريق حوار الأديان:

بعد أكثر من خمسة عقود على حوار الأديان، يلاحظ الباحثون على التجارب السابقة لحوار الأديان أنها تفتقر للرؤية الواضحة، وتركز على حوارات نخبوية في مجملها، ضيقة في منطلقاتها، محدودة في تأثيراتها، تأتي كرد فعل لأزمات معينة، ولا توجد فيها مرجعيات متفق عليها يرجع إليها المتحاورون. وهي تجارب لا تتسم بالاستمرارية، كما أنها تفتقر لقوة التأييد الرسمي من الدول والمنظمات ذات الثقل في العالم، ولا تحظى بتأييد الرأي العام لدى غالبية الشعوب.

وهنا ياتي دور الإعلام الدولي في توسيع دوائر الحوار بين أنصار الأديان المتجاورة في وطن واحد أو المتفاعلة في دول متعددة.

إن صعوبة الحوار بين الأديان تنبع من موقف أنصار كل دين من مسألة " التعددية الدينية" فهناك النهج الإقصائي الذي ينظر من خلاله أتباع كل دين لغيرهم على أنهم غير مؤمنين، وكافة الأديان تؤمن بهذا. وهناك النهج التعددي، الذي يقوم على مقولة "كل امرئ على دينه"، ونهج شامل يسير بين النهجين السابقين.

ولابد من ملاحظة أن النهج الإقصائي يعني التزام كل طرف بأصل دينه وقيمه وأخلاقه. ويشمل فقط الجانب الإيماني الغيبي (التصديقي). أما التعددية

بمعناها الثقافي والسياسي والاجتماعي فممكنة، كما أن فكرة الحوار تنطوي على تنازلات معينة،؛ ولذا فمن الصعب تصور حوار بين الأديان شامل ومتكامل بدون عوائق. ولذلك يكون الحوار بين الثقافات أوسع نطاقا وأعمق أبعادً وأقل تعثرا.

يقرر عدد من الباحثين " أننا في مرحلة تشهد إعادة النظر والمراجعة لمستقبل الهويات القومية والثقافات القومية، وإعادة التفكير في أفكار الحداثة والدين والتاريخ والعالم من منظور العولمة".

ولعل "مفهوم الثقافة" من أكثر المفاهيم تعقيدا، وبشكل عام فإن الثقافة هي:" المنهجية في مباشرة الحياة فكراً وسلوكاً، وتتكوَّن الثقافة بعامل أساسي هو " العامل الإيديولوجي"، الذي يتمثَّل في الصور التصديقية (الإيمانية) المتعلقة بالوجود والكون والحياة".

ثالثا" الإعلام الدولي وحوار الأديان:

إن للمفاهيم وظائف عملية داخليا وخارجيا، ولقد جرى توظيف " الدين" في حروب وصراعات نتج عنها أزمات ثقافية وحضارية، حدث ذلك في أماكن مختلفة من العالم. ويفرق نبيل عبد الفتاح بين أدوار للدين في النزاعات الدولية وبين ما يسمونه "حروب دينية". فالأديان باعتبارها بِنَي اعتقادية وقيمية، لا تتقاتل فيما بينها، ولكن البشر هم من يذهبون للحرب مستخدمين الدين غطاء لمصالح معينة. حتى الحروب الصليبية، كانت تعبيرا عن مصالح معينة، أكثر من كونها حربا بين الإسلام والمسيحية.

إن التعددية الدينية بمعناها الاجتماعي– الثقافي، أي قدرة أنصار الأديان المختلفة على العيش في بقعة جغرافية واحدة "جنبا إلى جنب" لها تطبيقات في

التاريخ والواقع، وليست مسألة مستحدثة، وإن كانت تشكل قضية حديثة لبعض الحضارات.

وقد أدرك أنصار الثقافات المخلتفة أهمية التوجه بخطاب ديني على مستوى عالمي، فظهرت الفضائيات ذات المضمامين الدينية، وظهرت المواقع الإلكترونية التي تبشر بأفكار الديانات المختلفة إضافة إلى الكم الكبير من الإذاعات الموجهة لأغراض دينية.

رابعا : هل يمكن فرض ثقافة عالمية موحدة ؟

يؤمن "وولف هانرز" بوجود ثقافة عالمية يُروَّج لها بصورة أفضل من خلال نظام التنوع، لا من خلال تكرار النسخ المتماثلة، وتتخلَّق هذه الثقافة من خلال الاتصال المتبادل والمتزايد بين الثقافات المحلية المتنوعة، وهذه كلها ستغدو "ثقافات فرعية" داخل الثقافة الأكثر اتساعا(الثقافة العالمية الموحَّدة) ومن ثم يغدو العالم –بشكل متصاعد– كونا عالميا للتواصل والتبادل الثقافي المستمر. سواء بمساعدة العلم وتكنولوجيا الاتصال التي تحولنا إلى عالم واحد: عالم سياسي واحد، عالم اقتصادي واحد، عالم ثقافي واحد...وإن لم نصل لتحقيق ذلك بعد ولكن المستقبل يلوح أمامنا بوضوح. أو بتحرك الجماعات من خلال مراحل متوازية، فإننا نصل في النهاية للنتيجة ذاتها: نتجه نحو عالم واحد، ونصل بالضرورة إلى ثقافة عالمية واحدة".

ولكن هناك من يرى:" أن الثقافة كانت دائما سلاحاً للأقوى". ومن حسن الحظ أن للضعفاء أن يتلمسوا المشروعية من أجل مقاومة عمليات المصادرة الجديدة والمختلفة،.ولكنها معركة غير متكافئة بالتأكيد".ويرى فريق من الباحثين الأوربيين أن:"الكلام عن تولُّد ثقافة عالمية موحدة يُعد تنظيرا إثنيا يسير مع فكرة " المركزية الأوربية" كما يكشف عن نظم التفكير القديمة لفرض نموذج

الاستعمار بصيغ جديدة.

وينتهي كنج وزملاؤه إلى أن" الثقافة تعد انعكاسا لعلاقات القوى غير المتكافئة والمتفاعلة في ميدان الأيدلوجيا". ويقدم "وولف هانرز" بديلا لنموذج التجانس العالمي وهو نموذج "التركيب والتبادل" ويراهن على قدرة التدفقات الثقافية المتبادلة على الحد من نزعة "المركزية المهيمنة"التي تجعل النظام العالمي مخترقا في اتجاه واحد من المركز إلى الهامش، ومن القوى للضعيف.

ويرى محمود شاكر أن الثقافات المختلفة يمكن أن تتناظر أو تتنافر أو تتصارع. ومع ذلك لا تتداخل الثقافات المختلفة لتفضي في النهاية إلى "ثقافة عالمية واحدة" تتلاشى فيها ذاتية كل ثقافة. ذلك لأن ثقافة كل أمة، هي مجموعة السمات التي تميزها عن غيرها. ونعتقد –كذلك– أنه بقدر ما تتمايز هذه الثقافات– والتمايز لا يعني الصدام – بقدر ما يمكن أن تتعارف وتتعايش وتتكامل وتتعاون فيما بينها، في إطار سنة التدافع.

خامسا : الإعلام الدولي ومستقبل التعارف بين الثقافات :

برغم ما يبدو من سحب الصراع ونذر الصدام بين الثقافات والحضارات وبخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠١١م فإن التعمق في النظر يقدم لنا مبشرات يمكن تفعيلها للتغلب على دعوات الصدام بفتح آفاق للحوار الثقافي ومن ذلك:

أ) تداول مفهوم حوار الثقافات:

مفهوم "حوار الثقافات" يشير إلى " درجة التفاعل والتثاقف والتعاطي الإيجابي بين أنصار الحضارات التي تعتني به، وهو فعل ثقافي رفيع يؤمن بالحق في الاختلاف – بل يرى وجوب الاختلاف– ويكرس التعددية، ويؤمن بالمساواة".

وقد يتخذ مفهوم " الحوار بين الثقافات " شكل التلاقح الثقافي، والتفاعل السياسي والاقتصادي المتبادل، وقد يأخذ شكل امتزاج اجتماعي، أو تبادل تقني وتكنولوجي بين هذه الحضارات. كل ذلك يُغني الرصيد الثقافي والحضاري المشترك للإنسانية جمعاء.

و"الإنتاج الحضاري" لأمة من الأمم لا يحدث ولا ينمو في منهجها الذي تمارس به الحياة إلا بتحقق المزاوجة بين الوحدة العامة والتنوع الثقافي:

- فأما عامل الوحدة العامة: فيتعلق بما تكون به الثقافة موحَّدة في تلك الممارسة بحيث يلتقي أفرادها وجماعاتها على وجهة واحدة في الفكر والسلوك
- وأما عامل التنوع الثقافي: فهو ما ينفسح للأفراد والجماعات من حرية في أساليب التفكير، والعمل السلوكي في نطاق تلك الوحدة الجامعة؛ فتلك الحرية هي التي تتيح الابتكار والتجديد والمراجعة والمزاوجة بين الأصالة والمعاصرة.

وبقدر التوازن بين هذين الشرطين، تكون قوة الحضارة ونموها، فالحضارة التي يميل فيها طرف المعادلة إلى التوحُّد والنمطية تنحو تدريجياً منحى النمطية والاجترار في أساليب الفكر والسلوك معاً، والحضارة التي يميل فيها طرف المعادلة لناحية التنوع قد تضعف فيها الهوية المتماسكة للأمة.

ب) الجذور العميقة للتعددية الثقافية:

إن التواصل والتفاعل بين الحضارات لم ينقطع عبر التاريخ – سلما أو حربا– ويؤكد تاريخ الحضارات، والتجارب التاريخية للتعددية الثقافية في الماضي على أن الحضارة الإسلامية ظهرت في موقع جغرافي يشكل نقطة تقاطع بين الأحواض الحضارية المختلفة؛ مما شكل الجذور الحقيقية للتعددية الثقافية فيها،

وقد تفاعلت الحضارة الإسلامية مع كل الأحواض الحضارية.

وإذا كان المكون الأيديولوجي هو محور الثقافة، والثقافة أساس الحضارة، فإن الباحثين يربطون أحيانا الحوار بالحضارات، ويلحقونه حينا آخر بالثقافات. وطالما كانت الثقافة هي المعبر عن ذاتية الأمم فقد اخترنا المصطلح الأنسب وهو "حوار الثقافات".

ج) تجدد الاهتمام العالمي بحوار الثقافات:

يمكن تحديد بداية تحول حوار الحضارات إلى "مفهوم كلي" يراد له أن يعمم ويتداول منذ منتصف التسعينيات فيما عرف بـ "منتدى ٢٠٠٠ " في مدينة " براغ " عاصمة تشيكوسلفاكيا. ويرجع البعض سبب ذلك إلى أن العولمة كظاهرة بكل تجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية، وما أحدثته من انقلاب في أوضاع المجتمعات المعاصرة، وما أثارته من خلافات عميقة بين الساسة والمفكرين التي دارت حول قيم العولمة وصواب توجهاتها وآثارها السلبية على أوضاع البشر وخصوصاً في دول الجنوب،هي التي فتحت الطريق لضرورة قيام حوار بين الحضارات. إن اجتماع صفوة المثقفين والمفكرين والسياسيين في " براغ " قد شخص المشكلة التي تعاني منها الإنسانية، وهي طغيان المادة والحاجة إلى التركيز على القيم الروحية والثقافية والدينية، ومن تلك البداية يمكن تلمس رحلة "مفهوم حوار الثقافات".

إن ستة بنود من بين ستة عشر بندا تضمنها بيان براغ، تتعلق بالقيم الدينية والثقافية وتدور حول:" التضامن والعدالة والإدماج كأساس للحضارة الكونية، والتسامح والفهم وحماية الاختلاف والنماذج المختلفة للتعبير الثقافي، والاحترام والمسؤولية، ودعم دور الأديان في التوفيق بين الثقافات المختلفة وتنمية معايير أخلاقية عالمية، وتنمية ثقافة الحوار وتعددية الآراء. وبناء مجتمع كوني وإعادة البحث والنقد للمفاهيم والنظريات في الحوار الحضاري.

د) دعم القيم الدينية والثقافية المشتركة لحوار الثقافات:

الأديان لم تقف عند مسائل " العقائد" بل شملت مجالات أخرى فكرية وسلوكية وقيم روحية وأخلاقية مثل: العدالة والحرية وتكريم الإنسان، والقيم تمثل جوهر الثقافة، وتمنح الإنسان هويته وخصوصيته والمعايير التي توجه سلوكه. وهي ما يميز مجتمعاً عن غيره. وإذا كانت القيم الذاتية تخص أمة بعينها, فمن القيم ما هو عام وشائع بين الأديان والثقافات المختلفة، وللحضارة دور مهم في تعزيز القيم المشتركة أو إضعافها. وبقدر ما نشترك معاً في القيم العليا الإنسانية، فإننا نتعايش معاً على أساسٍ من "الوعي الجماعي " أو" الروح الجماعية".

و قد عبر عن ذلك أحد المسئولين الألمان بشكل عملي حيث رأى في الدين مصدراً القيم الثابتة، وقوة إيجابية دافعة للإصلاح ودرء الفساد، وأن تعايش أنصار الأديان يشكل لأوربا والعالم مهمة سياسية داخلية كبيرة، وفي عصر الانفتاح تصبح مهمة كونية، والمهمتان مرتبطتان معا لمواجهة التحديات الأخرى".

إن عوامل التلاقي بين المنتمين للديانات التوحيدية كثيرة، كما أن الأصول التي تجمعهم بأنصار بقية الثقافات متعددة منها: رصيد الفطرة الإنسانية، ورصيد التجربة الإنسانية المشتركة، ورصيد التوجهات العامة مثل الغايات العليا، والمصالح الحيوية، والحفاظ على الثقافة الخاصة.

ه) تشجيع المبادرات لدعم حوار الثقافات:

لدينا إسهامات عديدة لأفراد ودول ومنظمات تستحق التقدير والتشجيع منها ما قدمه البروفيسور "رومان هيرتسوج" رئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية مبادرة ترتكز على فكرة الحوار الحضاري بقصد التصدي لمروجي فكرة الصدام. وما قدمته الجبهة الفرانكفونية الدولية بقيادة الجمهورية الفرنسية للحفاظ على

التعددية الثقافية في مواجهة أحادية العولمة، واقتراح قراءة جديدة للعلاقات الدولية تقوم على احترام كرامة الشعوب والأمم، وعلى تطوير أو تقدم كوكبنا في شكل أكثر توازناً وتناغماً.

ثم كانت مبادرة المملكة العربية السعودية، – ومن قبلها مبادرة إيران– للحوار بين الأديان والثقافات، ولقاء البابا بنديكتوس السادس عشر في يوم ٦نوفمبر ٢٠٠٧ م. وما تبع ذلك من جمع ممثلين للديانات والثقافات ضمن المؤتمر العالمي لحوار الأديان في مدريد في يوليو ٢٠٠٨ م تمهيدا لمرحلة جديدة في الحوار بين الثقافات وتحالف الحضارات تحت مظلة القيم المشتركة في الإسلام والمسيحية والمذاهب الأخرى. هذه الجهود المباركة أعلنت بصوت واضح موحَّد: "أن الصدام والصراع خروج واضح عن التعاليم الإلهية".

سادسا: التحديات أمام حوار الثقافات:

أ) صورة الأنا و"الآخر" في كل ثقافة:

إذا كانت ثقافة كل أمة تمدها برؤية للعالم، فإن الإدراك الذاتي للأنا وللآخر له دور مهم في عملية التفاعل الحضاري، ويوضح يوهان هالتونغ (Johann Galtung) عدة نماذج لهذا الإدراك نأخذ منها نموذجين لتوضيح هذه المسألة:

الأول– نموذج الإدراك الذاتي الحضاري الصارم والقوي: مثل هذا الإدراك الذاتي يكون قوياً لأنه يتمتع بنظرة للعالم واضحة المعالم، ذات أسس فلسفية وغيبية شاملة وثابتة، مما يبرر الوعيا المتمركزا حول الذات. وهو إدراك صارم لأنه غالباً ما يكون من المستحيل اختراق هذا الإدراك الذاتي الحضاري، وذلك بسبب انحصاره المطلق.

هذه الخصائص تجعل للإدراك الذاتي من هذه الحضارة الخاصة كياناً

احتكارياً مسيطراً نزاعاً للسلطة. وخصائص هذا الإدراك الذاتي القوي الصارم للإنسان في حضارة معينة يمكن أن يمنع قيام تعايش حقيقي تعددي الثقافة.

الثاني– نموذج الإدراك الذاتي الحضاري الصارم والقوي والمرن: هذا النموذج له خصائص النموذج الأول ذاتها، لكنه يختلف عنه في المرونة مما يجعله أكثر تقبلا للتعددية واستيعابا للآخر. ولكي يقوم حوار جاد بين الثقافات، لابد أن تتخلى كل حضارة عن فكرة "المركز والهامش"، ورؤية ذاتها كمركز للكون وبقية الحضارات تخوم، وأنها "المحرك الأساسي" للحياة على الأرض، ولابد أن يُفسح المجال للتبادل والتشارك والتناغم بين الثقافات المتعددة.

ب) الحاجة إلى التعايش بين الثقافات:

إن أصول التعايش بين أتباع الديانات والثقافات متعددة. منها وحدة الأصل الإنساني، والتاريخ المشترك، والقيم المشتركة، والتحديات المشتركة، وما يتطلبه ذلك من مسؤولية مشتركة عن اغتنام الفرص السانحة، وصولا إلى إسعاد الإنسان على هذه الأرض.

وإن اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل علّته التعارف والتعاون، وهذا التعارف يقتضي احترام الكرامة الإنسانية، والتلاقي على مودة وتراحم في أمن وسلام، والتعاون على أن ينتفع الإنسان بخيرات الأرض بعيداً عن التعصب والاستعلاء والصراع.

ولكي ينجح التعايش بين الثقافات فإن العلاقة بين الناس في كافة الحضارات يجب أن تقوم على مبدأ الاعتراف بالآخرين، ومبدأ الحوار وأهميته، ومبدأ احترام المشيئة الذاتية لدى الآخر، ومبدأ استشراف المستقبل في ظل علاقات إنسانية

سامية. يتم ذلك في إطار "سنَّة التدافُع". الذي يؤدي إلى حماية حريات الناس في معتقداتهم، وأنماط حياتهم، وصيانة معابدهم على اختلاف مللهم.

لقد شهد تاريخ الحضارات العريقة فتراتٍ عصيبة، وأزماتٍ حرجة، حدث هذا حين سادت قيم التعصب، ومشاعر الخوف والكراهية، مما أدى إلى سوء الفهم المتبادل. وقد خلَّفت هذه الأزمات تصورات مغلوطة، وتراكمات عدائية لثقافة الآخر ما تزال تجد مَن يستدعيها، ويستخدمها بغرض إحداث الصدام بين الشعوب. وليس من الحكمة أن تقيّدنا تجارب الماضي السيئة –التي تحسب على من قام بها فقط– في الوقت الذي يحفل فيه تاريخ الحضارات بتجارب مشرقة للتعايش السلمي للأديان والثقافات جنبا إلى جنب.

ج) مواجهة التحديات المشتركة:

إن أمام العالم كله على اختلاف الحضارات تحديات مشتركة، تمثل أخطاراً محدقة بالعالم كله، تتجاوز حدود الثقافات، والعقائد الدينية، والقوميات. منها ما هو مادي معروف من نفاد الموارد الطبيعية، وسباق التسلح، والحروب العرقية والتوظيف الخاطئ للأديان في الحروب، ومنها ما يتصل بالتصورات والشعور نحو الآخر المختلف. والتطرف وجماعات العنف. فهي تمثل تحدياً لنا جميعاً؛ لأنها ظاهرةٌ إنسانيةٌ واجتماعيةٌ مطّردة، وممتدة عبر التاريخ الإنساني. والتطرف موجود بين أتباع المذاهب والديانات والفلسفات والتوجهات الفكرية، والحركات الإصلاحية. كما هو موجود بين التيارات السياسية. والتطرف يكون في العقائد كما يكون في الأفكار والقوميات والعرقيات.

إن على وسائل الإعلام الدولي تقع مسؤولية العمل المشترك من أجل تأمين المجتمعات ضد اتساع تأثيرات ظواهر التطرف والعنف، بالعمل داخل كل ثقافة على حدة، والعمل المشترك بين الثقافات المتباينة، من أجل التخلص من الصور

النمطية السلبية المبسطة والمختزلة والمشوهة عن الآخر. وتأكيد الرغبة المتبادلة في التعاون لحل المشكلات المتفاقمة التي تهدد مستقبلنا جميعا. من أبرز هذه المشكلات ما يمكن أن يحدث من حروب عرقية وقومية ودينية قد تعود إلى دمار البشرية.

وعلى الإعلام الدولي ضرورة تناول القضايا المشتركة والتنبيه للأخطار المشتركة والسعي إلى إيجاد بيئة دولية سليمة ومستقرة، تقوم على أساس الاحترام المتبادل والمساواة بين الثقافات والحضارات المختلفة، وعدم ازدراء الآخر والحط من شأنه، والاعتراف بوجود تباينات واختلافات بين الحضارات والثقافات.

سابعا: الفرص المتاحة لدعم الحوار بين الثقافات:

أمام كل هذه التحديات، لدينا فرص حقيقية سانحة منها: التقدم العلمي والتطور التقني. ولدينا التطور الاتصالي والمعلوماتي: وهو يتيح للجميع فرصاً للانتفاع والمشاركة. كما تعد الأقليات جسور التعارف الثقافي والحضاري، ولذا فالعمل المشترك مطلوب من أجل تحسين شروط الاندماج السياسي والاجتماعي – الثقافي للأقليات عبر التشاور والحوار. ودعم كل ما من شأنه أن يحافظ على هوية وتفاعل الأقليات والجاليات، باعتبارها جزءً من كل حضارة، ودائرة التلاقي الأولى مع الحضارات الأخرى.

إننا نستقبل مرحلة جديدة في العلاقات بين الأمم والشعوب، تتميز بالتخلي عن العزلة، كما تتميز بظهور أفكار جديدة في العلاقات المتبادلة والتعاون والتضامن والشراكة السياسية والثقافية والاقتصادية، وهذا يتطلب أناس يتحلون بالمسؤولية الأخلاقية المشتركة.

وعلى الرغم من الاختلاف الجوهري بالنسبة لخبراتنا في المجال الثقافي،

فنحن مدعوون لتحمل مسؤولياتنا تجاه دعم التعايش بين الأديان والثقافات. وعلينا أن نعمل معاً لتعزيز هذا الدور، بحيث تقوم العلاقات بين الدول على "السلم" وليس الحرب. وأن نتحرى جميعا إقامة العدل والإنصاف مع الموالين والأعداء. وونلزم أنفسنا والآخرين بالوفاء بالعهود والمواثيق، وحماية الحريات والحقوق للجميع. والتعاون الإنساني على البر والتقوى. حتى لا تتكرر حالة الاحتراب تحت غطاء الأديان كما حدث من قبل.

وما أحوجنا في هذه المرحلة إلى توظيف الإعلام المحلي والدولي برشادة لإعادة إذكاء الشعور الأخلاقي لأنصار الثقافات المختلفة، وأن يكون لدينا أجيال جديدة تتسم بالاتجاه العقلي، والإيجابية والالتزام، والتوجه المستمر نحو الكمال، والاتزان والإحساس الإنساني. وتقوية القيم الإنسانية بما يمهد لقيام نظام عالمي متكافئ، تصان فيه حقوق الشعوب على اختلاف ثقافاتها ومقوماتها الحضارية، ويرتكز على معادلة: الوحدة الإنسانية العامة، واحترام التنوع الثقافي. وبقدر ما يستند هذا النموذج إلى إطار أخلاقي مشترك، وأفكار ذات نزعة إنسانية عالمية، ويبنى على قواعد مشتركة، وآليات عمل واقعية، تتحقق المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة، وينجح حوار الثقافات في معالجة الأزمات الثقافية التي تنشأ بين البشر.

إن أي خطوة للتراجع عن قيم التعددية الثقافية والتنوع الثقافي – من أي طرف– يمثل ردة لعهود الصراع، لأن التعددية الثقافية "مصدر ثراء للجميع"، وإن استلهام التراث الديني والثقافي للإنسانية، هو الضامن لفكرة التعايش السلمي بين الأديان والثقافات والحضارات.

الفصل السادس

الاتصال الدولي وقضية العولمة

العولمة تتجاوز العالمية المؤطرة في حدود مكانية وزمانية وبشرية إلى الكونية غير المحدودة بأية حدود. يعرف زياد الدريس مفهوم العولمة على أنه: مفهوم سوسيولوجي له أهميته في علم ناشئ هو علم العولمة (globology) وأن هذا العلم ما يزال في طور التشكُّل والنضج، أما عبد الإله بلقزيز فيرى "أن العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب، مادتها الأساسية هي الصورة التي يجرى تسويقها على نطاق واسع بحيث تستطيع تحطيم الحاجز اللغوي".

وهكذا يدخل الاتصال عنصرا أساسيا في تعريف العولمة. ولكن الامر اعقد من مجرد التعريف للظاهرة. ولابد من التفرقة بين النظرات المتباينة للعولمة، فالعولمة كما ينبغي أن تكون من حيث هي:" توظيف التقدم العلمي التقني المعاصر، لتحقيق الأمن والسلام العالميين، والسعي لتحقيق الرفاه لجميع دول العالم، وبناء علاقات هذه الدول على أساس التعامل مع التعددية الثقافية، والخصوصية الدينية والحضارية".

والعولمة كما هي على أرض الواقع هي: "سعي القوى المهيمنة عن طريق تفوقها العلمي والتقني للسيطرة على بقية الشعوب تربوياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، بدعوى مساعدتها على التنمية الشاملة وتحقيق العدالة في الاستثمار والرفاه للجميع".

ولا يوجد خلاف بين المنظرين للعولمة على أن العولمة الحالية هي " الرؤية الاستراتيجية لقوى الرأسمالية العالمية، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، والرامية إلى إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها وأطماعها سائرة نحو هذا الهدف على ثلاث مسارات:

المسار الأول: اقتصادي وغايته ضغط العالم في سوق رأسمالية واحدة يحكمها نظام اقتصادي واحد.

المسارالثاني: سياسي. ويهدف إلى إعادة هيكليات أقطار العالم السياسية في صيغ تكرس الشرذمة والتشتت وتفكك الأوطان والقوميات إلى كيانات هزيلة قائمة على نزعات قبلية عرقية أو دينية بغية سلب أمم العالم وشعوبها القدرة على مواجهة الزحف المدمر للرأسمالية العالمية والتي لا تستقر إلا بالتشتت الإنساني.

المسار الثالث: المسار الثقافي الذي يهدف إلى تقويض البنى الثقافية والحضارية لأمم العالم بغية اكتساحه بثقافة السوق التي تتوجه إلى الحواس والغرائز، وتشل العقل والإرادة وتشيع الإحباط والخضوع.

ويمكن أن نضيف إلى ما سبق:

- مسار الاتصال الكوني في قرية إليكترونية كونية. والكلام هنا عن الإعلام كقوة حاملة لظاهرة العولمة أو كما يسميه ريجيس دوبريه مصطلح (Mediology) أو علم الإعلام العام.
- ومسار الانتقال الموسع للبشر عبر الدول بلا قيود.

إن العولمة تختلف عن العالمية ففي حين أن العالمية طموح للارتقاء بالخصوصية إلى العالمية لتكون معروفة عالميا، فإن العولمة هي إرادة للهيمنة

والسيطرة والتنميط، وبينما العالمية إغناء للثقافات الذاتية، فإن العولمة اختراق للثقافات وتمييع لها. وأن عالمية الإسلام هي المصطلح الأدق وليس عولمة الإسلام كما طرحها بعض المتسرعين.

إن للعولمة إغراءات قوية فهي:" إغراء بالتغيير على صورة الغرب وإما التلاشي والزوال"، ويحذر باحثون من الإنسان الجديد الذي لا يتورع عن فعل أي شيء للحصول على ما يريد ممن يراهم مجرد رعاع يجب أن يخدموه باعتباره السيد المهيمن.

المواقف المختلفة من ظاهرة العولمة :

- **موقف الرافضين لظاهرة العولمة:** الذين يرونها أيديولوجيا عدوانية مهيمنة تلغي الخصوصيات والتنوع الثقافي. وهذا فريق يراها – بما امتطت من تقانة متقدمة وإعلام غلاّب – تهدد هويتنا، ومن ثم ينبغي أن توصد الأبواب والنوافذ دونها، وأن نرفضها كلاً وتفصيلاً. ويعتقد هؤلاء أن العولمة محاولة تهميش الإنسان في العالم الثالث على وجه الخصوص.

والعولمة في نظر البعض " هيمنة المال والتكنولوجيا على العالم من أجل المزيد من المال، ومن خلال توظيف المال من أجل المزيد من التكنولوجيا لمزيد من المال".

- **موقف المؤيدين للظاهرة**: الذين يرونها ظاهرة حضارية إنسانية ديمقراطية مساندة لحقوق الإنسان، ويرون أنها بشير تقدم ورقيّ، ومن ثم ينبغي أن نفتح لها الأبواب والنوافذ، وأن نغتنم الفرصة بالأخذ بمعطياتها لإفادة الأمة الإسلامية من ثمراتها.

- وموقف من يرون **العولمة مؤامرة** يتم تنفيذها باسم النظام العالمي للسيطرة على مقدرات الشعوب.

- وموقف **رابع محايد** يرى في ظاهرة العولمة تطوراً تكنولوجياً تقدمياً يساعد على الترقي والانتقال من أوضاع متخلفة إلى أوضاع تقدمية وتوحيد للثقافة الإنسانية والقيم الإنسانية. ويرى أنصار هذا الموقف أن نأخذ من العولمة المفيد ونتقي شر ما تأتي به من مثالب.

ومرد هذه الاختلافات إلى:

- **مصدر ذاتي:** يرى أنصاره أن العولمة ظاهرة إيجابية وهي نتاج طبيعي للتطور التكنولوجي المفروض في مسيرة الإنسان.

- **والمصدر الثاني موضوعي**: يراها سلبية لأنها نتاج الليبرالية الجديدة، التي تتبناها الولايات المتحدة الأمريكية لإنسان بمواصفات خاصة يسهل قياده، وأنها ليست حتمية تكنولوجية بقدر ما هي توظيف للتقنية لنوع جديد من الاستعمار.

لم يخف زعماء سابقين وكتاب أمريكيين من أمثال "فوكاياما " فخرهم بقيمهم واعتبارها قيما إنسانية تصلح للعالم كله، ويحتجون بأن أمريكا تمتلك أكبر قاعدة عسكرية، وأكبر قاعدة تكنولوجية، وأوسع قوة ثقافية (الإعلام والمعلومات) وهي القوة المسيطرة على المنظمات الدولية وصنع القرار الدولي. وهذا في نظرهم يؤهلهم لحكم العالم.

لقد صارت ظاهرة العولمة هاجس المفكرين والحكومات والشعوب. فهل هي شكل من أشكال الديمقراطية أم نمط من أنماط الاستعمار الثقافي؟

*منشأ العولمة :يوجد اتجاهان في تفسير منشأ العولمة :

- اتجاه يراها ظاهرة قديمة وتمتد لقرون خلت وأن الحروب التاريخية إنما قامت لفرض نموذج التجانس والتوحيد الثقافي بالقوة.
- واتجاه يرى أن العولمة نشأت مع منتصف القرن العشرين، وبرزت فقط في العقد الأخير من القرن العشرين.

ومن استقراء التاريخ قديمه وحديثه يظهر أن محاولة صبغ العالم بطابع واحد مقروناً بالسيطرة والهيمنة قد ظهرت في كثير من مراحله، فالاسكندر المقدوني قديماً حاول السيطرة على العالم، ولكنه وعلى الرغم من التفوق العسكري والفكري لم يصادف ما كان يصبوا إليه إذ سرعان ما عادت الأمور إلى سيرتها الأولى بعد وفاته بمدة ليست بالطويلة.

كما حاول من بعده "جنكيز خان" في منطقة نفوذه غزو أكثر من نصف الكرة الأرضية، ولكنه عبثاً حاول صبغ العالم بصبغة التتار ففشل. وحديثاً حاول هتلر غزو العالم بيد أنه فشل في بسط سيطرته على العالم بصيغته النازية.

والإمبراطورية الإنجليزية والتي كانت لا تغيب عنها الشمس، لم تستطع طمس هويات الأمم التي غلبتها وقهرتها ردحاً من الزمان.

وأمريكا هي الأخرى وإن استخدمت أساليب مبتكرة، ووسائل متقدمة مستغلة في ذلك التقنيات العلمية الحديثة، ووسائل الاتصال المتقدمة، وترسانات الأسلحة، تحاول ولا تزال تحاول طمس هويات الآخر المخلتف. والنتيجة من ذلك كله هو الفشل لكل تلك الإمبراطوريات التي حاولت جعل الأمم والشعوب نسخة واحدة، ذات ثقافة واحدة؛ ذلك أن هذه المحاولات مصادمة للسنن الكونية التي خلقت عليها هذه الأمم.

إن ظهور العولمة في نظر البعض جاء نتيجة لثورتي الاتصال والمعلومات التي مكنت للعولمة من صهوة الاتصالات والمعلومات لصبغ العالم بثقافة الدول المهيمنة.

***موقف المحافظة والمعاصرة:**

الأول: موقف المعاصرة: يرى أنصاره أن العولمة هي مسار يتعاون في صياغته كل بلدان العالم بشكل سلمي في وسق عالمية واحدة مع تحمل الالتزامات بالقيم الإنسانية السائدة.

والثاني: موقف المحافظة: ويرى أنصاره أن العولمة سيناريو أسود رأسمالي بلا قيود ولا ضوابط، وهي مجرد إخضاع للدول الأقل تقدما، وتهديد للسيادة الوطنية، والثقافة الذاتية، بحيث تزداد الهوة الكبيرة بين القلة الغنية والكثرة الفقيرة، مما سيخلق بيئة حاضنة للعنف والثورة على الأوضاع المختلة.

وهذا التوجه لديه من الحجج والبراهين ما يدعم موقفه الرافض لتأثيرات العولمة. ويشير المؤلف إلى أن الرفض الأقوى يأتي من داخل السياق الذي نشأت فيه العولمة وهو الثقافة الغربية.

– إيجابيات العولمة:

- أدت العولمة إلى التطور الاتصالي للمجتمعات.
- ساعدت العولمة على الحصول الميسر للمعلومات.
- زيادة التعارف والتلاقي بين الشعوب.
- سرعة في الانتقال للسلع والخدمات والبشر.

لكن الأمر لا يخلو من سلبيات لأن الفارق بين البشر هو فارق ثقافي أخلاقي أكثر منه بيولوجيا.

يرى "زياد الدريس" أن الهويات تؤثر وتتأثر بعضها ببعض أخذا وعطاء، لكن كل هوية تحتفظ لنفسها بما يميزها عن الهويات الأخرى في التفاعل الحضاري. لكنه لم يفصل في تعريف الهوية الإسلامية لها خصوصية الربانية مقابل الهويات البشرية.

لكن السؤال هل يمكن قيام مجتمع متعدد الثقافات يقوم على التنوع والتكامل وليس على التماثل، باعتبار هذا التنوع هو إثراء للتجربة الإنسانية وفق معادلة الوحدة والتنوع الثقافي.

*مظاهر التوحد العولمي:

- التوحيد التكنولوجي: ممثلا في أجيال متعاقبة من التقنية.
- التوحيد الجيوسياسي: وهي إرادة للتكامل الإقليمي والدولي تفرضه القوى العظمى إن اقتضته المصلحة.
- التوحيد الثقافي الاجتماعي: وهو تهديد للتنوع الثقافي المطلوب.

إن الطريق الصحيح في التعامل مع العولمة هو الوسطية بين الاعتزاز بالهوية الذاتية، والأخذ الرشيد من كل تطور في أي حضارة حتى لا يحدث التقوقع والانعزال وتحرم الهوية من تجدد الخبرة الإنسانية.

وإذا كانت التكنولوجيا سبيلا للحاق بالركب الرأسمالي المتسارع فإن التقنية التي كان يعول عليها في راحة الإنسان، أصبحت هي مصدر تعبه؛ لأنها تستنفر طاقته لمزيد من السعي بلا انقطاع لاستيعابها وتوظيفها لأكبر قدر من المنافع الاستهلاكية.

*العولمة والعالم العربي:

شاء الله أن يكون موقع العالم العربي موقع التوسط جغرافيا وسياسيا وثقافيا بين قارات العالم قديمه وحديثه، فهو من الناحية السياسية ملتقى الحضارات، ومن الناحية الجغرافية وسط العالم، ومن الناحية الاقتصادية يتربع على ثروات كبيرة ومخزون من الطاقة يجعله يؤثر ويتأثر بكل ما يجرى في العالم. ومن الناحية الدينية هو مهد الديانات السماوية.

ومع ذلك فأزمة التخلف تجعل العالم العربي خاضعا للقوى الكبرى، وتابعا لها الوقت في نفسه. وإن حالة التخلف فرضت نوعا من التدهور في العملية التعليمية والتربوية.

العولمة الثقافية:

الثقافة يعرفها البعض بأنها (نموذج كلي لسلوك الانسان ونتاجاته المتجددة في الكلمات والأفعال وما تصنعه يداه وتعتمد على قدرة الإنسان على التعليم ونقل المعرفة للأجيال التالية).

ويراها الدكتور مُحَمَّد الجابري ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتطورات والقيم والرموز والتعبيرات والابداعات والتطلعات التي تحفظ لجماعة بشرية تشكيل أمة – أو ما في معناها – لهويتها الحضارية في إطار ما نعرفه من تطورات بفعل قابليتها للتواصل والأخذ والعطاء.

ومن خلال هذا التعريف الشامل للدكتور الجابري يمكن لنا تحديد المعالم الآتية للثقافة:

أولاً: أن الثقافة لا تقتصر على مجرد المعلومات والتصورات الذهنية لدى كل فرد بل تطال مجموع الشخصية الانسانية ومدى تفاعلها مع البيئة والكون.

ثانياً: أنها لا تعكس تصوراً فردياً محضاً بل هي صورة لمجتمع كامل وأمة بأسرها.

ثالثاً: أن الثقافة تعبر عن الخلفية الانسانية التاريخية. وهي في الوقت ذاته احدى طموحات النفس البشرية.

رابعاً: أن الثقافة تحوي ضمن ما تحوي ثوابت الأمة التي بها تتميز عن ماعداها من الأمم مضافاً إليها الأمور المشتركة مع غيرها من الأمم.

يعبر الدكتور الجابري عن عولمة الثقافة بأنها الاختراق الثقافي. والدكتور الجابري مع أحترامنا لآرائه خلط بين عالمية الثقافة وبين عولمة الثقافة من حيث أن عالمية الثقافة لا تعني سوى إطلاع الآخرين على ثقافتي دون أن يكون هناك نوع من الضغط في تقبل هذه الثقافة

بخلاف العولمة التي لا مجال فيها لأي حرية أو تفكير في تقبل النمط الثقافي وإذا انتقلنا إلى مجالات التأثير المباشر للعولمة الثقافية نجد أنها من حيث كونها أداة لتحقيق السيادة ضربت بعمق في أهم مكونتين للسياسة الثقافية للفرد والجماعة. وهي التربية والتكوين. وقد كان التأثير مباشراً في الأسرة والمدرسة.

وقد ساعد على الاختراق الثقافي المذهل في هاتين المؤسستين ضعف البنية التحتية لهما في مجتمعاتنا الشرقية. والذي عبر عنه عبدالإله بلقير. بالقول بأنه إخفاق النظام التعليمي والأسري. ومن أجل هذا فإن عولمة الثقافة قد اعتمدت على عدة مرتكزات من أهمها:

١- **المركزية العالمية:** وهي إحدى أقوى عوامل عولمة الثقافة فقد أصبحت القوة العظمى العالمية هي مصدر كل أوجه الثقافة سواء على صعيد الإنتاج أو على صعيد الإبداع، ولا ريب أن هذا انعكاس للمركزية العالمية الشاملة أو أحد مظاهره. فالمركزية الاقتصادية والسياسية

والعسكرية والتكنولوجية وامتلاك وسائل وطاقات التحكم في جميع هذه الأوجه تمكن لها المركزية الثقافية بشكل تلقائي.

٢- **القوة الاقتصادية:** يجب أن لا نغفل الجانب الاقتصادي كأساس في نشر ثقافة ما. خاصة وقد قلنا إن العولمة أصبحت نظاماً متكاملاً وآثارها شامله لا يختص بها جانب دون آخر. وإن كان ذلك إلى الآن بنسب متفاوته. وربما كانت الشمولية في مرحلة قادمة عامة وطاغية بحيث يقوم كل جانب على نفس الأسس التي يقوم عليها النظام الاقتصادي العالمي. ولهذا فإن كثيراً مما ترتكز عليه العولمة الاقتصادية هي في الحقيقة مرتكز ثقافي عالمي. فالثورة العالمية المتمثلة في وفرة المعلومات وتراكمها واتاحتها للإستعمال عبر أوعية المعلومات ومن أهمها الحاسب الآلي كلها مرتكزات اقتصادية.

٣- **وسائل الاعلام:** من المهم الاعتراف أن المعرفة سلطة وأداة هيمنة وأن من يملك المعرفة وأدوات توزيعها والقدرة على توظيفها يملك سلطة التحكم في العقول التابعة. ووسائل الاعلام من أهم المرتكزات التي تقوم عليها العولمة الثقافية. وتتخذ هذه الركيزة ثلاث وجهات:

الأولى: تكنولوجية الوسيلة ذاتها بحيث تؤدي عملها على أوسع نطاق.

الثانية: المادة التي تنشرها وتبثها هذه الوسائل وما يمكن أن نسميه بعولمة الانتاج الفني. وقد تجاوزت وسائل الإعلام الصحف والمجلات والاشرطة إلى القرص الفضائي وشبكة الانترنت العالمية.

الثالثة: عولمة الاعلام ذاته والمتمثلة في الوكالات العالمية للأنباء. إذ نجد مثلاً أن أربع وكالات أنباء عالمية غربية تحتكر وحدها الخبر وتصوغه بكل حرية

وهذه الوكالات هي:

أ – الوكالة المتحدة للصحافة (يونايتدبرس) الأمريكية.

ب – وكالة (رويتر) الانجليزية.

ج – الوكالة المشتركة للصحافة الأمريكية (أسوشايتدبرس).

د – الوكالة الفرنسية (فرانس برس).

المخاطر الثقافية:

– خدمة السيادة المركزية وتوطيد معاني العولمة الاقتصادية والسياسية ونقل الحضارة العالمية الجديدة إلى الشعوب الدنيا.

* توحيد الثقافات العالمية وصهرها في ثقافة واحدة والغاء التعددية الثقافية وإلغاء حق التنوع الثقافي.

– نزع الخصوصية ومحو الهوية الذاتية ولهذا نرى أنصار العولمة لا يعترفون بالهوية الشخصية سواء هوية الشخص الواحد أو الدولة الواحدة. أو المجتمع الواحد.

* تحطيم كل الثوابت الدينية والفكرية والأخلاقية للوصول إلى إنسان هامشي يذوب في بحر الماديات.

– التشكيل العقلي لأفراد الشعوب حتى يقبل التبعية ليسهل قيادته وبالتالي استنزاف موارده وطاقاته.

– الخلاص من الأسباب التي توحد الأمم وعليها يقوم أمرها كل ذلك خدمة للصهيونية العالمية التي طالما دعت إلى مثل هذه المباديء عبر مختلف القنوات السياسية والإعلامية والثقافية.

- الجمع بين المحافظة والتجديد.
- الجمع بين ثقافة النخبة وثقافة الجمهور.
- الجمع بين الخصوصية الثقافية والانفتاح على الثقافة العالمية.
- تفعيل دور اللغة العربية.
- التكامل بين ما هو ديني روحي وما هو مادي.
- التكامل بين المبادرة الفردية والروح الجماعية.

القرار بيد الشعوب، فالشعوب هي التي تقرر هل تنتكس وترجع للتقوقع أم تتقدم نحو العولمة.

الإعلام الدولي وقضايا الهوية الثقافية:

تفيد بعض الدراسات أن وسائل الاعلام الأمريكية تسيطر على ثلثي مجمل المواد والمنتجات الاعلامية والثقافية والترفيهية.

وهذا مما دعا فرنسا لتقاوم سيطرة اللغة الانجليزية على شبكة الانترنت ذلك أن (٩٥%) من حجم تداول المعلومات والاتصالات على الانترنت باللغة الإنجليزية في حين أن ٢% فقط بالفرنسية.

وهذا ما جعل وزير العدل الفرنسي يقول:(إن الإنترنت بالوضع الحالي شكل جديد من أشكال الاستعمار،وإذا لم نتحرك فحياتنا في خطر). ولهذا فإن فرنسا قد رفعت خلال مناقشات اتفاقيات الجات شعار (الاستثناء الثقافي من العولمة).

وإذا كانت فرنسا تصرخ من الهيمنة الإعلامية والثقافية الأمريكية على الرغم من أنها تحتل ٢% فما القول في أوضاع الشعوب العربية التي لا تحتل

مكاناً يذكر على هذه الشبكة حيث اللغة العربية لا تحتل سوى ٠.١٠%.

إن دوراً خطيراً يقوم به الإعلام في مجال نشر ثقافة ما ولقد تطور الاعلام بشكل غير طبيعي في الآونة الأخيرة. وقد أدى هذا التطور إلى غزو جميع ميادين الأنشطة البشرية. حيث وجدت بنى أساسية عالمية تنتشر وكأنها نسيج عنكبوتي، يمتد عبر العالم أجمع مستفيداً من التقدم الحاصل في تقنية الرقميات وثورة المعلومات، ومن التداخل الحاصل بين قطاعات الاتصال والهاتف والتلفاز والحاسوب والانترنت.

ونظراً للترابط القوي بين عولمة الثقافة ووسائل الاعلام، فإن الإحصاءات تشير إلى أن الاتصالات اللاسلكية سوقاً تدر مئات المليارات دولار سنوياً على الولايات المتحدة الأمريكية. ولأهمية قطاع الاتصال في نشر وترويج أنماط معينه من الثقافة قامت الولايات المتحدة بوضع ثقلها كله في معركة تحطيم الحواجز لتصبح الاتصالات قادرة على الانتقال – دون عوائق تذكر – عبر العالم كله.

المنظمات العالمية وتسيهل مهمة الهيمنة الثقافية:

– ومن أجل ذلك انعقدت أربعة مؤتمرات دولية (جنيف ١٩٩٢ – بيونس أيرس عام ١٩٩٤– بروكسل عام ١٩٩٥– جوهانسبورج عام ١٩٩٦ وقد نجح خلالها الأمريكان من تسويق فكرتهم حول مجتمع المعلومات العالمي والضغط لفتح حدود أكبر عدد ممكن من البلدان أمام التدفق الحر للمعلومات.

إن العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تاريخ الإعلام الذي يعزز سيطرة المركز الأمريكي على العالم كله. ونظراً لما للولايات المتحدة من قدرات عالية في مجالات كثيرة من أهمها التحكم في المنظومات المعلوماتية وتقنيات الاتصالات. فقد حاولت تسييد وإشاعة وتعميم الأسلوب الأمريكي وذلك من

خلال قرية المواصلات الأمريكية – وحدة السوق الأمريكية – حضارة الاستهلاك الأمريكية – وحدة النمط المعيشي – الديمقراطية الأمريكية.!!

– المجال الثقافي في العولمة هو في أبسط صوره محاولة أن تكون هناك ثقافة عالمية قائمة على أساس محو الخصوصيات الثقافية للأمم والشعوب.

ينطلق فيض ثقافي من بلدان المركز ليجتاح الكرة الأرضية يتدفق في شكل صور – كلمات – قيم اخلاقية – قواعد قانونية – مصطلحات سياسية – معايير – كفاءة – ينطلق كل ذلك ليجتاح العالم من خلال وسائل الإعلام المتمثلة في الاذاعات – تليفزيونات – أفلام – كتب – أسطوانات فيديو – أطباق استقبال فضائية).

يرى فريق من الباحثين النقديين ومنهم فريد شكري الباحث المغربي:" أنه في مناقشة قضية العولمة وحتمية الانخراط فيها، يجب ألا نبالغ بالثقة بأنفسنا، وأننا نملك من المقومات والقيم ما يجعلنا محصَّنين ضد العولمة، لأن العولمة قضية إنسان يملك المادة الجيدة، ليس بالضرورة أن يتسوَّق جيداً، أو أنه ينافس الآخر الذي يملك المادة الأقل جودة، الجودة عامل من العوامل لا بد من عوامل أخرى تساعد على الترويج والتفوق على المنافس.

نحن نملك قيم قوية، ونملك قيم جيدة، ولكن لا يمكن أن ننافس في جو العولمة إلا إذا واكبتها تقنيات، معرفة الإنسان بقيمة ما يملك. ولا يأتي هذا بدون استثمار الغعلام الدولي بطافة سوائله وتقنياته.

مهما قيل فإن الطغيان العولمة لا يمكننا من احتمال أجواء المنافسة، وتسويق هذه القيم التي نملكها ونعرف الآخر بها.

النقطة الثانية: أن قضية العولمة ليست اقتصادية محايدة بل لها بصمات

ثقافية، والبصمات الثقافية في الاقتصاد تظهر في تدفق البضائع من طرف دول قوية على دول هامشية تنتج لنا ثقافة الاستهلاك، وثقافة الاستهلاك ثقافة غير محمودة ؛ لأنها هي التي تعطينا الغذاء، وتعطينا ثقافة الاستهلاك.

وتخلق حاجات وهمية فإذا أردنا أن نتبع وسائل الإعلام نجد أنها تشبع فينا حاجات وهمية يمكن الاستغناء عنها، وهي الكماليات ولكن يوهمنا أن هذا الأمر ضروري، وهو ليس بذلك.(1)

---

١) فريد شكري، ندوة الحج، مكة المكرمة، ٢٠٠٤م

الفصل السابع

الإعلام والإرهاب الإلكتروني

توجد مؤلفات كثيرة حول الإعلام الدولي والإرهاب الدولي بشكل عام ولكننا هنا نعرض فقط لأحد أبعاد ظاهرة الإرهاب الدولي ممثلة في الإرهاب الإلكتروني الذي يمتطي قنوات الغعلام الدولي في أحدث تطوراتها وهو الغعلام الجديد.

يرى توماس مكفيل (Tom McPhail) أستاذ الإعلام بجامعة ميسوري، أن الولايات المتحدة قوة عسكرية كبرى قد لا تواجه تهديدا عسكريا خارجيا، لكنها تواجه اليوم اعداء جددا مثل التنظيمات التي تتبنى العنف طريقا لتحقيق أهدافها، واتخذت أدوات جديدة لمواجهة الولايات المتحدة. وهذا أدى إلى تغيير السياسات التحريرية لوسائل الإعلام الدولية، وأدى إلى تزايد التغطية الإعلامية الدولية لأنشطة هذه التنظيمات" ([1])

في هذا الفصل نتناول ظاهرة الإرهاب الدولي واستخدامات الإعلام وبخاصة الإنتنرت كوسيلة سهلة وفعالة في تبادل الرسائل بين " اللاعبين الجدد" من غير الدول وبين بعض القوى الكبرى التي تشن حربا على ظواهر التهديد العالمية.

---

١) توماس ماكفيل، الإعلام الدولي: النظريات، الاتجاهات، الملكية، ترجمة: حسني نصر وعبد الله الكندي، ط١ (العين: دار الكتاب الجامعي، ٢٠١١) ص ٢٨

أولا:متى بدأت ظاهرة الإرهاب الإلكتروني؟

شهد منتصف التسعينيات من القرن الماضي البداية الأولى لميلاد مصطلح "الإرهاب الإليكتروني" حين شكّل الرئيس بل كلينتون لجنة سنة ١٩٩٦ م لحماية المنشآت البنية التحتية الحساسة (WWW.NIPC.GOV) كان أول استنتاج للجنة أن مصادر الطاقة الكهربائية والاتصالات وشبكات الكمبيوتر ضرورية بشكل قاطع للولايات المتحدة؛ لأنها تعتمد بشكل كبير على المعلومات الرقمية ولذا فإنها ستكون الهدف الأول لأية هجمات إرهابية تستهدف أمن الولايات المتحدة، وبناء على ذلك تم إنشاء هيئات خاصة في مختلف القطاعات للتعامل مع احتمالات الإرهاب الرقمي.

في حين يرى "مشيل جاكوبسن" (Michael Jacobson) في دراسته حول تمويل الإرهاب عبر الإنترنت" أن بداية استخدام تنظيم القاعدة للإنترنت سبق أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، ويدلل على ذلك في مجال جلب التمويل بما فعله الشاب اللندني " بابار أحمد" الذي كرس جهازه لخدمة القضية الجهادية عام ١٩٩٧ م مركزا دعمه للجهاد في الشيشان وحركة طالبان؛ حيث استخدم مهاراته وموقعه لجلب التمويل، وتجنيد مقاتلين وإعطاء تعليمات عن كيفية الوصول لمناطق الصراع، وقد كتب "بابار" عبارات تستحث المسلمين على القيام بواجبهم، وقد تم إيقاف هذا الشاب عام ٢٠٠٤م في انجلترا.

وتحولت أهداف جماعات العنف لاستخدام الإنترنت بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م إلى التمويل والدعاية والتجنيد والتدريب عبر الإنترنت في كل أنحاء العالم.

ويرصد "جاكوبسن" تطور عدد المواقع التابعة للقاعدة من ١٢ موقعا عام ١٩٩٨ م إلى ٢٦٠٠ موقع عام ٢٠٠٦م وطبقا لإحصاء الأمم المتحدة فإن

هذه التنظيمات لها مواقع ونشاط مميز على الإنترنت.

وقد حذر تقرير لجنة ١١سبتمبر من أن هناك مجموعات سوف تستخدم الانترنت للحصول على مساعدات لوجستية وتمويلية، ولاحظ التقرير أن التكنولوجيا والعولمة ساعدا الجماعات الصغيرة والمتعاطفين معهم ليس فقط في التواصل، بل في الحصول على التمويل وموارد للهجمات بدون الحاجة لمنظمات تقليدية.

لقد كان نشاط "يونس تسولي" أو (الإرهابي ٠٠٧) أو "الإرهابي الافتراضي" خلال عامين هو بلا منازع ملك الإرهاب الإليكتروني حين بدأ إرسال مقطع فيديو عن نشاط إرهابي في العراق على مواقع الإنترنت، ثم تطور نشاطه وتلقى تمويلا لذلك".

ثانيا: تحديد المفاهيم:

١) التعريف القانوني للجريمة الإرهابية:

من مراجعة مجموعات القوانين التي تعرف الإرهاب في بريطانيا وإيطاليا ومصر وغيرها يتضح الاتفاق على أركان الجريمة، بعضها يختصر التعريف ويحدده كما في قانون منع الإرهاب في المملكة المتحدة (استخدام العنف لتحقيق أهداف سياسية بما في ذلك استخدام العنف بغرض إشاعة الخوف بين أفراد الشعب أو بين قطاع منهم) ([1]) وبين وصف للأنشطة المجرمة على خلفية الفعل الإرهابي كما في القانون الإيطالي في المواد(٤٢٠/ ٤٢١) (٢)

---

1)Clive Walker, The Prevention of Terrorism in British Law, Manchester University Press,1992,p.3

٢) محمد مؤنس محب الدين: الإرهاب في القانون الجنائي: دراسة قانونية على المستويين الوطني والدولي، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٢١٠

وعلى مستوى الدول العربية عرفت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب بأنه:"كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت دوافعه أو أغراضه يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض الموارد الوطنية للخطر).

وصدر عن الاتحاد الأوربي تعريف للإرهاب عام ٢٠٠٢ م بأنه: " أعمال ترتكب بهدف ترويع الأهالي أو إجبار حكومة أو هيئة دولية على القيام بعمل أو الامتناع عن القيام بعمل ما أو تدمير الهياكل الأساسية السياسية أو الدستورية أو الاقتصادية أو الاجتماعية لدولة او هيئة دولية أو زعزعة استقرارها".

وهناك من الباحثين من يرى أن مصطلحات من قبيل "الإرهاب الدولي" و"الحرب على الإرهاب " محملة بقدر كبير من الشحنات العاطفية التي تتضمن الإدانة المبدئية، ويجب الحذر من إطلاق مثل هذه المفاهيم وتعميمها حيث لم يتفق المتخصصون علي تعريف محدد للإرهاب برغم النمو الشديد في حجم هذه الظاهرة والاهتمام المتزايد بها، مما يزيد من صعوبة الاتفاق علي تعريف لظاهرة الإرهاب، وهذا يزيد من صعوبة الاتفاق على علاج لها.([١])

وإذا كانت القوانين تعتبر الجريمة فقط ما ينص عليه القانون من سلوك ينتهك القواعد الأخلاقية التي وضعت لها الجماعة جزاءات ذات طابع رسمي".([٢]) فإن التحديد الاجتماعي يوسع دائرة الأفعال المجرمة ويجعل الجريمة

١) عبد العليم محمد، الحرب الأميركية على الإرهاب في المنظور الأخلاقي، أرشيف جريدة الأهرام.

٢) محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع.

هي كل سلوك تعتبره الجماعة عن حق او عن وهم- أنه ضار بمصلحتها الاجتماعية ومهددا لكيانها سواء نص عليه القانون أم لم ينص على ذلك" ([1])

٢) تعريف الإرهاب الإليكتروني:

مفهوم " الإرهاب الرقمي " ذي الدوافع السياسية أو غير السياسية، تعريفه بأنه الإرهاب الرقمي: (Digital Terrorism) أو الإرهاب الإلكتروني (E. Terrorism) أو الإرهاب السيبيري (Cyber Terrorism) ونقصد به: "العدوان او التخويف أو التهديد ماديا أو معنويا باستخدام الوسائل الإلكترونية الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان دينه أو نفسه أو عرضه أو عقله أو ماله بغير حق" ([2])

وفي موسوعة ويكبيديا "الإرهاب الرقمي" هو "استخدام التقنيات الرقمية لإخافة وإخضاع الآخرين"، أو القيام بمهاجمة نظم المعلومات على خلفية دوافع سياسية أو عرقية أو دينية".([3])

ويعرفه آخرون بأنه:" هجمات غير مشروعة أو تهديدات بهجمات ضد الحاسبات أو الشبكات أو المعلومات المخزنة إليكترونيا توجه من أجل الانتقام أو ابتزاز أو إجبار أو التأثير في الحكومات أو الشعوب أو المجتمع الدولي بأسره لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو اجتماعية معينة". ولابد أن يتحقق من فعله عنف ضد أشخاص أو ممتلكات أو إحداث أذي من أجل نشر الخوف أو الرعب وهو يعتمد على إمكانيات علمية وتقنية واستغلال وسائل الاتصال

---

١) جان ماركيزيه: الجريمة ترجمة:عيسى عاشور، ١٩٨٣

٢) عبد الرحمن السند: وسائل الإرهاب الإليكتروني.

3) Business Information Systems. op.cit.

والشبكات المعلوماتية.([1])

ويحدد آخرون " الجريمة الإليكترونية " بشكل موسع فيرون أنها تتضمن:"إلحاق الشلل بأنظمة القيادة والسيطرة والاتصالات وقطع شبكات الاتصال والقيادة عن وحداتها أو تعطيل أنظمة الدفاع الجوي أو إخراج الصواريخ عن مسارها أو اختراق النظام المصرفي أو إرباك حركة الطيران أو شل محطات الطاقة الحرارية والنووية" ([2])

وفي رأي فلاديمير قلوبوف (Vladimir,Golubov) الإرهاب الرقمي هو "جريمة مقصودة تماما بتقدير وإعداد واستخدام غير قانوني للقوة، أو التهديد بالقوة ضد أشخاص أو ممتلكات من أجل إخافة وإكراه حكومة لتأييد أهداف سياسية أو اجتماعية". ويرى أن رواد الجريمة العالمية يبتكرون تقنيات جديدة أسرع من قدرة القانون على ملاحقة هذا التطور". ([3])

ويقرر "جلوبوف" أن المشكلة الحالية للإرهاب الإلكتروني ومحاولات تحديدها ما تزال في بداياتها وإن كان الخبراء يحددون ثلاثة جوانب للجريمة هي:

٣) مهاجمة شبكات الكمبيوتر.

١. تخريب البنية التحتية للمعلومات.

٢. نشر الدعاية الإرهابية.

ويتصل بهذا المفهوم عدة مفاهيم أخرى منها:

---

١) د.حسين بن سعيد بن سيف الغافري، استشاري قانوني – هيئة تقنية المعلومات،دبي. hussain.alghafri@ita.gov.om

٢) مقال للمستشار محمد الألفي، شبكة الإعلام العربي محيط: (WWW.moheat.com)

3)Vladimir Godunov, E. Terrorism; Problems Of Counteraction, Computer Crime Center, May 19, 2004.

أ) مفهوم حرب المعلومات: (Information War)

قدمت كلية الحرب الأميركية تعريفا لمفهوم الحرب الإليكترونية من وجهة نظر العسكرية مفاده:(هي الإجراءات التي يتم اتخاذها للتأثير بشكل سلبي على المعلومات ونظم المعلومات وفي الوقت نفسه الدفاع عن هذه المعلومات والنظم التي تحتويها وتشكل هذه الأنشطة: أمن العمليات والعمليات النفسية والخداع العسكري والهجمات الفيزيائية أو الهجمات على شبكات الكمبيوتر، سرقة المعلومات وتخريب قواعد البيانات وهجمات الحرمان من الخدمات لإضعاف مواقع الخصم.([1])

ب) مفهوم الجهاد الإليكتروني: (E.Jehad)

يشير حسنين إبراهيم إلى القدرة الفائقة للقاعدة على التكيف مع التطورات والتحديات والمتغيرات، ويدلل على ذلك بقدرة التنظيم على ابتداع طرق فريدة للحفاظ على وجوده، عبر تطوير قدراته الواقعية والافتراضية، على الرغم من كثافة الملاحقة في ظل معركة الحرب على الإرهاب.

ويرى أن التنظيم استطاع إيصال رسالته الجهادية عبر تقنيات حديثة، وتحقيق إستراتيجية اليكترونية للتجنيد والتنفيذ واختيار الأهداف لدى جهادي القاعدة. ويدلل بذلك على تجنيد كل من "نضال حسن" و"عمر الفاروق" و"همام البلوي".

فالعامل المشترك بينهم رغم أنهم لا يعرفون بعضهم هو "الفضاء الإليكتروني" وممارسة الجهاد من العوالم الافتراضية التي نتجت عن الثورة الرقمية في سياق العولمة.

ونقل عن "جبرائيل ويمان" وجود أكثر من (٦٠٠٠) موقع للقاعدة، وهناك مئات المواقع تظهر وتختفي في سياق "حرب الشبكات" بين التنظيمات الإرهابية والجهات الاستخباراتية، منها مركز "سحاب" والمركز الإعلامي ومركز "صوت الجهاد" وغيرها.

---

1)Business Information Systems,op.Cite

ويعد الجيل الثالث للقاعدة هو جيل رقمي بامتياز يستخدم الإنترنت في كل الأنشطة نشرا وتجنيدا وتدريبا وهذا النوع يمثل تحديا حقيقيا للحرب على الإرهاب.ويقسم توفيق مواقع القاعدة إلى ثلاثة هي:

- مواقع رسمية تمثل مواقع المنظمات الجهادية والشيوخ منظري التنظيم.
- المنتديات والمدونات الشخصية الجهادية.
- مواقع ذات طبيعة مختلفة تصنف كمواقع للتوزيع([1])

إشكالية مفهوم الإرهاب الإليكتروني: (E. Terrorism)

تمتد إشكالية المفهوم من ظاهرة الإرهاب عموما إلى تحديد المفهوم في الجرائم المعلوماتية، فهناك خلاف حول تعريف "الإساءة" في استخدام نظم المعلومات الواجب تجريمها، والأنشطة الممكن تجريمها، ويبدو أنه اختلاف بين الحضارات والثقافات يزيد من صعوبة إيجاد اتفاقيات دولية لمواجهة الجرائم الإليكترونية، وذلك لتعقد المشكلات الفنية والقانونية الخاصة بالرقابة على النظم المعلوماتية خارج الحدود.وجمع الأدلة..إلخ

تعريف إجرائي للإرهاب الإلكتروني:

يعرف عادل عبد الصادق الإرهاب الإليكتروني إجرائيا على أنه:"استخدام الفضاء الإليكتروني كأداة لإلحاق الضرر أو تعطيل البنية التحتية القومية الحرجة (الطاقة، المواصلات، عمليات الحكومة) ويدخل الإرهاب الإليكتروني ضمن الأنواع الأخرى التي تصب في اتجاه هدف سياسي واحد والتي قد تتحالف مع الجريمة أو تكون إحدى أدواتها.ويأتي من نتائج التفاعل فيما بين العالم المادي والإفتراضي".

---

١) حسنين توفيق إبراهيم: تنظيم القاعدة.. أسباب الاستمرارية وعوامل البقاء،مركز الجزيرة للدراسات – قسم البحوث والدراسات، يناير ٢٠١٢ م

ثالثاً: خصائص الإرهاب الرقمي:

يتميز الإرهاب الإليكتروني بسمات خاصة منها:

- الإرهاب الإليكتروني لا يحتاج للعنف المادي أو القوة المادية.
- الإرهاب الإليكتروني جريمة متعدية للحدود وعابرة للثقافات.
- يصعب اكتشاف الفاعلين لهذه لجرائم الإرهاب الإليكتروني.
- صعوبة الإثبات في الإرهاب الإليكتروني لسرعة اتلاف الأدلة.
- إمكانية تعاون أكثر من فاعل أو تنظيم في القيام بحدث إجرامي معين.
- مرتكب الجريمة غالبا متخصص في تقنية المعلومات.
- الإرهاب الإليكتروني سلاح غير دموي في مجتمع يعتمد على شبكات الاتصالات والتهديد لأمن الوطن.
- خسائر الإرهاب الإليكتروني فادحة في تهديد الاقتصاد العالمي. ويمكن أن يتسبب في أزمات وانهيار للأسواق نظرا لان تأثيره على الشبكات المعلوماتية كبير جدا.
- أصبحت الوثائق التي تشرح استراتيجيات في عصر جديد من الحرب المعلوماتية متاحة حتى الـ (Source Code) والوثائق التقنية تحتوى على بيانات حول تحليل كافة التوجهات في المجتمع المعاصر.

رابعا: أهداف الإرهاب الإلكتروني:

تتحدد أهداف الإرهاب الإلكتروني فيما يلي:

- نشر الخوف والرعب بين الأشخاص والدول والشعوب.
- الإخلال بالنظام العام والأمن والمعلومات وزعزعة الطمأنينة.

- تعريض سلامة المجتمع وآمنه للخطر.
- إلحاق الضرر بالبنى المعلوماتية التحتية وتدميرها.
- الإضرار بوسائل الاتصالات وتقنية المعلومات أو بالأموال والمنشآت العامة والخاصة.
- تهديد السلطات العامة والمنظمات الدولية وابتزازها.
- الانتقام من الخصوم.
- الدعاية والإعلان وجذب الانتباه والاهتمام وإثارة الرأي العام.
- جمع الأموال والاستيلاء عليها.

خامسا: العوامل المساعدة على وقوع جرائم الإرهاب الإليكتروني:

تكلمنا عن العوامل العامة لإنتاج فكر وتوجهات متطرفة تعبر عن نفسها بالعنف والتهديد والترويع عبر وسائل مختلفة ولكن الإرهاب الرقمي له أسباب خاصة منها: ([1])

١- ضعف شبكات المعلومات وقابليتها للاختراق.

٢- اختفاء الحدود الجغرافية وتدني مستوى المخاطرة للفاعلين.

٣- سهولة الاستخدام وقلة التكاليف.

٤- صعوبة اكتشاف وإثبات أدلة على الجريمة الإرهابية.

٥- الفراغ التنظيمي والقانوني وغياب آليات السيطرة والرقابة الدولية على شبكات المعلومات.

---

١) عبد الله العجلان، الإرهاب الإليكتروني في عصر المعلومات، ٢٠٠٨م

سادسا: خطورة الإرهاب الإليكتروني:

ليس أدل على خطورة ظاهرة الإرهاب من أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أحدثت تغييرا جذريا في توجهاتها وأساليب عملها وسياساتها وتعاملها مع الإرهاب ومحاربته، مع إحداث تغيير جذري في علاقاتها مع الحلفاء والأصدقاء، وفي سن تشريعات وقوانين وتغيير أنظمة، وإنشاء مؤسسات أمنية ودعائية وإعلامية لهذا الغرض.

وقد نتجت هذه التغيرات من عمل اللجنة المتخصصة التي تشكلت بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م لدراسة ما حدث وكيف حدث وكيف يتم تفاديه مستقبلا" ([1])

الإرهاب الرقمي هو حرب معلومات ضد القطاع الخاص والحكومات والأنظمة العالمية للتأثير ويعرف على " أنه استخدام للتكنولوجيا ضد التكنولوجيا، أسرار حول سرقة الأسرار، إنه تحويل للمعلومات ضد ملاكها وصناعها. إنه رفض للخصم واستخدام أدواته في الوقت نفسه من أجل الحصول على المعلومات التي تعتمد عليها الحكومة ومجتمع الأعمال من قبل إرهابيين لكي يصنعوا منها استراتيجيات لإحداث فوضى. ويدخل في ذلك أعمال "الهاكرز" الذين يستطيعون بأجهزة رخيصة الثمن إحداث تدمير هائل للشبكات العالمية بطرق متزامنة وإرسال فيروسات لتدمير "سيرفرات" حول العالم".

مع ذلك يلاحظ الخبراء من أمثال (Hayward, Douglas.1997) أنه رغم تقدم بعض المنظمات الإرهابية في استخدام الإنترنت فإنها ما زالت تجهل

---

1)The 11/9 Commission Report, Final Report For National Commission On Terrorist Upon The United States , WW.Noron & Company New York, first Edition,2004

اكتشاف الإمكانات الكامنة في حرب المعلومات.

ويبدو أنه كلما تقدم العالم في مجال التكنولوجيا كلما كان أكثر عرضة للتهديدات الإرهابية الرقمية. ومما يزيد المشكلة تركيز الإعلام على الحوادث الإرهابية التقليدية واهتمام إعلامي أقل بحوادث الإرهاب الرقمي. وبغض النظر عن احتمالية نمو الإرهاب الرقمي عبر الإنترنت فإن الإحساس العام ما يزال يتجاهل المخاطر التي تتضمن في المجتمع المعلوماتي ولديه شبكات هشة من حيث الحماية. ومهما يكن من دعوات لإجراءات حماية قوية، فإن إجراءات الحماية صارت أكثر تعقيدا ضد التهديدات المحتملة لحرب المعلومات.(1)

ويعرض "فلاديمير جلوبوف" مواقف الخبراء من خطورة الجريمة الإرهابية الرقمية فيرى أن هناك من يعتقد أن هذه الهجمات خطرة ولا يمكن تفاديها وأن لها نتائج كارثية.

وفريق ثان يرى أن هذه الهجمات محدودة ويمكن أن تكون مساوية في آثارها لعاصفة قوية.ويضيف بعض المختصين أن الهجمات عبر الإنترنت مجرد سلاح للإعلان الجماهيري، أو " بروباجندا"، ليست أكثر إيذاء من قطع شبكات الطاقة أو تأخر الطيران وانقطاع شبكات الهاتف التي تحدث كل يوم، ويقلل جيم لويس من خطورة "الهاكرز" الذين يمكن أن يعودوا بالدولة إلى الماضي ويرى أن ذلك أمر مبالغ فيه".

في حين يرى "دال واطسون" مساعد المدير التنفيذي لـ (FBI) لمواجهة الإرهاب أن تهديد الإرهاب الإليكتروني يبدو أكثر خطورة مما يتوقع. (2)

---

1 (Devost, Matthew; Political Aspects Of Class 111 Information Warfare ; Global Conflict and Terrorism. Online. Internet.Available; WWW.mnsinc.com /mdevost/montreal.htm1

2 (Noah Shaschtman, Terrorists online, who cares?

ويرى "واطسون" أن الإرهاب توسع بشكل لا يصدق بسبب انتشار الإنترنت، ويقرر أن التهديد لا يقع فقط بقطع نظم المعلومات للحكومة وهيأتها للدخول على قاعدة بيانات أو معلومات سرية تتبع الخدمات الخاصة، بل الخطر الأكبر يقع في المواقع وشبكات الكمبيوتر، وباستهداف ومهاجمة هذه الأهداف فإنهم ينجزون الدخول على المعلومات السرية المعدة لمحاربة الإرهاب ذاته.

وفي رأي "جلوبوف": فإن إرهابيو الإنترنت يدخلون على معلومات سرية لأشخاص وسجون ونظم الحياة، وطبقا للقانون لو فقدت شركة ٢٠ % من ثقة معلوماتها فإنها تتعرض للإفلاس.

سابعا: تحديات الإرهاب الرقمي:(Challenges Of E. Terrorism)

توجد جملة من التحديات في طريق مواجهة الإرهاب الإليكتروني:([1])

١) لا يمكن التنبؤ بهجمات الإرهاب الرقمي في الوقت الطبيعي، لسريتها وخفائها، فالهجوم يحدث في أي وقت ومن أي مكان، ومن أي مستخدم قد يكون مراهق يبحث عن الإثارة أو من منظمات إرهابية وإجرامية.فهل نستطيع التعرف على هؤلاء المسئولين عن هذه الهجمات، يبدو أن التكنولوجيا لا تحل هذه المشكلة في المستقبل القريب.

٢) التعقيد والاختلاف في قوانين الحكومات على مستوى العالم مما يسبب صعوبة جمع الأدلة والعمل على الإنترنت مستمر. إن التحذير

1)Anti-online Organization Homage Available; http//WWW.Antionline.com

والبحث مشكلة أيضا. وإن تعديل الإجراءات والقوانين في دول عديدة يتطلب جهدا ووقتا ومبادرات طويلة الأمد.

٣) إن الكفاح المستمر والكفء ضد جرائم الإرهاب الرقمي هو المفتاح للحفاظ على الأمن ليس فقط في محاربة الإرهاب الرقمي بل في مواجهة أنواع جديدة من الإرهاب والجريمة المنظمة.ومع ذلك يطرح (Peter S. Probst) فرصا للحل منها:

٤) تنظيم تعاون كاف مع الدول الأخرى والإفادة من تجارب مؤسسات القوانين والمؤسسات الخاصة لمحاربة الإرهاب الرقمي والجريمة الحاسوبية العابرة للحدود.

٥) إنشاء وحدات وطنية لمحاربة الإرهاب الرقمي ومركز للاتصال العالمي للمساعدة في الاستجابة للحوادث الحاسوبية العالمية.

٦) توسيع التعاون العالمي في مجال المساعدة القانونية لمحاربة الجرائم الحاسوبية.

٧) قبول الاختلاف في القوانين حول الأمن الإليكتروني (E.Security)

٨) طبقا لتوسيع المعايير الدولية وما تضمنته معايير لجنة ١١/ ٩ لمكافحة الإرهاب الرقمي والتي منها:

١- منع التمويل والدعم للأعمال الإرهابية.

٢- وضع توصيف إجرامي لكل فعل يجمع أموال لتمويل أفعال إرهابية.

٣- إغلاق حسابات تمويلية أو حسابات أشخاص ينفذون أو يحاولون ارتكاب أفعال إرهابية.

٤- إيجاد فرص لنشر التبادل المعلوماتي بغرض منع الأفعال الإرهابية.

٥- رفض مبررات الدعم والتمويل والتخطيط لأفعال إرهابية.

٦- تقديم المساعدة للتحقيقات المتصلة بالتمويل أو مساندة الأفعال الإرهابية.

٧- منع حماية الإرهابيين بالمساعدة او الحماية.

٨- تقديم العون عبر الاتفاقيات الثنائية والجماعية والاتفاقيات بهدف منع الأفعال الإرهابية.

٩- المشاركة في تبادل المعلومات عبر اتفاقيات ومعاهدات لمحاربة الإرهاب العالمي.

وإن كفاءة محاربة الإرهاب حول العالم سوف تتحدد بإنجاز ما سبق بمحاولة هل المشكلة وليس السعي لإنجاز أهداف سياسية.

ثامنا: جهود مكافحة الإرهاب الإلكتروني:

- إن الصعوبات في ملاحقة الإرهاب الإليكرتوني لا تعني وجود فراغ في الاهتمام العالمي بهذه الجرائم، فقد اتخذ مؤتمر الأمم المتحدة الثامن لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين المنعقد في "هافانا" قرارا متعلقا بالجرائم ذات الصلة بالحاسب الآلي، وأوصى الدول الأعضاء ببذل الجهود في مكافحة عمليات إساءة استخدام الحاسب الآلي التي تستدعي جزاءات جنائية ومن ذلك:
- تحديث الأنظمة والإجراءات الجنائية، واتخاذ تدابير من أجل ضمان أن تكون الجزاءات بشأن سلطات التحقيق وقبول الأدلة ملائمة.
- النص على جرائم وجزاءات وإجراءات تتعلق بالتحقيق والأدلة للتصدي لهذا الشكل الجديد من الفعل الإجرامي.

وعلى المستوى الدولي أوصى المؤتمر الدول الأعضاء بما يلي:

١) تطوير معايير دولية لأمن المعالجة الآلية للبيانات.

٢) اتخاذ تدابير ملائمة لحل مشكلات الاختصاص القضائي التي تثيرها الجرائم المعلوماتية العابرة للحدود أو ذات الصبغة الدولية.

٣) تطوير اتفاقيات دولية تنطوي على نظم وإجراءات التفتيش والضبط المباشر الواقع عبر الحدود على الأنظمة المعلوماتية المتصلة فيما بينها، والأشكال الأخرى المساعدة والمتبادلة مع كفالة الحماية في الوقت نفسه لحقوق الأفراد والدول.

- طرق مقترحة لمحاربة الإرهاب الإليكتروني:

يطرح باحثون مجموعة طرق لمعالجة الإرهاب الإليكتروني منها:

١) وضع مفهوم محدد للجريمة الإرهابية والاتفاق حوله.

٢) التصدي الجماعي للظاهرة بالطرق العلمية والإعلامية والقانونية.

٣) التعاون والتنسيق بين مختلف الأطر الوطنية والدولية، الرسمية والأهلية.

٤) تنشيط سن تشريعات وقوانين وطنية للحد من الظاهرة.

٥) عقد وتفعيل اتفاقيات دولية دائمة وشاملة وموضوعية.

٦) تقوية منظمات وشبكات ونظم المعلومات وحمايتها.

تاسعا: حكم ممارسة الإرهاب من المنظور الإسلامي:

جماعات العنف ترى أن الإرهاب أحد طرق الجهاد المطلوبة و" أن تعلم المجاهدين للحاسبات واستخدام شبكة الإنترنت وكل ما يتصل بالإعلام والأفلام

وآلات التصوير والمونتاج وغيرها مما يلزم للجهاد أمر ضروري. ([1])

أما وفقا للتحديد القانوني والتحديد الاجتماعي والتحديد الديني لعلماء المسلمين عموما، يعد الإرهاب بما يشتمل عليه "جريمة"، ولا يوجد خلاف بين علماء الشريعة المعتبرين على أن ما تتبناه جماعات العنف التي تنتسب إلى الإسلام من مقولات فقهية ليست ذات صلة بالشريعة، وإنما تقوم على فلسفة مغلوطة، وهي نتاج فقه خاص تدعيه هذه الجماعات وتحاول إكسابه معاني مختلفة، وتستخدم لذلك أطر ومفاهيم عامة تحدد لها واقعا محددا ولا يوجد إجماع بين العلماء على ما يعضد هذه الفلسفة، لأن الفقه الخاص يعتمد على المتشابهات وليس المحكمات، ويستند للجزئيات ويهمل الكليات ويتمسك بالظواهر، ويغفل المقاصد، ويضع الأدلة في غير موضوعها أو يخرجها من سياقها، وفي النهاية تقدم هذه الجماعات نفسها على أنها ذات مرجعية فقهية تبرر العنف بل وتحاول ترويج ذلك لكسب مؤيدين مستغلة العاطفة الدينية لتبرير العنف دينيا.

والإرهاب كـ "فعل مجرد " يشتمل على الترويع ونشر الرعب وإلحاق الضرر بالأشخاص والهتك وقتل النفس، وكل فعل من هذه الأفعال في نظر الشريعة الإسلامية يعد فعلا إجراميا عدوانيا تجرمه الشريعة سواء ارتكبه فرد أو جماعة وتعده محاربة لله ولرسوله وفساد في الأرض.

خلاصة:

العناصر التي اشتملت عليها التعريفات المختلفة قانونيا واجتماعيا ودينيا للجريمة الإرهابية، وهذه العناصر هي:

---

١) عز الدين الرصافي: جهاد من لم يحضر الجهاد،، سلسلة بدمائهم نصحوا، منشورات مركز الفجر للإعلام، ١٤٣١ هـ

- الإرهاب يشتمل على مجموعة جرائم مثل الترويع والتخويف والإكراه وبث الفوضى وهي جرائم يعاقب عليها القانون.
- الإرهاب فعل محرم دينيا ومعاقب عليه في الشريعة الإسلامية.
- الإرهاب فعل ينطوي على استخدام العنف القولي أو المادي.
- الإرهاب ينطوي على التهديد باستخدام العنف القولي أو المادي.
- الإرهاب سلوك رمزي بمعنى أن الضحية قد لا تكون هي المقصودة من الفعل.
- الإرهاب يتميز ببروز الدافع السياسي وراء الفعل.
- الإرهاب جريمة متعددة الأبعاد: فهناك إرهاب فكري وإرهاب مادي وإرهاب رقمي.. وهكذا

عاشرا: نحو نموذج نظري لتفسير الفعل الإرهابي باعتباره عملية اتصالية: (١)

-العلاقة بين الإرهاب والإنترنت:

يحدد البعض مسارين لاستخدام الإرهاب لشبكة الإنترنت هما: (٢)

١- ممارسة أعمال تخريبية لشبكات الحاسب والإنترنت بشن هجمات عسكرية واقتصادية وأمنية ضد هذه الشبكات لدولة أو عدة دول.

---

١) عمر عبد الحكيم (أبو مصعب السوري): نظرية الإعلام والتحريض لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ١٤٢٥

٢) عبد الله بن عبد العزيز بن فهد العجلان، "الإرهاب الإلكتروني في عصر المعلومات"، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الأول حول "حماية أمن المعلومات والخصوصية في قانون الإنترنت", والمنعقد بالقاهرة في المدة من ٢ – ٤ يونيو ٢٠٠٨م. والمؤلف: عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وعضو الجمعية الدولية لمكافحة الإجرام السيبيري بفرنسا.

٢- الإنترنت منبر لجماعات العنف والأفراد لنشر رسائل الكراهية والعنف وللاتصال ببعضهم البعض. وتستخدم الشبكة بشكل متفرق ومتنوع من قبل منظمات إرهابية.

- **أهداف الإعلام والاتصال من التعامل مع شبكة الإنترنت:**

١) التنقيب عن المعلومات المهمة عن المنشآت الحساسة والدول والمواقع وتشكل هذه المهمة ٨٠ % للإرهابيين.

٢) وتشكل عملية الاتصالات حيزا مهما من استخدامات المنظمات الإرهابية للنت لقلة تكاليفها وسهولة الاستخدام.

٣) كما تستخدم الشبكة من قبل المنظمات الإرهابية للتجنيد والتعبئة، وكذلك إصدار التعليمات والتلقين والتدريب على أشياء مطلوبة.

٤) التخطيط والتنسيق فيما بين الأفراد او المنظمات الإرهابية عبر البريد أو غرف الدردشة.

٥) الحصول على التمويل حيث يتم توجيه خطاب للأفراد والشركات لجمع أموال سواء بشكل مباشر وطلب دعم أو لأغراض وهمية تعمية على المتبرعين.

نحو نموذج للاتصال الإرهابي:

أقترح وضع نموذج نظري بعنوان:(الحاجات المتبادلة بين الإعلام والإرهاب) (Model) Mutual needs

تأسيسا على ما طرحه كلا من (Gabreil Weiman, Hans-Bernd Brosuis) حيث استخلص الباحث مما سبق إمكانية بناء نموذج تفسيري لعلاقة وسائل الإعلام بالفعل الإرهابي من حيث أهداف القوى الفاعلة،و القوى المستفيدة من

الفعل الإرهابي ومن الإعلام. ومن حيث أهداف كل منهما ووظائفه. هذا النموذج يحتوي على أهداف وميكانيزمات ونتائج:

١- **الأهداف والوظائف**: بينما تعد أهداف الفعل الإرهابي هي التهديد والترويع للحصول على نتائج معينة، وتوصيل رسائل لأطراف أخرى، فإن أهداف الإعلام هي إمداد المتلقي بمعلومات صادقة عن الفعل ومرتكبيه والإجابة عن الأسئلة الخمسة (من فعل ماذا؟ متى وأين؟ وبأية وسيلة؟ولماذا؟)

٢- **الأطراف:** أطراف الفعل الإرهابي هي الإرهابي نفسه، الفعل (دعاية أو عنف مادي)،المتلقي (فرد – جماعة – نظام – جمهور عام) النتيجة أو الأثر (قبول أو رفض مطالب الإرهابي – الأثار النفسية والمادية) الوسيلة إما أن تكون فعلا ماديا مباشرا على الأرض أو خطابا إعلاميا دعائيا يستثمر وسائل الإعلام القديمة والحديثة، وأما الرسالة فهي المضامين الكامنة خلف الفعل الإرهابي أو الظاهرة في الخطاب (سياسية– نفسية – دينية) وأخيرا السياق الذي يتم فيه الفعل الإرهابي – مكانيا وزمانيا – ثم رجع الصدى من قبل المعنيين أو المتلقين

٣- **الميكانيزمات:**

(ميكانيزم الحاجات – ميكانيزم الإلزام – ميكانيزم العوائد)

أ) **ميكانيزم الحاجات**: The Mechanism Of Needs

كل مجتمع ينشد تحقيق الأمن والسلامة لجميع أفراده ومكوناته في كل المجالات ويرفض التهديدات والمخاطر التي توجه إليه والفعل الإرهابي يعمد إلى تحقيق أهدافه خارج الإطار القانوني لهذا المجتمع ولذلك يعد تهديدا مباشرا، وحدثا مؤثرا يسترعي

ويستدعي اهتمام السلطات الرسمية والمتأثرين ووسائل الإعلام.

كل نظام سياسي ملتزم بحكم العقد الإجتماعي بحماية من ولاه الحكم ولذلك فهو ملزم بمكافحة كل صور التهديد. وإلا يعد في نظر الشعب مقصرا.

وسائل الإعلام لها وظائف مثل الإخبار والتفسير والتثقيف والترويح والترويج وعليها التزام أن تفي بحق المجتمع في المعرفه ومتابعة الأحداث التي تقع حسب الإطار الذي تعمل فيه (إطار رسمي أو إطار شعبي)

إذن كل الأطراف (الإرهابي وسلطات المكافحة والجمهور ووسائل الإعلام) لها حاجات متباينة تلتقي عند ضرورة النشر والعلانية للفعل الإرهابي.

ب)ميكانيزم الإلزام: The Mechanism Of Obligation

- الفعل الإرهابي بدون علانية يظل محدودا وغير مؤثر؛ لأن الأثار الرمزية هي المستهدفة من الفعل الإرهابي ولذلك فهو ملتزم بالنشر عن نشاطاته.
- السلطات الرسمية بحاجة إلى النشر عما يقع في المجتمع وبيان دورها في معالجته وحسن سير الأمور وطمأنة المجتمع على أن التهديدات محل إهتمامها وهي تحت السيطرة.
- الجمهور العام لكي يتجاوب مع مطالب القوى الفاعلة لابد له من معلومات وتغطيات متكاملة للحدث الإرهابي لكي يتمكن من بناء رأي أو اتجاه نحو الفعل.
- وسائل الإعلام ملزمة سواء قبل النظام القائم أو السياق الذي تعمل فيه أو أمام الملاك بالوفاء بحق الجمهور في المعرفة الصادقة وإلا تعد مقصره في وظيفتها ولذلك فهي ملزمة بالنشر عن الفعل الإرهابي وجهود المكافحة معا

ت)ميكانيزم المنافع: The Mechanism Of Benefits

وفقا لهذا الميكانيزم فكل الأطراف رابحة في عملة الإتصال الإرهابي. فالإرهابي رابح بتوصيل رسالته عبر عملية إتصال غير مكلفة وعلى نطاق واسع وبشكل عاجل ومتنوع لعموم المتلقين وبخاصة في ظل المستجدات الحديثة وظهور الإعلام البديل التي لا تسيطر عليه السلطة.

سلطات المكافحة والقانون رابحة أيضا لأنها تتعرف على فكر ووسائل الفاعل الإرهابي وفهم عقلياته والاستعداد لسلوكه والإحتياط له.كما أنها رابحة من جلب تغطية إعلامية مجانية لجهود مكافحة الفعل الإرهابي.

أما وسائل الإعلام فهي رابحة من عدة أوجه:

الوجه الأول: أنها تحقق وظيفتها من الإخبار والتفسير والتعبير عما يحدث، وتربط الجمهور بها أكثر حين تحقق له السبق في المعرفة والمصداقية في التحليل وهذا العامل يكاد يكون أهم أهداف وسائل الإعلام (الإستحواذ على أكبر عدد من الجمهور لأطول فترة ممكنة، مما يحقق العائد المالي ورضا المالكين).

الوجه الثاني: هو دعم النظام القائم التي تعمل في سياقه ويوفر لها الشرعية والحماية.

شكل مبسط لنموذج الاتصال الإرهابي

التهديد - المعرفة:

- تؤثر الحاجات على أطراف عملية الاتصال الإرهابي، فتدفع كل منهم لتحقيق أهدافه من خلال "العلانية" لأنشطته وأفعاله.
- العلانية تتطلب أن تكون عامة وعاجلة ومنتشرة ومتنوعة، وهذا

متحقق في وسائل الإعلام الدولية. حاجة وسائل الإعلام لملء ساعاتها بمادة ذات قيم إخبارية عالية يدفعها للنشر أيضا.

- المنفعة تكون مادية أو معنوية: كل أطراف عملية الاتصال الإرهابي يحصلون على منافع وهذا يدفعهم للاهتمام بالمشاركة في عملية الاتصال وإنجاحها. كل الأطراف والقوى الفاعلة والمشتركة في الفعل الإرهابي سواء أو المنفذ او المكافح أو وسائل الإعلام ليس أمامها خيار في ألا تعلن وليس لها قدرة على أن تخفي الحدث، وهي ملزمة أمام المجتمع بأن تؤدي وظيفتها. وهذا النموذج المقترح بلا شك بحاجة إلى تطوير مستقبلا.

تفعيل الإعلام الدولي لمواجهة ظواهر الإرهاب:

إن تيار العقل تمثله " القيادات الفكرية " في الجامعات ومراكز البحث والتحليل وتقديم المشورة لخدمة السياسات وخطط الحكومات وتقود مسيرتها كقيادة فعلية موجودة فى كل أمة وكل حضارة.وفي وسائل الإعلام وقنوات الاتصال المباشر وغير المباشر والاتصال الحضاري.

و القاريء لتاريخ التفاعل المتبادل بين الشرق الإسلامي والغرب، سيجد أن المسيحيين والمسلمين على حد سواء، كانوا يتصفون دائماً بإدراكهم الرابطة الروحية المشتركة – وإن كانت محدودة الأبعاد – التي ترجع إلى التقليد الإبراهيمي الشرق أوسطي، وفي الوقت نفسه كانوا يدركون التمايز الجوهري بالنسبة لخبراتهم في المجال الثقافي الأيديولوجي.

وانطلاقا من قوله سبحانه: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.

فاختلاف الشعوب له غاية جليلة أرادها الله سبحانه وتعالى وهو التعارف، وهذا التعارف له ظواهر منها: اللقاء على مودة وتراحم في أمن وسلام. والتعاون على أن ينتفع الإنسان بكل خيرات الأرض وتكريم الإنسان في هذه الأرض.والتعارف يقود إلى التعاون المستمر البناء الذي يفيد الإنسانية كلها.

ويرى الدكتور أحمد السايح:" أن منهج الإسلام يعلّم المسلمين، ويؤكد عليهم: أن البشرية مدعوة بأمر بها – جل شأنه – للتعارف، والتعايش، وفق القيم، والمعايير الربانية على اختلاف أجناسهم، وأعراقهم، وأديانهم، وألوانهم.

إن على شبكات الإعلام الدولي بداية العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة والتحذير من خطورة عملية بناء الخلفيات العدائية بين الثقافات. وتأكيد أن القيم الثقافية جزء من التفاعلات السياسية والاقتصادية بين الحضارات. وأنه لا بديل عن التواصل الثقافي إلا الحرب في عصر العولمة أصبح الحوار بين الثقافات والحضارات هو السبيل الوحيد الذي يمكن سلوكه اذ لا بديل عنه سوى حوار السلاح, ومن يتقوقع على نفسه ويبحث عن العزلة فلن يستطيع التأثير في اي امر, ولن يستطيع ايقاف التحولات الحاصلة في العالم. بل انه بذلك يتنازل طواعية عن الإسهام في التحكم فيها. ومن يعرف قوة الأدلة حق معرفتها ويثق في مفعولها ذي المدى البعيد, فانه سيستفيد من الفرص التي تتيحها.

ولعل وظائف الإعلام الدولي في هذا المجال تتركز في محاولة اكتشاف المساحات المشتركة المتاحة لدى الأطراف المختلفة والتي يمكن أن تشكل أولويات ونقاط التقاء وتفاهم متبادل.وأيضا كشف أعداء التوجهات العقلانية ووضع مناهج للتعامل معهم والسعى إلى تحييدهم –على الأقل – وتعد الأطر المشتركة أهم أرضية ينمو من خلالها برنامج التعارف الثقافي والحضاري.وبقدر

النجاح في مرحلة الاكتشاف يمكن التنبؤ بنتائج العمل.

ثم هناك وظيفة "التوجيه" بحيث يكون للإعلام الدولي دور في إلقاء الضوء على العوامل المواتية والمجالات التي تحتاج إلى عناية في مختلف الثقافات، وتعزيز التعددية والاحترام المتبادل وإتاحة مناخ للانتفاع والتخصيب الثقافى بين الحضارات المتعارفة لتتمكن كل ثقافة من الإسهام فى الحضارة الإنسانية على أسس تكاملية وبخاصة في عالم الوسائل. ودعم تبنى أفكار من شانها معالجة روح الغضب والانتقام وتعميق الحاجة لدور العقل وثمراته للوقاية من الآثار الناجمة عن الأزمات بين الحضارات، واتخاذ تدابير وقائية فكرية وثقافية للتقليل من احتمالات الصدام بين الحضارات.

إن الإعلام الدولي يستطيع بناء الصور المرغوبة عن الحضارات وإزالة التصور المشوهة، وبإمكانه التعريف بالقيم العليا لكل حضارة، والإنتاج الفكري. والتعريف بنماذج الأبطال والشخصيات المقدسة فى كل حضارة.

التعريف بالمصالح والانتفاع المتبادل

* **خطوات تنفيذية :**

(١) قبل توجيه الخطاب الأساسي إلى النخبة الغربية لابد من قراءة منتجاتها الفكرية والبحثية عن الإسلام والمسلمين قراءة صحيحة واحترام عقليتها ومنهجيتها الفكرية،وحسن التعاطى معها وفق تصور بعيد المدى.

(٢) تكثيف حركة الترجمة لكل ما يتم نشره فى الغرب حول الإسلام والمسلمين وذلك بهدف رصد مكامن الخطر فيها وتمحيص مضمونها ومناقشته مع العقلانيين المنصفين للتوصل إلى صناعة الصورة الصحيحة للمسلمين فى الأدب والإنتاج الإعلامى والثقافى.

(٣) إعادة النظر فى حامل الخطاب الإسلامي ليكون من خلال استثمار مواطني الدول الغربية المسلمين ودعم مكانتهم فى ملئ الفراغ الناتج عن تراجع العمل الإسلامي فى الغرب بحيث يتحرك المسلمون المقيمون فى الغرب بمهام برنامج التعارف.

(٤) ضرورة تنشيط التعارف الأكاديمي مع التركيز علي الباحثين والشباب المتوقع أن يؤدوا دورا محوريا بالمستقبل والعمل لوضع إطار منظم لأنشطة التبادل والتعارف بين الاطراف المختلفة.

(٥) تنمية المعرفة بالآخر من خلال نظم التعليم بالمراحل التعليمية المختلفة تدريجيا بسياق أعم وأشمل للتعرف علي الثقافات المختلفة بمرحلة مبكرة.

(٦) إنشاء مواقع " للتعارف والتواصل مع النخب الفكرية العقلانية "علي شبكة الإنترنت وقاعدة معلومات باستغلال ثورة الاتصالات والمعلومات الحالية.

وعلى قنوات الإعلام الدولي ان تعمل على تحقيق مجموعةمن الاهداف هي:

- تحقيق مستوى عميق من التعارف والتفاهم،والتوحد على هدف حضاري عام في إطار الحفاظ على الهويات الذاتية.
- تحقيق مستوى عميق من التحاور والتناظر مع الآخر وتغليب التسامح في ضوء ما أرساه الدين من مبادئ.
- تحقيق مستوى عميق من التعاون على الخير والإصلاح وإزالة كل صور الفساد.

خاتمة:

إن التقبل والتسامح بين الإسلام وغيره من الحضارات ظاهرة حسنة وتوجه سليم ولكنها عملية معقدة وطويلة المدى بين أطراف لابد لهم من أرضيات مشتركة ومن أسس علمية ينطلق منها ليكون عملا مثمرا، ولابد من الإجابة على تساؤلات عديدة منها:

أولا: ما نظرة الأطراف المختلفة للإنسان والحياة، لأن القضية تتعلق بالإنسان والحياة، لأن الإنسان محور الحضارة، ومالم يتحقق هذا الاتفاق فلن يتحقق التقبل والتسامح البناء.

ثانيا: ما الهدف من مناقشة التقبل والتسامح: هل التقبل والتسامح لفرض حضارة معينة على بقية الحضارات والأمم، أم هو الاختيار الإيجابي من بين الحضارات؟

إن العصر الحالي يقدم لقضية التعارف ما لم تشهده عصور مضت، وهذا يفرض على الأمم المتحضرة ان تستثمر هذه الإمكانيات الكبيرة العامة والمنتشرة والمتنوعة من أجل السلام والأمن العالميين. وما لم توجد الإرادة لتحقيق هذا التوظيف الرشيد للإعلام الدولي، فإنه سيكون أداة لمزيد من الصراع الثقافي.

فإننا أمام حالة من " الانفلات " تقودها قوى الهيمنة، وتغذيها كوامن الحقد وميراث العداوة والبغضاء فى أرض الإنسانية المتطلعة إلى الحضارة الاخلاقية العالمية التى تعز الإنسان وتحفظ له كرامته ورفاهيته،حضارة الإسلام.

إنها محاولة متواضعة لفهم الذات أولا، وتحديد المسافة بيننا وبين غيرنا ثانيا من منطلق الثوابت الإسلامية التى نعتز بها باعتبارها ذاتية حضارية لأمتنا الإسلامية الراشدة.

إن ما يعتمل في القلب من حسرة على مجمل ما أصاب الأمة الإسلامية،

ينبع من المعطيات التي تثير الدهشة والخوف والاستغراب حول مجمل رصيد العلاقات البشرية المعاصرة،حيث تُطرح أفكار خائفة ومضطربة لايجمعها من أي طرف إطار تلاقي. وهي أفكار في مجموعها لاتنبع من الحرية كما يتصور البعض، وإنما يدفعها التوتر والتذمر والبغض والحب والكراهية، مشاعر وآراء متناقضة متباينة خرج فيها الإنسان– على الأرجح –من الإطار الإيماني الأخلاقي الذي ساد فترات العصور الوسطى ومطلع العصور الحديثة، إلى إطار التمرد أومحاولاته على المنظومة الكونية متصوراً حجماً أكبر لذاته، ساعياً لترفيهها، فبدت ملامح الطغيان والسطو والقهر والإرهاب وغير ذلك من مصطلحات تبحث عن هذا التمرد في التصور الإنساني.

وأمام هذه التوجهات المتناقضة حول الأزمات الثقافية بين الغرب والمسلمين برزت دعوات لتفعيل الحوار والتعارف بين الثقافات والحضارات، في محاولة من البعض للعودة إلى الميراث الأخلاقي، وإعادة الفهم الصحيح لحجم ودور الإنسان تجاه حقائق الكون والطبيعة، وإدراك أبعاد التسخير الإلهي لما في الكون لصالحه فيما يستوجب الشكر والثناء على الهبات الإلهية • وتبدو التوجهات في محاولات أخرى من شرائح بشرية استخدمت فكرة الحوار كسبيل من سبل الهيمنة والصراع والسطو على "الآخر " واستغلال البعض للبعض في تحرك انتهازي استعماري جديد، متخذة من وسائل التقدم التكنولوجي سبلاً لتحقيق أهدافها.وتصاحب هذه المحاولات سبل استسلامية من البعض وأخرى انهزامية كاملة رابطة ذلك بالارادة الألهية، أو في انتظار المخلص أوالمنقذ، وبعضها يحاول البحث عن سبل للخلاص، وبين هذا وذاك يسعى فريق للبحث عن إطار يسهم في خلاص الإنسان من نتاج صراعه الحالي أو التخفيف من النتيجة الحتمية المدمرة،وهو مايراه البعض في مطروح الحوار مع الآخر أو "حوار الحضارات " مهما كان غرض الذين طرحوه أو محاولاتهم لتوجيهه.

ففى الوقت الذي يسعى فيه "الآخر " لفرض مفهوم العولمة بقصد إذابة

مايسمونه –فى الغرب –بالجيوب الحضارية الباقية بخلاف الحضارة الغربية وبشكل كاسح يتجه إلى ضرورة أوحتمية الهيمنة، نجد أمتنا ثابتة ترفض هذا الاتجاه وتسعى لتأكيد ذاتيتها الحضارية إحياءاً وربطاً بجذورها حتى تحمي نفسها من الذوبان أو الاكتساح أو هيمنة الحضارة الغربية. ولاشك أن هذا الموقف هو الذي بات يشكل العقبة الرئيسية أمام هدف العولمة وبشكل يستوجب في رأي بعض مفكرى الغرب حدوث "صدام حتمي بين الحضارات ".

وقد صاحب هذا التوجه الكاسح محاولات جادة حتى ولو بدت في إطار رد الفعل،تحاول طرح مفهوم الحوار بدلاً من الصدام وأن العالم المعاصر يمكن أن يستوعب أكثر من حضارة، وأنه بالحوار يمكن تحقيق قدر أكبر من أمان الإنسانية ورفاهيتها. ويزداد قبول ذلك إذا أدركنا أن المؤيدين للحوار يستندون إلى حضارات وأيديولوجيات أخلاقية وروحية يمكن أن تسهم في الحد من الغلو المادي الذي ساد الحضارة الغربية الساعية للهيمنة، وأن الأمل لدى الكثير من المنظرين أصبح معقوداً على مطروح الحوار عساه أن يحد من التهور والمراهقة البشرية فى هذا الظرف العصيب، ويسعى لهداية الانسانية وبخاصة حول الحضارة الإسلامية وفقا لقانون التعارف الإنساني قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ([1]).

إن آمالا كبيرة معقودة على مفكري الحضارة الإسلامية إذا مانجحوا في استعادة ذاتيتهم الحضارية من منطلق ثوابتها ؛ليعود لهم دورهم الريادي الأخلاقي. وعلى الرغم من كل نزعات التشاؤم التي يراها البعض ـ حتى بعض المسلمين ـ من خلال ذهولهم من التقدم التكنولوجي المعاصر وتأكيدهم بأن

---

١) (الحجرات:١٣)

العولمة قادمة لامحالة وأنها ستجتاح العالم الإسلامي شاء المسلمون أم أبوا، فإن إدراك بعض المفكرين الغربيين ـ إلى جانب الكثير من المفكرين المسلمين ـ لطبيعة الاسلام باعتباره حضارة تستعصى على التذويب جعلتهم يدركون أن الإسلام ليس من السهل صهره أو قهره، وأن الثقة في المستقبل أكدت أن عصر جند الله الداعين إلى سعادة الإنسانية آت لا محالة قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ([1]).

إن المستقبل مرهون بمدى تهيؤ المسلمين لهذا الطرح الذي سيسود العلاقات الحضارية في العقود القادمة من القرن الحاي والعشرين، فهل آن الأوان لكي نكون – ساسة ومفكرين– على قدر تطلعات الأمة الإسلامية أم يتخلى الجميع عن دورهم وتتوارى الأمة في صفحات التاريخ ويسري علينا قانون الاستبدال الحضاري قال تعالي:(... وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) ([2])

نماذج من أقوال المنصفين للإسلام في الغرب:

يقول الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا :

" يمكن للإسلام أن يعلمنا طريقة للفهم والعيش في عالم كانت المسيحية هي الخاسرة عندما فقدته؛ ذلك أننا نجد في جوهر الإسلام محافظته على نظرة متكاملة إلى الكون، فهو يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة والكون، وبين الدين والعلوم وبين العقل والمادة، وقد حافظ على نظرة ميتافيزيقة وموحدة عن أنفسنا وعن العالم من حولنا ".

---

١) (التوبة:٣٢)

٢) (محمد:٣٨)

يقول جون اسبوزيتو / مدير مركز فهم الإسلام والمسيحية، جامعة جورج تاون:

" إن خطا العقلية الأمريكية فى تحديد مكانة الإسلام، فالمكانة الصحيحة للإسلام هى بين العقائد التوحيدية أو السماوية، وليس مع الهندوسية والبوذية أو الكونفشيوسية،فهو ليس دينا أجنبيا تسمح به من باب حرية الفرد وحرية العقيدة فى المجتمع بل هو دين سماوى، وكما أن الإيطاليين ليسوا جميعا أعضاء فى عصابة المافيا فالمسلمون أيضا ليسوا جميعا أعضاء فى منظمات إرهابية ".

جون ماركوس بورج، أستاذ الأديان فى جامعة أرجون ستيت ":

الأصوليون (وهو التعبير المرادف للمتطرفين فى الغرب) فى العالم الإسلامي قلة، وهم موجودون فى المسيحية واليهودية على السواء والجهاد فى الإسلام له معنى روحانى فى الاساس فالمعنى الحقيقى للجهاد هو جهاد النفس كما قال نبى الإسلام).

يوهي كونو،وزير خارجية اليابان سابقا:

أن اليابانيين استقوا معرفتهم عن المسلمين والاسلام عبر الوسائط الأوروبية والأميركية، وهي وسائط غير موضوعية وغير عادلة ولذلك فإن اليابانيين ينظرون الي الاسلام وكأنه قصص ألف ليلة وليلة، ولذلك شكلت وزارة الخارجية اليابانية إدارة خاصة للاهتمام بالثقافة العربية والعلاقات الثقافية مع الدول العربية والاسلامية، وحثت علي أهمية التبادل الثقافي لخدمة مجمل العلاقات بين العرب والمسلمين واليابان.

- بروفيسورد. رومان هيرتسوج رئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية سابقا:

" اننا اليوم في أمس الحاجة الى ان نعيد الى الاذهان من جديد التقاليد

الروحية الكبرى النابعة من الاسلام ومساهماته الاجتماعية والحضارية ونفرق بينها وبين اعمال الارهابيين والمتعصبين التي ليست الا صورة مشوهة وشاذة عن الاسلام. ونحن نطالب بنفس الشيء عندما يقوم بعض المتطرفين في الغرب بارتكاب خيانة في حق حضارتهم ونشر صورة سلبية لثقافتهم.

المصادر والمراجع

أولا: الكتب:

- أحمد سليمان صالح، الإعلام الدولي، مكتبة الفلاح، الكويت، ٢٠٠٣
- إليكس جورافسكي: الإسلام والمسيحية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٦
- بركات عبد العزيز مُحَمَّد، الدعاية السياسية وقضايا الرأي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨
- بيتر جي كاتزنشتاين، الحضارات في السياسة الدولية: وجهات نظر جمعية وتعددية، ترجمة: فاضل جتكر، عالم المعرفة، عدد ٣٨٥ فبراير ٢٠١٢
- توماس ماكفيل، الاعلام الدولي: النظريات، الاتجاهات، الملكية، ترجمة: حسنى نصر وعبد الله الكندي، دار الكتاب الجامعي، العين، ٢٠١١
- ثروت بدوي، النظم السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٦٢
- جيهان رشتى: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨
- حامد عبد السلام زهران:علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤
- حسن عماد مكاوي، الإعلام ومعالجة الأزمات، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٥
- حمدي قنديل: لجوانب الفلسفية والقانونية للحق في الاتصال " في: حق الاتصال، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢
- دييتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات: التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، ترجمة: شوقي جلال، أبوظبي، دار كلمة، ٢٠٠٨

- زكريا سليمان، بحث الإسلام والغرب بين التقبل والإقصاء، مؤتمر رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ٢٠٠٤
- زياد بن عبد الله الدريس، مكانة السلطات الأوبة في عصر العولمة، المؤسسة العربية للدراسات النشر، بيروت، ٢٠٠٩
- سامي الشريف وثريا البدوي، قضايا في الإعلام الدولي، جامعة القاهرة: مركز التعليم المفتوح، ٢٠٠٧
- سامية أحمد على، موضوع خاص في الإذاعة، جامعة القاهرة: مركز التعليم المفتوح، ٢٠٠٨
- سعد لبيب، دراسات فى العمل التلفزيونى العربى، مركز التوثيق الإعلامى لدول الخليج العربى، بغداد، ١٩٨٤
- الطاهر لبيب، سوسنيولوجيا الثقافة، دارالحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٨٧
- عبد الرحيم علي، الإعلام العربي وقضايا الإرهاب، المحروسة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧
- عبد الرزاق السنهوري، فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣ (يلاحظ أن أول طبعة من هذا الكتاب كانت في ١٩٢٣ م)
- عبد الغني عبود: الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، القاهرة:دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١
- عبدالقادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٣
- على ناصر كنانه، الإعلام وأنظمة الإيهام.. قناة الجزيرة أنموذجا.الدوحة: دار الشرق، الدوحة، ٢٠٠٦

- علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، عالم الكتب ، القاهرة
- فؤادة عبد المنعم البكري، الإعلام الدولي، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١١
- فواز عبد الستار الحسني، مفهوم العولمة بلغة العولمة دار المؤيد، الرياض ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦
- كمال المنوفي. في تحليل السياسات العامة. قضايا نظرية ومنهجية،مكتبة النهضة ا، القاهرة، ١٩٨٩
- ماري تريز عبد المسيح، الثقافة القومية بين العالمية والعولمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩
- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩
- مُحَمَّد بابا ولد أشفغ، الجزيرة وأسرارها،بني ازناسن، سلا– المغرب، ٢٠٠٦
- مُحَمَّد حسنين هيكل.، الامبراطورية الأميركية، دار الشروق، بيروت، ٢٠٠٣
- مُحَمَّد كريشان، الجزيرة وأخواتها،المؤسسة العربية الأوروبية للنشر، باريس ، ٢٠٠٦
- مُحَمَّد مصالحة، دراسات في الاعلام العربي، مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي،بغداد، ١٩٨٤
- محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، كتاب الهلال، القاهرة، ١٩٨٧
- مفيد الزيدي، قناة الجزيرة.. كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣
- نواف التميمي، الدبلوماسية العامة وتكوين السمة الوطنية. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٢
- يحيى اليحياوي، أوراق في التكنولوجيا والإعلام والديمقراطية، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٤

ثانيا: المراجع الأجنبية

- Cheng , Hong and John c. Schweiter , " Cultural Values Reflectwed in Chinese and U.s. Television Commercials ," Journal of advertising Research 36,1996,
- Clive Walker, The Prevention of Terrorism in British Law, Manchester University Press,1992,
- conrad Lodziak. – the power of Television Acrotocal Appraisal (London: Frances pinter " publishers ". n. d
- Ehab Yasser Bessaiso. Aljazeera after September 11. MA Submitted to the University of Wales. Cardiff. Department of Journalism.Media and Cultural Studies. 2002. P.
- Gordon E. Miracle , Kyu Yeol Chang, Charles R. Taylor, " Culture and Advertising Execursions: A Comparison of Selected Characteristics of korean and US Television Commercials", International Marketing Review , Vol.9, 1992
- Hugh Miles. How Arab TV News Challenged the World. London: Group West, 2006.
- -Lariy – A.Samovar & Richard – E.Porter , Intercultural communication , 8 ed. Small ,Canada Thomson , 2003
- Michael Muller, Tomorrow's Epidemic, London, Woron Wat, 1978.
- Noreene Z. Janues, "Advertising & the Mass Media in the Area of Global Corporation New York, 1991
- Paul Conzales, Chaines arabs: I' utopie d.une redemption Par La television , Le Figaro, 19 aout 2004 .
- Robert E. Hite and Cynthia Fraser ,1988 " International Advertising Strategies of Multinational Corporations", Journal of Advertising Research, August \ September.
- Robert T. Green, Williams Cunningham and Isabela Cunningham, 1975," The Effectiveness of Standardized Global Advertising", Journal of Advertising , n41
- Television Commercials ," Journal of advertising Research 36(3) ,1996,

- The 11/9 Commission Report, Final Report For National Commission On Terrorist Upon The United States , WW.Noron & Company New York, first Edition,2004

ثالثا: مواقع الكترونية

- dialnet.unirioja.es/servlet/articulo?codigo=2720192
- studies.aljazeera.net/production/papers/2012/02/2012226151544263670.htm
- tawasul.aljazeera.net/Pages/Frames.aspx?ID=1
- www.wto.org / English/ docs. Legal Lexts- a Summery of The Final Act of Uruguay Round–
- WWW.Antionline.com

رابعا: بحوث ورسائل جامعية:

- أحمد دافو أوغلو، التعددية الثقافية في الحضارات العالمية – الإطار التاريخي والنظري في ندوة الحج، مكة المكرمة، ٢٠٠٤
- اتحاد إذاعات الدول العربي،البث الفضائي العربي،التقرير السنوي ٢٠١٤
- أشرف عبدالمغيث، دور الإعلام في تكوين الصورة الذهنية للعالم الثالث لدى الشباب المصري، رسالة ماجستير، (القاهرة: كلية الإعلام، ١٩٩٣)
- إيناس مُحَمَّد أبو يوسف، صورة العالم الثالث في الصحافة المصرية والأمريكية خلال الفترة من ١٩٨٠ – ١٩٨٩، رسالة دكتوراة (القاهرة: كلية الإعلام، ١٩٩٤)
- حسن عماد مكاوي، نظرية المسئولية الاجتماعية وممارسة العمل الإخباري، مجلة بحوث الاتصال. يولية ١٩٩٢
- حسنين توفيق إبراهيم، تنظيم القاعدة.. أسباب الاستمرارية وعوامل البقاء، قسم البحوث والدراسات، مركز الجزيرة للدراسات، يناير ٢٠١٢

- سالي أحمد مُحَمَّد جاد، أساليب الدعاية السياسية في القناة الفضائية الإسرائيلية الموجهة باللغة العربية:دراسة مسحية،رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، ٢٠١م)
- صلاح عبد المتعال، التنمية الثقافية بين اتصال المشاركة والإعلام الجماهيري ، بحث مقدم إلى الحلقة الدراسية الثالثة لبحوث الاعلام في مصر، في الفترة من ٢٨-٣١ مايو ١٩٨٣، (المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٨٣)
- عبد الله بن عبد العزيز بن فهد العجلان، "الإرهاب الإلكتروني في عصر المعلومات"، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الأول حول "حماية أمن المعلومات والخصوصية في قانون الإنترنت", والمنعقد بالقاهرة في المدة من ٢ – ٤ يونيو ٢٠٠٨م. والمؤلف: عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء – جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض، وعضو الجمعية الدولية لمكافحة الإجرام السيبيري بفرنسا.
- عبدالله الكندي، الإعلام الدولي بين النظام العالمي الجديد والاستعمار الإليكتروني، مواد تثقيفية، رابطة الإعلام المرئي الهادف، ٢٠١٣
- عبدالله بن مُحَمَّد آل تويم، الصورة الذهنية المتبادلة بين السعوديين والمقيمين وإسهام قنوات الاتصال في بنائها، رسالة دكتوراة (جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، كلية الدعوة والإعلام، ٢٠١٠)
- محرز حسين غالي، العوامل الإدارية المؤثرة في السياسة التحريرية في الصحف المصرية. رسالة ماجستير غير منشورة. (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، ٢٠٠٣)
- مصطفى المصمودي، وظائف أجهزة الإعلام ووظائف أجهزة الثقافة، في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ التكامل بين أجهزة الإعلام وبين أجهزة الثقافة ،المنظمة، تونس ١٩٨٤

- منة الله موسى دياب، علاقة الشباب المصري بالمواقع الإلكترونية الإسرائيلية الناطقة باللغة العربية على الإنترنت، رسالة ماجستير،(القاهرة: كلية الإعلام جامعة القاهرة، ٢٠١٤)
- منجي مبروكي، محددات إنتاج الخطاب الإعلامي لقناة الجزيرة بين التجديد التكنولوجي والتوظيف الإعلامي، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس، ٢٠١١
- ورقة بعنوان: من أجل استراتيجية ثقافية إسلامية، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (المغرب: ايسيسكو، ١٩٨٧)
- هالة مُحَمَّد بغدادي، المتغيرات المؤثرة في تغطية القضايا العربية في القنوات الفضائية الإخبارية العربية. رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، ٢٠٠٧)
- وسائل الاعلام والتنمية في البلاد العربية، بيان ندوة الحمامات، ٣٠مارس ـ ١ إبريل١٩٨٢، الجامعة العربية، الأمانة العامة، الادارة ا لعامة للاعلام، تونس.

خامسا: مقالات صحفية:

- أحمد كمال أبو المجد، الاتجاه إلى حوار إسلامي غربي، جريدة الحياة، الجمعة ٢١، مارس ١٩٩٧
- إسماعيل الأمين، الإعلام العربي من المسموع إلى المرئي. قناة الجزيرة نموذجا،صحيفة الحياة، لندن ٢٦ ابريل ٢٠٠٧
- ألان جريش. رئيس رابطة الصحفيين الفرنسيين. ما الذي غيرته الجزيرة؟ مقال منشور في كتاب "روح الجزيرة "، الدوحة.٢٠٠٦
- حسن نافعة، المحكمة الجنائية الدولية: أداة لتطوير القانون الدولى أم لهدمه، مقال بجريدة الحياة ١٨ مارس ٢٠٠٩

- سعد الدين إبراهيم، العالم في التسعينات، مقال بجريدة الجمهورية، نوفمبر ١٩٨٩
- سليم الحص، الجزيرة فضائية وقضية، مقال منشور في كتاب "روح الجزيرة"، الدوحة، ٢٠٠٦
- غسان الإمام، مقال في جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠٩/٣/١٠ م
- فهمي هويدي، الجزيرة تعيد ترتيب الأولوليات. مقال منشور في كتاب "روح الجزيرة"، الدوحة ٢٠٠٦
- مُحَمَّد عابد الجابري، وضع جديد هل يستقر ويستمر؟ جريدة البلاد، السعودية، ٥ إبريل ٢٠٠٩
- محمود المراغي، نملك الأدوات ويستخدمها الآخرون " ص ٨٠ . ٨١، في: مجلة العربي، العدد ٣٠٧ يونيو ١٩٨٤، (الكويت)

الفهرس